A.U.B. LIBRARY

892.708
G4145dA

دَرس ومُطالَعة

كتاب

يشتمل على :

روايات ادبيَّة
مقالات اجتماعيَّة
حفلات مدرسيَّة
صفحات شعريَّة
شذرات فكاهية
حِكَم ، عِبَر

تأليف

الخوري مارون غصن

أستاذ الخطابة ومدير المحفل الادبي
في كلية القديس يوسف
الحائز وسام المعارف من الحكومة الفرنساوية

29228

حق الطبع محفوظ للمؤلف

بيروت

المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين

سنة ١٩٢٥

﴿ تنبيه ﴾

اذا شئت ان تعلم الاسباب التي حملتنا على وضع علامات الوقف ، فعليك ان تطالع المقالة الاخيرة في هذا الكتاب .

المقدّمة

هذا كتابٌ جديدٌ بطريقتـه، سامٍ بغايتـه، شهيٌّ برواياتهِ، مشوّقٌ بحفلاته، رقيقٌ بمنظوماتهِ، مفقّهٌ بمقالاته، مفكّهٌ بفكاهاته، مُحكَمٌ بحِكَمه، محذّرٌ بعِبره.

اخترتهُ مما انشأتُ ونظمتُ وعرّبت. ورتبتـهُ ترتيباً يروق الناظر، ويلذُّ للخاطر. فجاء للتلميذ كتابَ درس، ولِمُشّاق المطالَعة بستانَ أدبٍ وسلوى.

وحسبهُ فألاً بالرواج، أنهُ ما أُنجز طبعهُ حتى أَهّلت بهِ ادارة المدروس العربية في كلية القديس يوسف.

والأمل معقود أن تتلقاهُ سائر المدارس بالترحيب، وأن لا يستثقلَ المطالعون ظِلّه، بل يُكرمون وِفادتهُ ويُحيُّون مطلّه.

الخوري مارون غصن

الزَّمان !...

مضى العام مُضيَّ السهم ، فلم أشعر إلاَّ وأنا في آخره . فدخلتُ غُرفتي أطلبُ العزلة ، والعزلةُ مهبِط الخواطر . وجلستُ أفكِّرُ في سرعةِ مرور الزمان ، وأناجي آخر العام وأقول :

« يا عامُ ، يا عامُ ، مضيتَ وتركتَ في القلب حسرة ! ...

مضيت ، فمضى بمضيّك عامٌ من عمري . فهل الى مردِّ أيامك من سبيل ؟... إنَّ أيامك أيَّامي ، وحياتك جزءٌ من حياتي ، وهل شيءٌ اعزُّ من الحياة !...

الحياة هي شعور الموجودِ بالوجود ، بل هي نسمةُ اللهِ في خليقتهِ ، وما أشرف تلك النسمة !...

الحياةُ عزيزةٌ لدى كلِّ حيٍّ حسَّاس ، من النملة الى النحلة ، الى الحمل ، الى الطائرِ ، الى سائر الحيوان .

فما أحيلى السمك يسبحُ في الماء !

وما أبهى الطير يحلِّق في السماء !

وما ألطف الغزلان تمرحُ في الصحراء !

ولكن أين حياةُ النملِ والنحل والسمك والطيرِ وسائر الحيوان، منْ حياةِ الانسان !

فما أعذبك، أيها الطفل، تُنعشُكَ نسماتُ الحياة في مهدك، فتنبعثُ من عينيك أشعَّةَ نور !

ويا ابنَ العشرين، ما ابهى إشراقَ الحياةِ في وجهك، وأشدَّها في عضلاتك، وأرقَّ شعورها في قلبك !

وأنت، يا ابن الخمسين، ما أحكمها في رأيك ! وأكملها في نفسك !

فما أحلاكِ في كلِّ حيٍّ يا حياة ! وأعزَّكِ لدى كلِّ حيوانٍ وإنسان ...

فما الذهبُ الوضّاح، واللؤلؤ الصافي، وجميعُ ما في الأرض منْ تُحفٍ ودُرَر، بالقياسِ الى دقيقةِ حياة ؟...

دقيقةٌ تُقضَى في حُبِّ الله وخيرِ القريب، تُكسِبُ سعادةً لا تزول، ومجداً لا يحول !

فلو عرف الناسُ قيمتك، يا زمان، لحرصوا عليك، ولم يدعوا دقيقةً منك تمرُّ سُدى !

ولو فكَّر الغنيّ في سرعةِ مرورك، وأنَّ يوم الحساب قريب، لترك المحرَّمات، وعكف على الصالحات وإعانةِ البائسين .

ولو تأمَّلَ الفقيرُ في ما أعدَّهُ اللهُ للصابرين، وأنَّ بلايا هذهِ

الدنيا تزول، لما لجأ إلى الشكوى، ولعانق مصائبهُ معانقة المحبّين.

ولو ذكر الطامعون في طول الحياة، أنّهم من هذه الدنيا راحلون، وأنْ ليس لنا من الزمان إلّا ما حضر، لرتّبوا حياتهم أحسن ترتيب؛ حتى، إذا دعا أحدَهم داعي المنون، لبّى ولم يقل إذ ذاك: «ليتني فعلت وليتني لم أفعل!»

امّا عشّاق اللهو والطرب، وطلّابُ المجد والفخر، فلو نظروا، لرأوا انّ جميع ذلك سراب، وأنْ لا سرور ولا مجدَ إلّا في الله!...

وآه! لو نظر الشبانُ في عاقبة الملذات والمعاصي، لأقلعوا عنها، وعكفوا على الفضيلة والصلاح، فكان لهم من ذلك راحةٌ وهناء.

ولو فكّر الانسانُ في ضعفِ الانسان، لما علّق بهِ الآمال، ولجعل اتّكالهُ على الله وحده!..

*

مضى العام، ومضتْ قبلهُ أعوام، ونحن عن قيمةِ الحياة غافلون، وعن ثمن الزمان ذاهلون... فمتى نفكّرُ في سرعةِ الايّام فنعلمَ انّ كلّ يوم يُدنينا من الاجل؟ وما أدراك متى يُفاجئ الأجل المحتوم!

*

أمـا أنتَ ايهـا العام ، فسرْ بسلام ، وعُدْ الى الله ، مقرِ العصور والدهور .

وأنتَ ايها العام الجديد ، كنْ خير سلف لما خلف ، ودعنـا نتوسّم فيك اليمن والفلاح ، ونرى الدين مزدهرًا ، والسلام منتشرًا ، كلّما أشرقت شمسُكَ وطلع قمرُك .

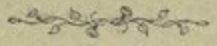

لطف وذكاء

وقع في احدى القرى خصامٌ بين الشيخ والكاهن ، وطـال النفور بينهما ؛ وسعى الناس إلى الصلح ، فلم يفلحوا . فعلم بذلك مطران الابرشية ، وكان مشهورًا بلطفهِ . ففي ذات يوم ، زار الرعية المذكورة ، ونزل ضيفاً على شيخ الصلح الآنف الذكر . فسرَّ الشيخ من تنازل الحبر ، وأكرم ضيافته .

فقال المطران للشيخ : «أتريد ان تؤدّي اليَّ خدمةً صغيرة ؟ »

قال الشيخ : «مُر ، يا سيدي ، فانا مستعدٌ لإتمام امرك .»

فنهض المطران ، وقبّل الشيخ ، وقال له : « أرجو منك ان تُوصل هذه القبلة الى كاهن الرعية . . . !»

فأسرع الشيخ الى اتمام امر المطران ، فتمَّ الصلح وحلَّ السلام .

نشيد المساء

أتى المساء ...

فعاد سكون الليل ...

وامتدَّ ظلُّ الاشجار في الطريق وطال ... فمشى المسافر جزِعاً شجيَّ البال ...

الأحكامُ الصحيحة تفيض من قلب اوشك أن يقف عن الخفقان. والحقيقة، اذا أُلقي عليها الكوكب المشرفُ على الموت آخر ضيائهِ، لا تراها أوضحَ منها في تلك الحال .

مساء النهار ... ومساء العام ... متشابهان كلَّ الشبهِ ... لا يَفرق بينهما الّا بضع ثوانٍ من أدهار الابديّة ...

لقد تعوَّدتُ، اذا أوَيتُ الى منامي، أن أُلقي نظرةً لأرى ما اكتسبتُ في يومي وما خسرتُ ... وها انا الآن، في آخر مساء من هذا العام، أشعر بعوز الى البحث، لارى كيف مضت السنة، وكيف كان يجب ان تُقضى ... فهيّا هيّا، قبل ان يتوارى المساء عن عيني .

*

حياتي كتاب... وكلُّ سنةٍ منها صفحة منهُ... ويا لهُ من كتاب سيُفتح في اليوم الاخير... كتاب سُطِّر فيهِ كلُّ شيء... كلُّ شيء ! ... كلمةٌ هائلة ... نظرةٌ من الله حادّة ترى ما يكون قد غاب عن ذاكرتي... وتبصرُ ما لم تُبصرهُ عيناي... وتطلّع على ما تلبّد في طيّات ضميرٍ يستحيلُ عليَّ ، مهما بحثتُ ، ان أقف على جميع ما فيه .

كلُّ شيء ... أي ...

وعند ذلك أقف محدّقاً الى طول الحياة وغبارها وأوحالها وحُفَرها... ناظراً في أفكاري الكثيرة التعاريج ، المؤدّية الى شخصٍ هو « أنا » ... « أنا » الفاسد ، البغيض ، الذي كان يجبُ عليَّ ان أتقيأَ في كل صباحٍ ، وأقذف من فمي شيئاً من تلك الاخلاط الكريهة التي كنت ، لحساستي ، احرص عليها ، واحفظها في باطني ...

*

أمسرورٌ أنا بحالي ...؟

أعلى تقدُّمٍ انا ، أم على تأخُّر ...؟

أحارٌّ أنا ... أم فاترٌ ... أم بارد ؟

ليس لي الآن ان أستتر بستر ، او أغشَّ ذاتي . فانا الان وحدي ، إزاء نفسي ، بمعزل عن كلّ رقيب ... والله تارك حظّي

في يديّ ... من أنا ... وإلى اين تعبرُ حياتي ؟ ...

هل انتفعت بالزمان الذي أُعطيتُهُ ؟

قال شيخ حكيم : «قد تقادمتُ في الحياة عملًا وسعياً، وها أنا ذا قد شارفت السبعين، وسأبلغ نهاية العمر، ولا اكون قد عملت ربع ما وددتُ عملهُ .

الحياة انا ؟ صغير جدًّا ، يفيض ويطفح حيناً، ثم ينسحق .

وأنا ... أطافحُ إنائي ...؟ ماذا يفيض منهُ ، لو كسرتهُ عند قدمي يسوع ؟... أطيبُ العمل، ام عفنُ الكسل وحبّ الذات ؟

هل أعظمتُ قدر قوى عقلي الشريفة ؛ او كنتُ كبيتٍ فيهِ تضربُ العبيد ساداتها ؟

أتناسب ثروتي صدقاتي ، ويماثل نفوذي مقامي ؟

هل حرثت حقلي وحقل قومي ، اللذين استودعني الله اياهما ؟

هل جنحت الى الجهة السلبيّة من الحياة ، وكنت كالحارث الذي يكتفي بان لا يكون في بستانهِ اعشابٌ رديئة، مع انّ نيّتهُ ان يجد بستانهُ خصيباً، فيستغل منهُ الغلال ؟

*

الحياة البشرية شيءٌ عظيم، فلا يسوغ لي أن أنام عنها...

وانّ الطريق قصيرة توصل توًّا الى غايةٍ لا بدّ من البلوغ اليها ... فهل لهوتُ في حوانيت اللذات ...؟

هل نحتُ ذاك التمثال الذي انا ملتزمٌ بنحتهِ، كما يطلب مني ذلك النحّات الازلي ...؟ كيف تصرّفتُ بتمثال صَبوتي وغلوميّتي ورجوليتي وشيخوختي ؟؟؟.... امتثالي على ما يُرام من الاتقان والجمال ؟ وهل يستطيعُ الله ان يرى فيهِ صورتهُ ؟

أيُها العام العابر ، هل كنتُ فيك كما يُريدُ الله أن اكون ؟

واذا التفتُ الى نفسي، بعد عبوري ذلك المجاز الهائل ، ألا انظر اليها، وانا خائف مرتعد، وأرى اذ ذاك اني تحرّكت في الدنيا كثيراً، ولكن لم يكن فيّ حياة ....؟

*

وأنت أيُها العام الآتي ..؟

لماذا حجب الله وجهك بحجاب الاسرار ؟

ماذا تخبئ في يديك المطبقتين ؟

ايّ أزهارٍ انت مزمع ان تفتح ؟ وايّ قيودٍ أنت عازمٌ ان تحطّم ؟

أيّ مصباحٍ ستوقد ..؟

وأيّ سراجٍ ستطفئ ..؟

تُرى، أخيرك أعظم ام ويلك ..؟

كلُ ذلك لا يهمّ ...

بشرط ان ارضى بما يُرسلهُ الربّ ...

بشرط ان أرى، من خلال حجابك، تلك اليد التي تُسعدني او تسمح بشقائي ...

بشرط ان أشعر، عند دنوّ أجلي، انّ المسيح قربي .

*

يا ايتها المحبة السامية، المزهرة في مساء آخر الحياة... انتِ التي لا يعرفك الناس، في الغالب، الّا بعد ان يكونوا قد عرفوا كلّ شيء ...أنتِ ثمرةُ غايتنا الاخيرة، التي تحيَين بعد قصر حياة الازهار، وبعد خيبة الآمال من كلّ ما هو أرضيٌّ زائل ...

انتِ التي، بقدر ما يشتدُّ الظلام، ترداد بهاءً ونوراً ...

ايها المخلص احفظني !... إحفظ جميع من أحبّ !... إكلأهم بعنايتك .

لقد جعلنا حظّنا بين يديك، انت العظيم، الغائب عن الابصار. انتَ الذي، بدون اذنك، لا يموتُ في الحقول عصفور صغير .

ابسط يمينك فوق منزلي ... ردَّ عنهُ كيد العدوّ ... ولتسكنهُ ملائكتك الاطهار، ويصونوا فيهِ السلام والونام .

وكما يهطل نَدى الصباح على اعشاب الحقول، هكذا لتهطل بركاتك، في بدء هذا العام، علينا وعلى جميع أحبابنا .

لتثبت نعمك فينا، حتى، اذا انقذتنا من ثقل هذه الاجسام، نطيرُ الى أرض السعادة، الى ارض الوطن الحقيقي، حيث لا حقد

ولا حسد ولا بلاء ... حيث يستطيع الانسان ان يُحبَّ من غير خوف ... حيث لا نخشى ان نتجاوز حدًا ... ولا ترتاعُ النفس من أن تخسرك، لانها فازت بالخلاص، وصار يسعها ان تراك وجهاً لوجهٍ، وتتهلَّلَ وتسرَّ بجمالك الدائم .

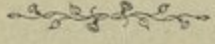

جواب محكم

صادف احد الكهنة، امرأةً، في بيت صديقٍ له، وسمعها تتباهى بأنها غير مؤمنة. فقال لها الكاهن: «هل قرأت الكتاب الفلاني؟» وسمّى لها اسم كتابٍ ديني مشهور. فقالت: «لا.» قال: «والكتاب الفلاني؟» قالت: «لا.» فادرك الكاهن ان تلك المرأة لم تقرأ في حياتها غير الروايات الموضوعة. وكانت المرأة تلجّ في الافتخار بانها لا تؤمن. فقال لها الكاهن، وهو لا يكاد يملك نفسه: «انا أحقق لكِ، ايتها السيدة، انك لستِ جاحدة». قالت: «وماذا انا اذن؟». قال: «انت جاهلة!»

بين العامين

قد انتهى من حياتي عامٌ، وما عاد ياتي:
مضى إلى حيث يلقى أعوامي الماضياتِ!
بكيتُهُ، حينَ ولّى، بأسخنِ العبراتِ،
وقلتُ: «ياعامُ، مَهلًا، أودِعْكَ من حسراتي؛
هفوتُ فيكَ كثيرًا، وتهتُ عن واجباتي؛
فاصفحْ، أيا عامُ، واغسلْ بمدمعي هفواتي!
أجابني - وهو يمضو - «ثِقْ، ثِقْ بربِّ العُفاةِ؛
أمضي أنا، فيوافي عامٌ، وها هو آتِ؛
فانشَطْ، وسرْ فيهِ سيرًا يُنجيكَ قبلَ الفواتِ.
جاهدْ: فما العمرُ إلّا كالظلِّ في ذي الحياةِ!
من رامَ موتًا سعيدًا، فليحذرِ الغفلاتِ!
ثمّ اختفى مثلَ برقٍ، وغاصَ في الظُّلماتِ.
ما غابَ، حتى تجلّى عامٌ بهي الصفاتِ؛
نادى وقال: «تعالَوا، يا خلقُ للصلواتِ؛
اللهُ، ربّي، حباكمْ من الزمانِ هِباتِ.

عامٌ جديدٌ أتاكمْ بالـيُمن والـبركاتِ ؛
عـامٌ ستلقَون فيـهِ ، من خالقِ الكائناتِ ،
فضـلاً ، إذا صُنتموهُ بأشرفِ العاطفاتِ ،
يُنسيكمُ ما أتاكمْ من سابقِ النكباتِ .

*

ربَّاهُ ، وطِّدْ رجـانا ، واكشفْ دُجى النائباتِ !
لبنانُ ، يا ربُّ ، أضحى بفضل اهلِ الثقاتِ ،
في روضةِ السِّلْمِ حصناً لمنتدى المكرماتِ .
يا عامُ ، يا عامُ ، حقِّقْ آمالنا المزهراتِ ؛
واجعل جميع الـبرايا يرَوْنَ قِصَرَ الحيـاةِ ،
حتَّى يسيروا جميـعاً في جادَّةِ الصالحاتِ ،
ويثبتوا ، كلَّ حـينٍ ، في أهبةٍ للممات !

لولو والعم بُوشي

في عطلة عيد الميلاد

مساء عيد الميلاد، كان الإسكاف «بوشي» يضرب، يضرب على النعل؛ ولكن لم يكن في ضربهِ حميّة ولا نشاط؛ بل كان يشتغل اضطراراً ليقوم بمعاشهِ. ولم يكن لهُ ما يعزّيهِ ويصيّر العمل لذيذاً إليهِ. فهو شيخ مسنّ وحيد، وليس لهُ من ماضيهِ أقلّ ذكرٍ سعيد.

وكان الهواء، في الخارج، يصفر صفيراً، والثلج يتساقط. فكان الشيخ يواصل العمل، حزيناً كئيباً. فهو كذلك، وإذا بالباب قد فُتح؛ ودخلت ابنة حديثة السنّ، على رأسها برنيطة بيضاء، نازلة إلى عينيها وأذنيها، وعلى كتفيها فروة بيضاء؛ فلم يكن يُرى، من هذه الفتاة اللطيفة، إلّا طرف أنفها. فنظر إليها العم بوشي حائراً. ولكن ما حدّق اليها، حتى انبسطت هيئتهُ المجعّدة، وهتف: «تقدّمي تقدّمي!» فوثبت الطفلة، وبسطت يديها حول عنقهِ، ونادت: «مساء خير» يا عمّي «بوشي» كيف حالك، يا عمي بوشي؟ ألا تزال تشتغل؟ كيف الدجاجات والعنزة والبطّات؟ .... انا اليوم في العطلة، وقد وصلت هذا الصباح،

وأسرعت لأراك . فهل نسيت أني أحبك كثيراً ، كثيراً ؟ .
إن حذائي مثقوبٌ : ألا تريد أن تُصلحه لي ؟...»

قالت ، ونزعت حذاءها ، وأدنته حتى إلى عينيهِ ، لتريه إياه ، ووجهها يفيض بهجة وطهراً . فلم يجب العم بوشي . فوضعت الطفلة حذاءها على الأرض ، وأخذت تجيل النظر في تلك الحجرة التي اتخذها العم بوشي دكاناً ومطبخاً ومناماً . ولم تكن تفاصيل هذه الحجرة غريبةً عن لولو ، فقد طالما زارت العم «بوشي» ، فانها كانت يتيمة . وكان لها في المدينة القريبة عمّة تعتني بها . وكانت في كل عطلة تأتي ، فتقضي أياماً عند جدّيها ، قرب العم المذكور . وقد تعرّفت به منذ عامين . فكانت تبتهج كلما زارته ، وتتفرّج على ما في حجرتهِ ، وتقفز من زاوية إلى زاوية . وبعد أن تدقّق في البحث عن كل شيء ، تنزع برنيطتها ورداءها ، وتجلس على كرسي صغير إزاءه . فيصير العم بوشي ينظر إليها نظرات الحنو واللطف . ثم يُقبل على الشغل بلذة ونشاط ، ويخيّل إليهِ أنه يرى ماضياً سعيداً ، ومستقبلاً مفرحاً ، وأنه محاطٌ بالرقة والحنان ، كأنه قد امتلك ما طالما اشتهى الحصول عليه... ويشعر أنه لم يعد شيخاً عجوزاً ، وأن قد اضمحلت جميع احزانهِ وهواجسهِ ، فأمسى يرى في الثلوج المتساقطة ، خارج حجرتهِ ، ما يشابهُ ثياب لولو بياضاً . فيحدّق الى وجهِ الطفلة الصبيح ، والى ضفائر شعرها الذهبيّة ، وعينيها

اللطيفتين .

*

وكانت لولو في ذلك الحين تفكّر ... ثمّ رفعت رأسها فجأة وقالت له : «غدًا، يا عمي بوشي، عيد الميلاد ! »

فتوقف بوشي عن العمل، ونظر إليها وقال : «نعم، يا عزيزتي لولو، غدًا عيد الميلاد: فهل انت مسرورة ؟ »

فهتفت : «نعم، انا مسرورة جدًّا، وأريد أن أضع حذائي في المدخنة. فقد قعدتُ عاقلة هذه السنة، وكنت مجتهدةً في المدرسة، وما خالفت الطاعة كثيرًا؛ اذن لا بدّ للطفل يسوع من أن يأتيني بأجمل التحف والطُرف ... وأنت، يا عمي بوشي، ألا تضع حذاءك في المدخنة ؟»

فظهر التأثر في وجهِ بوشي، ثم قال : «إن الاولاد الصغار هم الذين يضعون أحذيتهم في المداخن . أمّا أنا، فعجوزٌ شيخ ... وإني ...»

قالت لولو : «وإنك ماذا ؟»

قال : «لا شيء ... عيد الميلاد عيدُ الاطفال والاحداث، لا عيد الشيوخ والعجائز . وهل عند الشيوخ نقاءٌ وصفاء، فيسعَهم أن يتمتعوا بأفراح الميلاد، يا لولو ؟ ثمّ قطّب وأخذ مطرقته، وعاد بضرب النعل ضرباتٍ ليس فيها من النشاط الأوّل شيء .

فدهشتْ لولو من كلامه، وقالت: «يظهر لي، يا عمّي بوشي، أنّك غير مهتمٍّ لعيد الغد.» ثم ابتسمت ابتسامة ملكية، وقالت: «عيد الميلاد هو اليوم الذي وُلد فيهِ الطفل يسوع! فهو إذن عيد كبير؛ فيجبُ أن يفرح بهِ الجميع، حتى الشيوخ والعجائز.»

فرفع العم بوشي سندانه الصغير، من على ركبتهِ، وألقاه على الأرض، وأزاح القدوم والجلد، وجعل رأسهُ بين يديه، وحاول أن يملك النفس عن الكلام مخافة أن يعكّر صفاء نفس الفتاة، فلم يستطعْ، فقال: «نعم، يا لولو، إنَّ الطفل يسوع قد وُلد في عيد الميلاد. ولكن، تُرى، هل للاولاد الذين ماتوا عيد ميلاد ايضاً؟»

ففتحت لولو عينيها، متعجبةً من كلام بوشي، وقالت في نفسها: «ما بالهُ في هذا المساء، فاني لم أرهُ قط فيما مضى على مثل هذه الحال؟»

وأخّر بوشي كرسيَّهُ إلى الوراء قليلًا، وقال بصوتٍ حزين: «آه، يا لولو! قد كان لي صبيٌّ صغير ... وكنت في ذلك العهد شاباً، وقد مضى على ذلك سنون وسنون، حتى ما عدت أذكر عددها .. وكان لفتاي الصغير شعر ذهبيٌّ كشعرك، وعينان كعينيك، وثغرٌ باسمٌ كثغرك. نعم إنه لم يكن مثلك لطيفاً جميلًا، لاننا نحن قرويون، وأنت من فتيات المدن. لكنه كان ذكيًّا مجتهداً، وكان يحبُّ أمّهُ ويحبّني بقدر ما نحبّهُ، يعني كثيراً، كثيراً.

وكان، في ليلة عيد الميلاد، يضع حذاءه في المدخنة، وعند الصباح، يجد فيهِ أشياء جميلة جدًّا : لُعباً وملبَّساً وحلويات، فيطير قلبهُ فرحاً . وكان في فرحهِ يزدادُ وجهه جمالاً ولطفاً، فيصير كأنه ملاكٌ سماويّ ...

ولم يعد العمّ بوشي يقوى على الكلام، وكان شارباهُ يهتزّان، وصدره يتنفس الصعداء. ثمّ جمع قواهُ وقال متنهِّدًا :

"في ذات شتاء كان عمر الصبي خمس سنين. وأقبل عيد الميلاد كالعادة، فجعل الصبي حذاءه الصغير في المدخنة، وقد أراد أن يضعه، هو بنفسهِ، وكان يشعر بألم في حلقه، وبشيء من الحمّى في جسمهِ . فظننّا نحن أنّ ذلك زكام لا يلبث ان يزول ... ولمّا جاء نصف الليل، استيقظ من نومهِ، وهو يبكي، وكاد يختنق اختناقاً ... فأسرعنا وأتيناه بشراب، فلم يستطع ان يبلع ..

وكان الطفل يسوع قد وُلد . وكان الحذاء قد امتلأ من اللعب التي كان قد طابها مني ولدي ... لكنّه لم يفتكر بها، ولا نظر إليها .. أتى الصباح ولم يرتح، بل زادت ضيقته. فعجّلتُ في استقدام الطبيب، وخرجت تحت الامطار والثلوج. لكنّ الطبيب لم يقدر على شيء . وما وصلنا إلى ما بعد الظهر حتى قضى نحبهُ ... بعد ظهر عيد الميلاد، يا لولو، بينما كان الرعاة يسجدون للطفل يسوع. وبقيت اللعب، يا لولو، في مكانها ... ولم تمسّها يد ولدي الصغير،

ولا لمستها من ذلك الحين يدٌ... هل تريدين ان تريها، يا لولو ؟...»

ونهض بوشي، ومشى إلى أقصى الحجرة مرتجفاً، وفتح خزانة هناك، ويداه ورجلاه تضطربان، واسنانه تصرف صريفاً، وقال وهو يتلجلج: «انظري ...»

وكانت اللعب لا تزال جديدة، وطول العهد مع ذلك ظاهرٌ عليها، وحذاء الصغير في القرب منها. فنظر إليها الأب نظرة جزع، وسقطت على خدّيه دمعتان كبيرتان، فمسحهما بكمّه، وأغلق الخزانة بعنف، واستلقى على كرسيه.

أمّا لولو فلم تقل شيئاً، ولكن سقطت ايضاً من عينيها دمعتان على ذينك الخدين النضيرين، وشعرت أن قلبها يتصدّع. فأسرعت إلى الشيخ المسكين، وطوّقت عنقه بيديها، وألقت على ذلك الجبين الذي جعّدته السنون، قبلةً كلّها رقّة وحنان. وقالت له بصوتٍ خنقته الغصّة: «لم تخبرني بهذا، فيما مضى، يا عمي بوشي.»

فرفع الشيخ يدي لولو عن عنقه بلطف، وقال لها: «لا تمسّيني يا لولو ... فإني أشعر كأنّك هو ... فيزداد ألمي ...»

اجابته لولو بصوتٍ لطيف: «احسَبْ أني هو .. وافترض ان الله يعيده إليك هنيهة.»

فقال الشيخ بلهجة النافر: «إنّ الله لا يفكّر فيّ ...»

فدهشت لولو من جوابه، ورفعت اليه نظرها الفتّان، وقالت: «ما هذا، يا عمّي بوشي، ألست تؤمن بالله الحنون؟»

أجاب الشيخ: «أنا لا اقول إني غير مؤمن .. ولكن قد أصابتني مصائب كثيرة .. فلماذا رشقني الهك الحنّان بهذه البلايا؟ ...»

قالت: «هذه البلايا لم يُرسلها الله ... بل هي جاءت هكذا ... وهل في الارض بشرٌ لم تصبهُ مصائب؟ ...»

قال الشيخ: «أصبتِ: فلو كان الله كثير الحنان، لما كان في الأرض مصائب بهذا المقدار .. فأنت، يا لولو، قد مات والدك ووالدتك؛ وأنا قد فقدت ولدي صغيراً. فهل يفعل الالهُ الصالح كذلك، ويميت آباء البنات الصغار، ويُثكل الوالدين أبناءهم؟» قال، وأخذ ينظر من النافذة الى الثلوج المتساقطة، وهو متأثر عابس.

فارتدتْ لولو قليلاً الى الوراء، وهي تفكّر، ثمّ سألتهُ قائلةً: «والطفل يسوع، هل تؤمن بهِ؟»

فلم يجدْ بوشي من قلبهِ أن يُحزنها فقال: «اسمعي ... الطفل يسوع لا أنتقدُ عليه .. فهو ليس مثل الله.»

فهتفت لولو: «بلى: هو مثل الله تماماً. فانّ الله الحنون هو ابو الطفل يسوع. ولا بدّ للطفل من أن يكون له اب. وهل

رأيت طول عمرك أبناً بلا اب ؟ وبما ان الطفل يسوع موجود، فلا يمكن أن لا يوجد الهٌ، ولا يمكنك أن تقول ان هذا الاله ليس حنوناً . لانه، لو لم يكن حنوناً، ما سمّيناه كذلك .. هل فهمت ؟»

وكانت لولو تجتهدُ وتجتهد كي تُقنعهُ . ولم تكن، تظن فيما سبق، أنَّ العم بوشي غير مؤمن .

لكنَّها لم تحصل من براهينها على ما كانت ترجو . فانَّ العم بوشي هزَّ رأسه وقال : «أنا، يا لولو، غيرُ أبله . فقد كان يجب عليَّ أن لا أقول لك ما قلت ... ولكن ما الذنب عليَّ، فاني لم أستطع أن املك لساني ...»

قالت لولو : «اسمع، يا عمي بوشي : «هل لي عندك، ولو شيء من الحبّ ؟» فدمعت عين الشيخ وقال : «لا تسأليني، يا لولو ... لا تسأليني ... فليس عندي شيء احبهُ سواك .»

قالت : «اذن هل تريد أن تعمل عملاً صغيراً يسرّني ؟»

قال : «أنا شيخ مسكين، وليس عندي شيء يمكنني أن اسرّك بهِ .»

اجابت لولو : «بلى بلى ! اعلم، يا عمي بوشي، ان الكفر بالله خطيئة كبيرة . فيجب أن تؤمن بهِ، وتعتقد انه صالح وحنون .. وإذا كان الله يريك، هذا المساء، انه حنون وصالح .. اذا كان

يريك ذلك بنوع خارق العادة ... كأنْ يُرسل اليك الطفل يسوع، فهل تصير تؤمن بهِ ؟»

اجاب الشيخ : «دعيني من هذا؛ فانَّ الله لا يُرسل الطفل إليَّ، بل هو يرسله الى الاولاد الصغار.»

قالت لولو : لو أرسل الله اليك الطفل يسوع، وانت صغير، لما كان في ذلك عجب. لكنَّه يرسله اليك، وانت شيخ، وهذا أمر خارق العادة ... فألتمس منك أن تضع حذاءك في المدخنة...» ثمَّ قالت : «لا ! بل ضعهُ في الاسطبل، تحت حجرتك، فإنَّ يسوع قد وُلد في اسطبل. ألا تسمع مني ... وإنَّ هذا الاسطبل لا يُغلق بالمفتاح، فيستطيع يسوع أن يدخله ... ماذا تقول ؟ قل لي نعم، قل ...»

ولم تزل لولو تلاطف العمّ بوشي، وتتدلَّل عليهِ، حتى ارتضى. فودّعته لولو، وقالت : «إلى الغد، يا عمي بوشي، وسترى ... ووضعت برنيطتها على رأسها، والتحفت بالفروة وانصرفت.

فدمدم بوشي قائلاً : «آهٍ من الله !..» ثم تناول المطرقة، وجعل السندان على ركبته، وعاد يضرب على الجلد ويقول : «ولدي ! ماذا فعل الله بهِ ؟ وأين هو الآن ؟» ثم طفرت الدموع من عينيه، فألقى المطرقة والسندان والجلد ناحية، وأجهش في البكاء .. ثم ذهب الى فراشهِ واضّجع .. ونام ...

وعند الصباح، أشرقت الشمس، وطاب الهواء، وسكنت الريح، وأخذ جرس القرية يقرع، ويُرسل نغمات الافراح بعيد الميلاد.

فنهض بوشي من نومه، وطلب حذاءه، فلم يجده.. ثمّ تذكّر أنْ قد وضعهُ، مساء أمس، في الاسطبل، إجابةً لرغبة لولو. فتبسّم ابتسامة الحنان، وقال: «لقد خرجت لولو مساء، وهي واثقةٌ لبساطة قلبها، أنّ الاعجوبة ستقع. فماذا تقول لي اليوم، بعد الظهر، حين أُخبرها أنّ الطفل يسوع لم يتنازل لزيارة شيخ يشكّ في كلّ شيء؟ وإني - ولا ريب - سأجد حذائي بالموضع الذي جعلته فيهِ فارغاً ...

ثم نزل ودخل الاسطبل وانحنى ليأخذ الحذاء، فأصابه دهش، إذ بصُر بشيء أبيضَ مربّع الزوايا، فهتف: «ماهذا؟!» وأسرع وتناوله، فإذا هو غلاف كُتب عليهِ، بخطّ عَكِش، اسم بوشي، واسم قريتهِ. فأسرع إلى حجرتهِ، وفتح الغلاف، فوجد رسالة فتعجّل وقرأ:

«أبتِ الحبيب،

أنتهز فرصة نزول الطفل يسوع الى الأرض، لأُرسل إليك معهُ بهذهِ الاسطر؛ وهو يضعها في حذائك فتجدها غداً صباحاً. أودُّ أن أُخبرك ان الكلام الذي قلتَه للصغيرة لولو، قد غمّني

وأحزنني. فاسمع، يا ابي العزيز، واعلم أنَّ الله هو حنون جدًّا، جدًّا. وأنا استطيع أن أثبت لك ذلك، لأني بالقرب منه. أنت حزين، لأني فارقتك. ولكن يجب أن لا تحزن قطعاً، لاني سعيدٌ جدًّا؛ ولا يمكنك أن تعرف مقدار سروري وسعادتي. وأنت ينبغي لـك أن تفرح لفرحي، لانك تحبني، وأنا احبُّك كثيرًا. وأنا لا استطيع أن أكلمك، لأنْ لا جسد لي. ولكني كثيرًا ما أجيء، وأرفرف حولك. ولي جناحان مثل الثلج، ومعي اولاد صغار، ونحن نسرّ ونفرح دائماً دائماً. ونحن ايضاً نشاهد الله، وهو يلاطفنا ويتبسَّم لنا دائماً. ألا تكون مسرورًا انت، متى علمت أن الله يلاطف ويحب طفلك الصغير؟

أبتِ العزيز، إن الطفل يسوع نازل الان إلى الارض، فلا استطيع أن أُطيل الكلام، كي لا أعوقه. فارجوك أن لا تعود، فتقول مثل مـا قلت أمس. فـان ذلك يحزنني جدًّا جدًّا، ولا يُسَرُّ الله بهِ. وانت، يا ابي، اذا متَّ، وكنت تحبُّ الله، وتؤمن بهِ، تأتي حينئذٍ الى السما، ونجتمع جميعاً. ولكن اذا كنت لا تؤمن بالله، كما قالت لك لولو، فيمكن أن تذهب الى جَهنَّم، ولا يعود الواحد منَّا يرى الآخر ابدًا. اذن فاسمع كلام لولو، وأنا احضر عند ساعة موتك، وأصحبك معي الى الفردوس. وكأنَّ الله أراد ان أموت قبلك، حتى اقدر، عند موتك، ان اذهب لملاقاتك..

إذنْ قلْ لي يا أبي الحبيب، ألا تريد أن تؤمن ؟
وفي الختام، اعانقك من كلّ قلبي

طفلك الصغير

ما وصل بوشي إلى الاسطر الأخيرة من هذه الرسالة، حتى اضطر أن يراجع القراءة عدّة مرار، لأن الدموع هطلت على نظارتيه، والتزم أن يمسحها وهو يشهق ويجهش. وكانت يداه ترتجفان، حتى لم يعد يستطيع أن يمسك الرسالة. فأخذ يردّد متلجلجاً ويقول: «ولدي! حبيبي! مهجة قلبي!» وأصابته رعشةٌ شديدة.

وكانت الاجراس تواصل إرسال نغماتها المفرحة. فانتصب بوشي، وهو لا يعي، واحتذى حذاءه، وتناول عصاه، وسار الى الكنيسة، وهو لا ينظر الى شيء، ولا يسمع التحيات التي كان الجيران والمارّون يحيّونه بها. حتى انه لم يشعر بأنّ شمس ذلك النهار كانت كأنها، بانوارها المتألقة، تحتفي هي ايضاً بعيد الميلاد. بل كانت جميع مشاهد حياته الماضية ممثلة لعينيه، وتلك الاسطر لا تبرحُ شاخصةً أمامهُ، حتى دخل الكنيسة، وأحسّ كأنّ يداً تدفعهُ إلى قرب المغارة. فشاهد هناك، بين الحيوانات، ذلك الطفل البهي. فلبث مدّة الذبيحة جاثياً، خاشعاً، ورأسهُ بين يديهِ، ونفسه كأنها غائبةٌ عن جسمهِ، بعيدةٌ عن المذبح ... ولكنها كانت قريبة جداً من الله ...

ولما رجع إلى بيتهِ، جلس على كرسيّهِ، وراح يفكّر ساعات طويلة... وكانت هيئتهُ تروق شيئاً فشيئاً، حتى حلّ السلام في قلب ذلك الشيخ المسكين...

قُرع الباب، وفُتح، فرفع بوشي طرفهُ، فاذا بلولو داخلةً، وعليها تلك الثياب البيضا، ووقفت امام العم بوشي، ولم تقل شيئاً. ورمتْ بلحظها إلى المائدة، فأبصرت الرسالة منشورةً، فقالت بدهاء:

«والآن، ياعمي بوشي، هل ربحت الرِهان؟ وهل فكّر فيك ذلك الالهُ الحنون؟»

فلم يستطعْ بوشي أن يجيب، بل بسط ذراعيهِ، وجذب الطفلة إليهِ وعانقها، واستغرق في النحيب.

فهتفت لولو: «ماذا اصابك، يا عمي بوشي، ماذا اصابك؟

فاجاب، وهو ينتحب: «آه يا لولو، أنا أبكي؛ وما اعذب البكاء! إنّ في الدموع خيراً وفائدة.

فقالت: «نعم، ياعمي بوشي، فابكِ، ماشئت؛ فإنّ البكاء مفيدٌ لك.

وتركته هنيهةً يستريح. ثم عادت تسألهُ عمّا يهمُّها الاطلاع عليهِ، وهي تحدّق الى عينيهِ، لتعرف مافي قلبهِ، وتبتسم ابتسامات خفيّة، ممزوجة بالدهاء والتأثر، فقالت له: «والآن، يا عمي بوشي، هل صرت تؤمن بانّ الله صالح وحنون جداً؟»

فظهرت ، على وجهِ بوشي ، آثار الايمان ، وذهبتْ عنهُ الهواجس الماضية ، فاجاب بكلّ هدوء : «نعم ، يا لولو ، لقد صرتُ مؤمناً ، لأني أراكِ هنا أمامي ، وأشاهد أمثالك الاحداث الاطهار ...» ثم طفرتْ آخر دمعة من عينيهِ ، وقال : «تعلمين ، يا لولو ، ان الانسان ، اذا كان داخل الغرفة فلا يرى الشمس ؛ ولكن ، إذا وضع مرآةً على الحائط ، فيمكنه اذذاك أن يرى فيها انعكاس نور الشمس . وهذا يدل على أن الشمس موجودة ومشرقة ... فانت ، يا لولو ، انت أشبهُ بمرآة صغيرة ، وفيك نرى انعكاس نور ذلك الاله المملوء من الحنان والصلاح ...

*

هـل عرفتْ لولو أنّ العم بوشي أدرك سرّ الرسالة . وعلم أنّها هي قد كتبتها ؟... لا نعلم ... وكلُّ ما نعرف أنّ لولو لم تشأ أن تسألهُ عن ذلك ، وأنها لم تعبأ بهذا ؛ فقد كانت جميع رغائبها منصرفة إلى أن ترى العم بوشي مرتدًّا الى الايمان .

حينئذٍ دنت منه ، ووقفت إزاءهُ ، وقالت ، وهي تبتسمُ : «إذن فانظر ، يا عمي بوشي ، انظر إلى هذه المرآة التي أمامك !... واسمح لي الآن أن اتدلّل عليك !... »

ثم اقتربت ، وهمستْ في اذنه قائلةً : «إن الكلام الذي قلتهُ الآن ، قد أوحى بهِ اليك طفلك الصغير ، يا عمي بوشي ... »

سلّةُ العيد

أطلَّ صباحُ العام الجديد، فخرجتُ أُمتّعُ النظر ببهجتهِ. وكانت الشمسُ قد ألقت أشعتها، فبدت الطبيعةُ كأنها في ثيابٍ من حرير. فهبَّ النسيمُ يبعث بأذيالها، وينفحها بأذكى العطور.

وكنتُ على موعدٍ من لقاء صديق، فوقفتُ هنيهةً، والناس يتوافدون الى المعابد، فرأيتُ ثَمَّ مشهدًا مُؤثّرًا:

رأيتُ الاغنياء يخطرون في فاخر الثياب، والفقراء يهدجون في أطمارِ الفاقة.

رأيت اولاد الاغنياء، وقد لبسوا جديدهم، فأسرعوا، وفي ايديهم التُحفُ والطُرَف، وهم يمرّون ويطربون؛ وإزاءهم أطفالٌ فقراء، وقفوا ينظرون الى تُحَفِ اترابهم نظر الذليل المتخشع، فتقطّع قلبي رحمةً لهم، فقلت: «لا كان يومُ العيد لا كان، فإنّهُ يجدّدُ احزانَ الحزين، ويزيد في لوعةِ اليتيم البائس!»

وإني لأُقابلُ هناء الاغنياء بشقاء الفقراء، اذ لُحتُ بين الوافدين سيّدةً عليها اشارةُ المجد والغنى، وبين يديها طفلٌ صبيح الوجه، والى جانبها خادمةٌ بيدها سلّة.

ورأيت السيّدة تنظر ذات اليمين وذات الشمال، حتى مرّت باطفال فقراء، فأسرعت اليهم، واومأت الى الخادمة، فكشفت السلّة، وجعلت السيّدة توزع مما فيها. وكان طفلها يساعدها، فيدخل يديه الصغيرتين في السلّة، ويخرج منها اشكالاً والواناً: من عجلاتٍ صغيرة، وأحصنةٍ مسرجة، وكراتٍ لطيفة، وزمّاراتٍ بديعة، وملبّس واقراص حلوى. فكانَ الفقير يقبض على نصيبه، ويسرع فرحاً، كأنّه حصل على كنزٍ ثمين. وكان فرح الطفل الموزّع أشدّ من فرح الآخذين.

وما هو غير حين، حتى نفد جميع ما في السلّة، وتحوّل ذلك الشارع الى ساحة فرح وطرب: فمن لاعبٍ بكرته، ونافخ بزمّارته، وسائرٍ بعجلته، ومتنعم بأكل قرصه. فابتهجت نفسي، وزال عني ما نالني من الشجا، وقلت:

«لو علم الموسرون ما للصدقة من الحظوة أمام الله، وأدركوا انّها افعل وسيلةٍ الى استمطار بركاته عليهم وعلى بنيهم، لما تأخروا عن التصدق على البائسين، ولاسيما في امثال هذه المواسم.

فحبّذا سلّة العيد!..

ونعم ما يجود به صغار الاغنياء على صغار الفقراء!»

إلى الاغنياء

لو جئنا نقابل اخلاق اغنياء بلادنا باخلاق اغنياء اوربة ، لرأينا بوناً عظيماً ، وفرقاً شاسعاً . فان معظم اغنيائنا يُحيون الليالي في القصف واللهو والمقامرة ، ويُنفقون المال في سُبُل كان الاجدر بهم ان يُقلُّوا الانفاق فيها . واننا نرى العدد الاكبر منهم ، على وَفرة ثروتهم ، لا يكادون يتصدقون على الفقير بفلس ، او يَمدون لاعانة الاعمال الخيرية يداً . فأين هم من اغنياء اوروبة ، الذين يُنفقون على المشاريع الخيرية ، إنفاق من لا يخاف الفقر . وهم ، في كل عام ، يفرزون من دخلهم مبلغاً يخصصونه لاعانة الاعمال الوطنية . وإنَّ الواحد منهم ليجودُ بالمال الكثير ، ويُبقي اسمه مكتوماً . فلأمثال هؤلاء تُنسج أردية الكرامة والفخر ، وتُهدى تيجان الوقار والمجد .

فيا اغنياء الوطن ، هلَّا ذكرتم أنَّ الوطن لا يُفلح الَّا بموسريه ؛ وأنَّ الامة لا تنهض الا باغنيائها . فحتَّامَ انتم على الملاهي عاكفون ؟ والى متى ، عن السعي وراء الخير ، انتم راغبون ؟ لله ابوكم ! وهل منكم من يعلم أن الانسان للانسان ، كاليد تتوسل باليد ، والعين تستعين بالعين ؟ وهلَّا عرفتم أن

الوطن حريٌّ بان تُباع في سبيله النفوس، فضلًا عن الاموال؛ وترخص دونه الارواح، فضلًا عن الارباح؟ وأن من عكف على خدمة وطنه، رفع عماد أُمّته، وشيَّد اركان دولته؟ نشدتكم الله إلاَّ ذكرتم أنّ الانسان العاملَ على خير بلاده، هو الأُمّة؛ لان الامة هي العمل؛ ومن لم يعمل في وطنه، تبرّأ الوطن منهُ، وصح فيهِ قول شاعرنا اليازجي:

« وكلُّ من لا خير منهُ يرتجى، ان عاش اومات، على حد سوى! »

ولا يخفى على الاغنياء الكرام، أن المال وحده لا يُقيم للرجال أثرًا يُذكر، ولا تاريخًا يؤثر، ولا صيتًا يُشهر. فكم من غنيّ مات بموتهِ ذكره! وابتلع صيتهُ قبرُه! وشاهِدُنا التاريخ، فانهُ لم يُخلّد ذكر الناس لكثرة مالهم، بل لوفرة علمهم وعملهم:

« ليس الحياة بانفاس نردّدها: إن الحياة حياةُ العلم والعمل! »

وليس من ينكر ان المال روحٌ تحيا به الاوطان، وعليه قِوامُ الصناعات، وإبراز خفايا العلوم، وتخفيف ويلات الانسانية. ولكن ما يكون نفعهُ، اذا هو لم يُبذل في ما يُعلي عَقَبة المجد، ويُعظم الاجر في الدارين: من مثل انشاء المدارس والملاجىء، وتشييدِ المعامل والمصانع، وتعليمِ الاذكياء من الفتيان الفقراء. فاذا هو أُنفق في هذه السُبُل وامثالها، اتى بفوائدَ لا تُحصى،

ومنافع لا تُعدّ. واذا هو بُذل في الامور الباطلة، وإشباع الشهوات، كان شرًّا من الفقر، ومجلبةً للخزي والعار.

فعلى الاغنياء اذًا، ان يفكّروا في ذلك، ويُسرعوا الى التناصُر والتعاضد على ما به الخيرُ للامة والوطن؛ ولا يكتفوا بالاعتماد على الحكومة؛ بل عليهم ان ينشطوا، هم انفسهم، الى مباشرة الاعمال النافعة. وليذكروا ابدًا أنّ الوطن عيلة، اذا حلّ بافرادها نعمة تمتعوا بها جميعاً، وان نزل بهم بلاء، اقتسموه. فان الواحد للجماعة، والجماعةَ للفرد، والفرد يفدي الامة، والامة تحمي الفرد.

واننا نسوق الكلام، خاصة، الى بعض الاغنياء الشيوخ، المادّين لوَداع الدنيا يدًا، والمغمضين عن نعيمها عيناً، ولمّا يأتوا عملًا يُذكر. فليهبّوا الى الاعمال المبرورة، والمشاريع الخيرية، قبل فوات الوقت، وإطباق الجفون. ولا يقولُنّ: «قد نزلت بنا الشيخوخة، وضاق الزمان؛ فلم يعد بوُسعنا ان نُتمّ عملًا، فندع ذلك لبنينا.» فأجيب: «ان البنين — ولا ريب — سينهضون للقيام بما فيه الخير للخاصة والعامة؛ وسيساعدهم الزمان، إن شاء الله، على اتمام رغائبهم الصالحة. ولكن عليكم انتم، ايها الشيوخ، ان تبتدروا الاعمال النافعة، فتخلّفوا لكم طيب الذكر وحُسن الأُحدوثة. فلأنْ توافيكمُ الساعةُ، وانتم من

المحسنين ، خيرٌ من ان توافيكم ، وخزائنكم ملأى بمال لا يُجديكم نفعاً عند الربّ الديان ! »

ما نفع الكهنة ؟

غنيٌّ وأحدُ العمّلة ركبا القطار . وبعد حين ، شاهدا في احدى المحطّات كاهناً جاء لوَداع احد ابناء رعيّتهِ . فقال الغنيّ للعامل : « بحقّي عليك ، قل لي : « ما نفع الكهنة ، وما الخير الذي يُرجى منهم ؟ » واندفع يتهكّم على رجال الله ، ويضحك عليهم .

وصل القِطار الى مكان قفر ، ولم يكن في مركبة الغنيّ والعامل غيرهما . فقال العامل : « نحن الآن في ارض خالية ، بعيدة عن المحطّات ؛ فلو بدا لي ان انقضّ عليك ، وأخنقك خنقاً ، وأسلب مالك ، ثم أرمي جثّتك من هذه النافذة ؟ . . . » قال الغنيّ : « لا مال معي ؛ فايّ فائدة لك من قتلي ؟ » قال العامل : « لا تحاول الانكار ؛ فقد رأيتك قبل أن تركب القطار ، وصادفتك في المصرف الفلاني حيث أدّى اليك الصيرفيّ ٣٠٠،٠٠٠ فرنك . وقد جعلتَ هذا المبلغ في الصندوق الذي بجانبك . ولكن لا تخف ، فاني قد تعلّمت وصايا الله عند كاهن الرعيّة ! فأعرف الآن ما نفع الكهنة ! »

مشاجرة مدرسيّة

ألبر وفرنسيس

ألبر : أيُّها الرئيس المفضال، والاساتذة الاجلاء،
قد قسَمَنا الاستاذُ إلى فِرقتين وأقامَ لكلِّ فرقة قائدًا ومُلازمين، ونصبَ أمامنا رايةً دعاها لِواءَ الشَّرف، يفوزُ بها مِنَ الفئتين من حاز قصب السبق.

فرنسيس : ولشدَّ ما تبارَينا وتصاوَلنا، فاستمرَّ اللِّواءُ يتمايلُ بيننا.

ألبر : بل قُلْ: «كانَ النصرُ حليفَنا!» فقد طالما أظلَّتنا هذه الرايةُ الشريفة، ورفرف فوقنا المجدُ والظفر.

فرنسيس : بَلْ قَدْ ظَهَرْنا عليكم مِرارًا، وجُرِحتمُ مِرارًا.

ألبر : لقد ألبَسْتَ لَهجتك نغمةَ تغُرُّ السامعين، حتى يعدّوك من الصادقين.

فرنسيس : ماذا! كم خَفَقَ هذا اللِّواءُ، فوق رؤوس رجالي؟!

ألبر : وكم استمرَّ هذا العلَم منشورًا فوق ساحتي؟!

فرنسيس : ذَرْ ما مضى، وهيا الآن الى البِراز، امام هذا

الحشد الموقَّر ؛ فمن غلب ظفِر باللواء .

ألبر : إنِّي ناصحُك أنْ تَتَنَحَّى عن البراز ، وتتخلَّى لي عن اللواء ، بلا سباق ولا شِجار ؛ وإلاَّ فإني آخذهُ عَنْوةً .

فرنسيس : وأنا أشيرُ عليك أنْ ترغبَ عَنْ هذه الأوْهام ، فليسَ لك ، مِنْ وَرَائها ، إلَّا جُهومةُ الفشلِ ، وذُلُّ الخِزي .

ألبر (مُغضَباً) : لم يكنْ هذا الجبينُ لِيُطأطِخُ بالذُلِّ ؛ فتَزَالِ أنتَ ورجالُك ، فقد ضاق صدرُ الصبرِ عنك !

فرنسيس : لم أكنْ لأخشاك ، يا نِكْسَ الرِّجال ! . فنادِ بذويكَ ، وادعُ بأطمارِ الانكسار ، فانك ذا اليومَ لابسها .

ألبر : أنَّى لمثالك أن يقول لي هذا الكلام ؟ ! فما النِّكْسُ إلا أنت ! وإيَّاك تنتظر أطمار الانكسار ، ولمثلي يشتاق غار الانتصار ! (ينادي فرقته) يا رجال ! ! !

— لبَّيك لبَّيك ! ! !

فرنسيس : (لفرقته) يا ليوث الوغى ! ! !

— بَدارِ بَدارِ ! ! !

ألبر : أو ترضون الذلّ لباساً ؟ !

— كلَّا ! كلَّا !

فرنسيس : أو تتخلَّون عن لواء الشرف ؟ !

— عار وشنار ! !

ألبر : هيا!

فرنسيس : هيّاً!

(ثم يُبدأ بالمشاجرة)

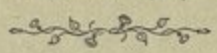

والد يعظ ولده

تناول الصبيُّ القربان المقدّس، اوّل مرّة . فلمّا كان الغدُ، دعاهُ ابوه، فجاءه، والنور يتدفّق من محيّاهُ فعانقهُ ابوهُ، وأجلسهُ امامهُ، وقال لهُ: «يا بُنيَّ ستسمع، في مستقبل الأيام، اعتقاداتٍ كثيرةٍ بشأن سرّ الاعتراف. وسترى أنَّ كثيرًا من الناس لا يحفلون بما في القربان المقدّس من الامور العظيمة الالهيّة، بل يَقصرون نظرهم على ما في هذا السرّ من الاشياء التي تفوق مقدرة العقول . فلا تعبأ، يا بنيَّ، باقوالهم ؛ واذكر دائمًا انَّ العالم مملوء أسرارًا لا يُدرَك غورها . فاذا تركتَ البحث عن هذا السرّ، ونظرت الى حقيقة وجود الله فيهِ، رأيتَ منهُ اذ ذاك اعظم تعزية للنفس المسيحية .

واني مُخبرُكَ، يا بنيّ، أني قد رأيتُ كثيرًا من المتنازعين يتناولون القربان، ووجوهُهم مشرقةٌ بأنوار الرجاء . وابصرتُ فتياتٍ عائداتٍ من المائدة المقدّسة، وهنَّ يسطعنَ بأشعّة الايمان . وشاهدت امّك، وقد احاطت بها الهموم والغموم، فكانت تتناول القربان، فتطيب نفساً، ويمتلئ قلبها فرحاً وتعزية .

أما انا فاني اكرهُ نفسي وأبغضها، اذا لم تُوحِ إليَّ، بناء على هذه التذكارات، اسمى العواطف نحو هذا السرّ ؛ فانَّ الشيء الذي يُفيض على وجه الانسان امثالَ تلك الانوار العجيبة، لا يمكن الّا ان يكون سرًا إلهيًا مقدّساً!

المعبدُ والملهى

جرَت العادة ، في اسبوع « المرفع » من كلّ عام ، ان تدعوَ راهباتُ السجود جميعَ اخويات المدينة للاشتراك في أداء السجود للاله المعبود .

وكان يومُ الاثنين موعدَ ابناء اخوية الامّ الحزينة . فرافقتُهم الى المعبد المذكور ، واذا به غاصٌّ بجمهور المؤمنين ، وكلُّهم جاثون خاشعون ، والقربان معروض فوق المذبح ، تُحيط به الازهار والانوار . وكانت صلواتُ الحاضرين ترتفع ممزوجةً بعطر البخور ، واصوات قرع الصدور . فقلت : « لا يزالُ الصلاح في هذه المدينة رافعاً اعلامه ، رغم انتشار الفساد . ولولا اهلُ الفضل والتقوى ، لحلَّ بنا ما حلَّ بالمدينتين اللّتين أبادهما الله بالنار والكبريت . »

جثوتُ وسألت الله ، مع السائلين ، أن يعطف إلى تلك العواطف المتصاعدة ، ويتقبَّلَ تلك الدموع المتساقطة .

وبعد انتهاء الحفلة ، خرج المؤمنون ، وعادتِ الراهباتُ الى مواصلة السجود والابتهال .

*

وأدّت بي الطريق الى المرور أمام ملهى «تباريس»، ففتحت لي المقابلة بين المعبد والملهى باباً رحباً؛ وذكرت ما اشتملت عليه بعض امكنة اللهو من الامور التي تأباها النفوس الصالحة، وما ضمّ ذلك المعبد المقدّس من اسباب الصلاح، التي تُنعش نفس كلّ فاضل اديب.

فبينا تكون راهبات السجود جاثيات متضرعات، ترى النساء والفتيات، في هذا الملهى واشباهه، راقصات قافزات.

هناك الحشمة والتصون والعفاف؛ وهنا الخلاعة والفساد والتهتك.

هناك صلاة ودعاء، تكفيراً عن ذنوب الناس؛ وهنا خفّة ورقص ومجون، لقتل ضمائر الناس.

هناك قرع صدور وارتفاع بخور؛ وهنا كشف نهود وشرب خمور.

هناك إطباق جفون وسكب عبرات؛ وهنا فتح عيون واشباع شهوات.

هناك التكفير والاسترحام؛ وهنا المجون والحرام.

هناك النفع والخير؛ وهنا الشرّ والويل.

هناك طريق الهناء؛ وهنا مزلقة الشقاء.

*

وبعد هذه المقابلة الصادقة ، واصلتُ السير ، وانا أردّد قول الشاعر :

«ضدّان لما استُجمعا حَسُنا ؛ والضدُّ يظهر حسنَهُ الضدُّ .»[1]

بالة مسيحية

قال احد اساقفة ليون ، في احد مناشيره الاسقفيّة : عرض لقرويّ فقير ، من ابناء رعيّتي ، عارضٌ افقدهُ النظر . فجاءهُ رجل وقال لهُ : « أنا أمدّك بالمال ، وأسهّل لك السفر الى باريس ، فتستوصف هناك طبيباً اختصاصيًّا مشهورًا ؛ ولي كلّ رجاء بان يُعيد اليك بصرك ، ولستُ أطلب منك ، مقابل ذلك ، الّا أن تُخرج ابنتك من المدرسة الدينيّة حيثُ وضعتَها »

فاجاب الفقير الضرير شاكرًا ، وقال : « لأن أعيش اعمى ، خيرٌ لي من أن تفقدَ ابنتي كنز ايمانها الثمين ! »

أمثال هذا الفقير المسيحي كثيرون ؛ وهم افضل مثال يُوعَظ بهِ من يعرّضون ايمان بنيهم للاخطار ، حبًّا بمصلحة زمنيّة .

---

(١) قد تمثّلنا بهذا البيت ، وبعضهُ غير مطابق لما نحن في صدد الكلام عنه .

هدايا الميلاد

اسماء الممثلين

نجيب – عمرهُ نحو ١٣ سنة
سليم – » » ١٢ »
عزيز – » » ١٢ »
منصور – » » ٩ »
مارون – » » ١٠ »
يوسف – » » ١٢ »
ميشال – » » ١٣ »
بولس – عمرهُ نحو ٩ سنين
ميلاد – » » ٦ »
إدوار – » » ١٠ »
وليكن ذا صوت حسن
حليم – » » ١٢ سنة
كمال – » » ١٢ »
نعيم – » » ١٢ »

الفصل الاول

جميع الممثلين في احدى ساحات المدرسة

نجيب : كلَّما هلَّ هلالُ الميلاد ، أشعرُ بفرح سماويّ ، يفوق أفراح سائر الاعياد .

سليم : لا غروَ في ذلك ولا عجب ، فإنَّ عيد الميلاد هو أبهجُ الاعيادِ وأحلاها !

عزيز : وأعلاها وأسماها ! ففيهِ وُلِدَ ذاكَ الذي تاقت الى مرآهُ الشعوبُ منذُ القديم ، وعلى رجائهِ رقد جميعُ الآباء الأوَّلين .

منصور : وبهِ ، بهِ ، نلنا الخلاص ، واستعدْنا النعيم ، بعد أن أغلقه في وجوهنا حسدُ الشيطان الرجيم .

ميلاد : ألا أغربي، ايتها الحيّةُ الجهنميّة ! فقد وُلد الذي يسحقُ رأسك سحقًا !

مارون : وابتهجْ ، أيُّها الحبر العظيم ، ابراهيم ، فقد حقّق اللهُ وعدهُ ، وظهر الذي تتباركُ بهِ قبائلُ الارض كلّها .

يوسف : وارتكضْ فرحاً، يا يعقوب، فقد أتى « شيلو » الذي تُطيعهُ الشعوب .

بولس : وأنت، يا بلعام ، هيّا أنظر، كوكبَ يعقوب، يُشعُّ في الظلام .

حليم : وانت، يا كليمَ الله ، تهلّلْ واغتبطْ ؛ فقد أقام اللهُ لنا نبيّاً مثلك وأعظم . فلهُ نسمع، ولامرهِ نخضع ، وإيّاهُ نتبع .

كمال : وأنتِ، يا حنّة ، أمَّ صموئيل ، سُرّي وافرحي؛ فقد وهب الربُّ للملكهِ عزّةً وقوّة ، ورفعَ قرنَ مسيحهِ.

ادوار : وأنت ، أيُّها النبي داود ، هَلُمَّ بالمزمار والعود ، ورتّلْ لنا، في هذا اليوم المودود: « قال الربُّ لربي: اجلس، عن يميني، حتى أضع أعداءك تحت قدميك ! »

سليم : وأنت، يا إشعيا ، تهلّلْ واستبشرْ ؛ فها إنَّ العذراء قد حبلتْ ، وولدتْ ، ودعتْ اسمهُ عمانوئيل !

عزيز : وصارتِ الرئاسةُ على كتفه؛ ودُعي اسمهُ عجيباً، مُشيراً، وإلهاً جبّاراً ، ورئيسَ السلام!

مارون : يا دانيالُ ، يا دانيال ، قد أتى ابنُ البشر ! وأُوتيَ سُلطاناً يدوم ، ومُلكاً لا يزول ؛ وتمّ ، وكمَلَ في نبوءتك المقول !

يوسف : وأنت يا حَجّاي ، لكَ البشرى ! فقد أتى مُتمنّى جميعِ الأمم .

نجيب : وأنتَ ، يا زكريّا ، نادِ وقلْ : « رنّمي وافرحي ، يا بنتَ صهيون ؛ فهاءنذا آتي ، وأسكنُ في وسطك .

منصور : وأنت ، يا ملاخي ، هَلُمّ واسجدْ ؛ فقد أتى إلى هيكلهِ السيّدُ الذي نلتمسهُ ، وملاكُ العهدِ الذي نرتضي به .

ميلاد : وأنتِ ، يا بيتَ لحم ، إنك صغيرةٌ في ألوفِ يهوذا ؛ ولكنْ منكِ يخرجُ المسلّطُ على اسرائيل !

نجيب : سَمِعتُكُمْ ، يا فتيان ... كأني بملائكة السماء تدعونا ، كما دعت الرعاةَ ، الى السجود لذلك الالهِ المعبود .

سليم : وإنّ كوكب يعقوبَ يدعونا إلى الاقتداء بالمجوس ، في تقديم الهدايا وأداء السجود . فهيّا نذهب الى مغارة الطفل الحبيب ، وفي يدِ كلٍّ مِنا هديّةٌ ، يُهديها اليهِ في ذكرِ مولدهِ العجيب .

ميلاد : حُيّيتَ حُيّيتَ ! ...

يوسف : لا فُضّ فوك ! ...

عزيز : إذا كان الامرُ كذلك ، فأنا أُقدّم صليباً ، فهو أحبُّ هدية

الى قلب المخلّص الحبيب .

حليم : امّا أنا ، فأرى أنّ البخور أسمى شيء يقدّمُ لذلك الطفلِ الطهور ؛ لأنّهُ ربُّ الأجيال وإلهُ الدهور .

يوسف : لا تنسَوا كلام الربّ على لسانِ النبي حجّاي حيثُ يقول : « لي الفضّةُ ولي الذهب » فأنا أقدّمُ لملكِ الملوكِ ذهباً .

سليم : لقد سبق النبيُّ إشعيا ، وشبّهَ هذا الطفلَ الحبيب بالحمل . ولمّا نظر يوحنّا المعمدان الى يسوع ، قال : « هوذا حملُ الله ! » فأنا أقدّم لهُ حملاً .

كمال : وأنا أقدّمُ لهُ فَرْخي حمام ، إشارةً إلى الذبيحة التي قرّبتها أمُّهُ عنهُ ، لما قدّمتهُ للربّ في الهيكل .

بولس : أنا أرى أنّ ألطفَ الأمور ضُمَّةٌ من زهور ؛ فهي تدلُّ على أسمى العواطف ، وأرقّ الشعور .

منصور : وأنا أرشُّ أمام المذود ماء الزهر ، وأطيبَ العطور .

ميشال : أنا ، لا أرى في الارض شيئاً أثمنَ من الانجيل المقدس ؛ فهو الكتابُ الذي يحوي شرائع السيد المسيح وتعاليمه . ولا شيء أحبُّ الى قلب هذا الطفل الالهي من ذلك الكتاب الذي أتانا بهِ من السماء . فانا أقدّم للطفل انجيلاً .

نعيم : كلٌّ وهـديتُهُ . أمّا أنا ، فـأُقدّم أعزّ شيء إليَّ ، وهو حسون بديع ، في قفص بديـع ؛ وما ألطفَ مـا يكونُ تغريدهُ ممزوجاً بنغماتِ الملائكة والرعاة .

ادوار : أنا أُقدّم لهُ مزماراً ، إشارةً الى مزامير داود . فقد طالما ترنّم بها هذا النبيُّ العظيم ، ذاكراً مجيءَ المخلص الحبيب .

نجيب : أنا ، كلّما وافى عيدُ الميلاد ، اذكرهُ الرعـاة الذين بشّرهم الملاك ، فأسرعوا ، وسجدوا للطفل ، فتمـلأُني هذه الذكرى خشوعاً ، وأصير أقول : « ليتني كنتُ معهم ! » لذلك أشتهي ، في هذا اليوم ، أنْ أمثُـلَ أمام المذود ، بزيِّ راعٍ ، وأقدّمَ للطفل عباءً ، تقيهِ البردَ في هذا الفصل .

سليم (لمارون) : وأنت ، يا مارون ، ما هديّتُك ؟

مارون : لقد فكّرتُ في اختيارِ هديّةٍ تحظى عند ذلك الطفـل الحبيب ، وإلى الان لم أجدْ .

عزيز (لميلاد) : وأنت ، يا ميلاد ، ماذا تقدّمُ للطفل الالهي ، في تذكارِ ميلادهِ ؟

ميلاد : أرى أنَّ جميع ما اخترتموهُ لا يسرُّ الطفل . فماذا يُفيدهُ البخور والزهور والعطور ؟ .. أمّا أنا ، فهديّتي أفضلُ من جميع هداياكم .

نجيب : ما هي هديتك ؟

ميلاد : هديتي ؟ هديتي علبةُ مُلَبَّس ، أعطتني إيَّاها أُمّي ، في هذا الصباح ، لأنَّ عيدَ الميلاد هو عيدي ؛ فأنا أُريدُ أنْ أقطعها عن فمي ، وأُقدّمها للطفل .

سليم : عشتَ ، يا ميلاد ، عشت !...

نجيب : هيَّا إذًا ليُعدَّ كلُّ واحدٍ هديَّتَهُ !

عزيز : هيَّا !

ميلاد : تعالَوْا ! (يخرج جميع الممثلين)

الفصل الثاني

امام مغارة بيت لحم

يدخل جميع الممثلين ، حاملين هداياهم ، ويقفون حول الذود . ثم يتقدّم الواحد منهم بعد الآخر ، فينشد الابيات المعيّنة له ، ويقدّم للطفل هديَّتَهُ .

بواس : (في يدهِ ضمَّة زهور)

إكليلُ مجدكَ من زهورْ ... تبقى إلى دهرِ الدهورْ ،
يا أيُّها الطفلُ الذي ... تاقتْ لمرآهُ العصورْ !.
فاذا حَلَلْتَ بمذودٍ ، ... وسترتَ مجدكَ بالستورْ ،
فشعاعُ نورِكَ باهرٌ ، ... أنتَ الذي يَنبوعُ نورْ !
ربَّاهُ ، إنَّ قلوبنا ... وصدورنا ملأى حُبورْ !.
فأقبلْ ، بهذا العيدِ ، يا ... كلَّ المنى ، خيرَ الزهورْ !

منصور : (بيده قمقم فيهِ ماء زهر)

وأنا ، أيا عطرَ السماء ، وبهجةَ الآبِ الغفورْ ،
قدّام مذودك البهيّ ، أرشُّ من خيرِ العطورْ !

(ثم يرش ماء الزهر أمام الطفل)

سليم (في يدهِ حَمَلٌ صغير) :

أوارثَ داودَ ، أينَ الحُلَلْ ، وأينَ القصورُ ، وأينَ الخَوَلْ ؟
تركتَ السماء ، وجئتَ هنا ، لتُولدَ ، يا ربُّ ، في ذا المحلّ ؟
وأنت إلهٌ قديرٌ ، غنيٌّ ، ورب الملوكِ ، ومولى الدُّوَلْ !
فلِمْ قد تركتَ فخارَ العلاء ، ورُمتَ المغارةَ منهُ بدلْ ؟
ومِن بعدِ عرشِ السماء ، نراكَ على مذودٍ ... ربِّ ، ماذا العمل !
إلهي ، أردتَ تكونُ لنا حليماً ، وديعاً ، وضيعاً ... أجلْ !
لذاكَ أتيتك ، يا خيرَ طفلٍ ، غدا للوداعةِ خيرَ مَثَلْ ،
تُقدِّمُ رمزَ الوداعةِ ؛ فاقبَلْ ، أيا حملَ اللهِ ، هذا الحملْ .

عزيز (بيده صليب) :

أمِنَ السماء إلى المغارةِ ، أيُّها الطفلُ العجيبْ !
ربَّاهُ ، ماذا ترتجي في الارضِ ؟ ... مالك لا تجيبْ ؟
الأرضُ ، يا ربَّاهُ ، هي وادي البكاء ، وادي النحيبْ !
فمِنَ الذين حَبَبْتَهم ، ستذوقُ ما لا تستطيبْ ؛
وعلى صليبِ العارِ تُصلبُ ، أيُّها الفادي الحبيب !

فاذا الملوكُ تفاخرتْ بالصولجانِ وبالقضيب ،
فيكون فخرُك دائماً ، يا ربُّ ، في حملِ الصليب !
فبهِ فتحتَ لنا السما ؛ فاجعلْ لنا فيها نصيبْ !

ميشال (بيده كتاب الانجيل) :

آياتُكَ الغراءُ قدْ كانت ولم تبرحْ دليلا !
وكذا شرائعُك التي بَهَرَتْ أشعّتُها العقولا !
وعجيبُ عيشك بيننا للحقِّ قد فتح السبيلا !
أنت الطريقُ لكلِّ مَنْ يَبغي الى المجد الوصولا !
أنت الحياةُ لكلِّ من يَهوى حياةً لن تزولا !
وجميعُ ما علّمتنا باقٍ لنا ، جيلًا فجيلا !
إنَّ السما والارض م زائلةٌ ، وحرفٌ لن يزولا !
فاقبلْ ، فذا انجيلك م الحاوي لنا العِلْم الجليلا !
كلُّ الهدايا لا تعدُّ بقربهِ إلّا قليلا !

نعيم (بيده قفص فيهِ حسّون) :

يا ايها الطفلُ الحنونْ ، بَهَرتْ طهارتُك العُيونْ !
يا حبّذا لو أنَّ لي مُلْكَ الورى ، فَلِمَن يكونْ ؟[1]
لكنَّني ، أحبيبَ قلبي ، ليس لي فيما أصونْ ،
- وحياةِ حبك - غيرُ حسّون بهِ تَنأى الشُجون .

(١) - لك !

خذه ، وقدّسني ، وصُنْ نفسي لدنْ تأتي المَنونْ!

حليم (بيدهِ حُقَّةٌ فيها نار) :

يا صاحبَ الوجهِ المنيرِ ، حُيِّيتَ ! ما لكَ منْ نظيرِ !
أنتَ الالهُ الناشرُ م الانوارَ ، من قَبْلِ الدهورِ!
أأنى وُلدتَ من البتولِ م ولادةَ الطفلِ الحَقيرِ !
وجعلتَ عرشكَ مذوداً بين البهائمِ ، كالفقيرِ !
وخلعتَ ثوبَ المجدِ ، يا مولايَ ، في أبهى القصورِ!
عجباً ! نراكَ اليوم عُرياناً ، وغيركَ في الحريرِ !
وسريرك التبن الدني ، وفراشُ عبدِكَ منْ زهورِ...
ما ذاك إلّا كيْ تعزّيْ صاحبَ القلبِ الكسيرِ !
إيمانُنا ورجاؤنا بكَ راسخٌ مثلَ الصخورِ !
ولذاك نسجدُ كلُّنا ، وأمامَ مذودِكَ الصغيرِ ،
نُهدي القلوبَ ، ونرفع م الإكرام معْ عَرْفِ البخورِ !

(وعند ذلك يذرُّ البخور على النار ويقدّم الحقّة)

يوسف (في يدهِ صُرّة ذهب) :

سليلَ الملوكِ ، وفخرَ الحِقَبْ ، ومَوْلى الزمانِ ، ومُولي الرُّتَبْ ،
أتيتَ لتملكَ ملكاً يدومْ ، كما أنبأتنا بذاكَ الكُتُبْ !
فيا بيتَ لحمَ ، افرحي وافخري ، حَكَيْتِ السماءَ ونِلتِ الارَبْ!
فقد حلَّ فيكِ الالهُ العجيبْ ، م المليكُ الوديعُ ، الشريفُ النسبْ!

وها قد أتينا إليهِ نؤدّي فروضَ السجودِ ، وماقدْ وجب.
إلهي ، جئناك مثلَ المجوسِ م الذين أتوْا من بلادِ العربْ ؛
فقدّمَ قبلي بخورٌ ومُرٌ ؛ وأمّا أنا فأؤدّي ذهبْ !

كمال (بيدهِ قفص فيهِ فرخا حمام) :

يا مريمُ البكرُ التي نالتْ مقاماً لا يُرامْ !
منكِ الالهُ بدا كنورٍ داحضٍ جيشَ الظلامْ !
سُرّي وتيهي وافرحي: فهو الذي يفدي الانامْ !
عمّا قليل ، قدّميهِ م لربّك السامي المقامْ ؛
فتتمّ فيهِ شريعةٌ قد سنّها ربُ النظامْ .
وإليكِ منّي ، يا بتولُ ، م هديّةً فرخَي حمامْ ،
فتقبّليها ، واجعلي ذا العامَ عاماً للسلامْ !

ميلاد (بيدهِ علبة ملبّس) :

إني أرى أنّ الملبّسَ م في الهدايا انفسُ !
ماذا تُفيدكَ ، يا حبيبِ ، م ورودُهمْ والنرجسُ ؟
قُمْ ، كُلْ ، فإنّ هديّتي لكَ ، يا إلهِ ، « مُلبّسُ » !

نجيب (بزيّ راعٍ) :

لماذا وُلِدتَ بفصلِ الشتاء ، وشئتَ تُقاسي شديدا الهواء؟
كأنّكَ رُمتَ تكونُ مثالاً لكلِّ فقيرٍ ، وخيرَ عزاء ؛
فيعتبرُ الاغنياءُ الذين يَرَوْنكَ ، يا ربُّ ، في ذا البلاء!

ولكنْ، أمولايَ، أنتَ صغيرٌ، وجِسمُكَ ألطفُ ما في السماء!
وُلِدْتَ بهيٌّ، جميلٌ، لطيفٌ، فلا، لستَ تقوى على ذا الشقاء!
وإنَّ أمامكَ وقتاً طويلاً، تكفّرُ فيهِ عن الاغنياء،
وتُعطي الفقيرَ مثالاً، فيغدو نشيطاً، مُحباً، لكلِّ عناء.
وفي بيتِ لحمَ الهواءُ مُضرٌّ، ولاسيَّما أنتَ في ذا العَراء!
فإنْ تبقَ، يا ربُّ، في ذا الشقاء، بغيرِ غِطاء، وغيرِ كِساء،
فيُخشَى عليكَ، وأنتَ حياةٌ لنا، إذْ تُتمّمُ سرَّ الفداء!
إلهي، إنّي أجيرٌ لراعٍ، ولا... لستُ أملكُ إلّا عبائي؛
فخذهُ، أيا ربُّ، خذْهُ ليدفعَ م عنكَ البلاءَ بهذا الشتاء!

مارون (يقول بعد أن يتفكّر قليلاً):

ربّاهُ، أيُّ هديّةٍ ترضى بها، فأنالَ حُبَّكْ؟
فلقدْ بحثتُ، فلم أجدْ في الارضِ شيئاً سرَّ لُبَّكْ.
هذا، وإني، إنْ وقفتُ، ولا هديّةَ، خِفتُ عَتْبَكْ.
ماذا تُريدُ؟... فرّ، وحالاً، م ما أردتَ يكونُ قُربكْ...
ربّاهُ، واطربي!... وجدتُ: م تقبّلنْ مِمَّنْ أحبَّكْ،
قلبي! فخُذْهُ؛ أنتَ قائلُ: م «أعطني، أبُنيَّ، قلبَكْ!»

ادوار (بيدهِ مزمار):

أنا أُحيي بمزماري ليالي الأُنسِ للجارِ!
وصوتي يُنعشُ الثكلى، ويَنفي الحزنَ من داري!

لذا عوّلتُ أنْ آتي الى طفل هو الباري ؛
أسلّيهِ ، أعزّيهِ بمزماري ، وأشعاري !

(ويُنشد بلحن « قدّك المياس »)

عَبَرَتْ ، يا مِذودُ ، أدهارُ ، والناسُ بنورِكَ قد ساروا !
فيك ابْنُ اللهِ بدا بَشَرًا ؛ هيّا واسْجُد يا « إدوارُ » !

*

يا طِفلًا مظهرُهُ يَسْبي عقلي ، ويُنير دُجى لُبّي !
يا ليتَ المذودَ في قلبي ، ومغارةَ ربّي لي دارُ !

*

يا ربُّ أراكَ على التِّبنِ ، والآبُ يُنادي : «هذا ابني!»
مِيلادُكَ يا كُلَّ الحُسْنِ ، تتدفّقُ منهُ الانوارُ !

(وحينئذٍ يدنو الممثلون من مذود الطفل ، ويرتّمون بلحن « أيا قلب ان كنت تخشى الاله » (١

أتينا المغارةَ حتى نزورْ ؛ فاينَ الزهورُ ، وأينَ العطورْ ؟

---

١) وهنا يُستحسن أنْ يدخل تسعة فتيان ، رمزًا الى تسعة أجواق الملائكة ، وينقسمون الى ثلاث فرق : الفرقة الاولى تحمل قُوَطًا من حرير فيها نثرُ الزهر ؛ والفرقة الثانية تحمل قماقم زهر ؛ والفرقة الثالثة تحملُ مجامر بخور . وعند إنشاد اللازمة الاولى ، تدنو الفرقة الأولى ، وتنثر الزهور ؛ وعند اللازمة الثانية ، تدنو الفرقة الثانية ، وترش العطور ؛ وعند اللازمة الثالثة ، تدنو الفرقة الثالثة ، وترفع البخور ، وعند اللازمة الرابعة ، تدنو الفرق الثلاث ، وفي وقتٍ واحدٍ ، تنثر الزهور ، وترش العطور ، وترفع البخور .

وأينَ البخورُ ؟ فيا للحبورْ ! هنا قد تجلّى مليكُ الدهورْ !

اللازمة

فيا لَلسُّرور ! أجيدوا التهاني ونثرَ الزهور،
وصيحُوا : « ليحيَ مليكُ الدهورْ ! »

*

هُنا، مَن تتوقُ اليهِ القلوبْ ! هنا، مُتمنَّى جميعِ الشعوبْ !
هنا، من يُزيلُ البلاوالخطوبْ ! هنا، ملجأُ التائبين الغفورْ !

اللازمة

فيا لَلسرور ! أجيدوا التهاني ورشُّوا العطورْ،
وصيحُوا : « ليحيَ الالهُ الغفورْ ! »

*

هُنا، أمُّ يسوعَ أمٌّ لنا ! كذاكَ مُرَبّي المسيحِ، هُنا!
ففي ذا الحِمى نلتقي بالمُنى، وينجو الورى من جميعِ الشرورْ!

اللازمة

فيا لَلسرور ! أجيدوا التهاني، ورَفع البخورْ،
لينجوْ الورى من جميع الشرور !

*

أيا حملَ اللهِ، أنت الذبيحْ ؛ تقبَّلْ عواطفَ قلبٍ جريحْ !
فلاسمِكَ نرفعُ كلَّ مديحْ ؛ فبارِكْ علينا، وجُدْ بالمَنوحْ !

اللازمة

فيـا لَلسرور ! بنثرِ الزهورِ ورشِ العطورْ،
ورفعِ البخورِ لربِّ الدهورْ !

البلبل والرئيس

عند الصباحِ سمعتُ نغمةَ بلبلٍ في روضنا فاهتزَّ مني المعطفُ.
فخرجتُ أطلبُ شخصهُ فرأيتهُ لسروره، فوقَ الغصونِ يرفرفُ.
يزهو بأنغامٍ له تسبي النهى وتزيلُ أشجانَ القلوبِ وتصرفُ.
للهِ من صوتِ الهزارِ مرنَّماً سحراً على الرمانِ، يا قومُ انصفوا!
فمشيتُ همساً نحوه متخوفاً طيرانهُ والقلبُ مني يرجفُ.
وسألتهُ متقلداً أنغامهُ فيظنني طيراً ولا يتخوفُ:
«باللهِ، يا طيرَ الهزارِ تقولُ لي لمْ جئتَ صبحاً بالاغاني تُطرفُ؟»
فأجاب: «هذا اليومُ غرةُ عامكم والذاك من خمرِ المسرةِ أرشفُ.
فسألتُ: «هل هنأتَ فيه رئيسنا ذاكَ الذي الطافهُ لا توصفُ؟»
فأجاب: «ما كشفَ الصباحُ نقابهُ حتى بدأتُ بذي المعاني اعزفُ:
إكلأهُ، يا ربِّ الكمالِ، مجللاً بجلى الكمالِ وسعدهُ لا يكسفُ!»

أقطري ايتها السماوات

اقطري ايتها السماوات من فوق ، ولتُسطر الغيومُ الصدّيق . لتنفتح الارضُ ، ولتثمر الخلاصَ ، ولتُنبت البرّ (اشعيا ٤٥ : ٨)

أجنّةَ عدنٍ ، أينَ أرجاؤكِ الخُضرُ :
فلا ثمرٌ يُجنى ، ولا وَرَقٌ نَضرُ !

كأنّكِ لم تُروَي بفيّاضِ أنهرٍ ،
ولا انهلّ في مغناكِ غيثٌ ، ولا قطرُ!

أجيلُ حزينَ الطرفِ فيكِ ، فلا أرى
حياةً ، فلا عُشبٌ هناكَ ، ولا زهرُ!

أما كنتِ للجدّينِ أبدعَ روضةٍ ،
يقصّرُ في مِضمارِ اوصافها الشعرُ ؟!

فأينَ هما ، باللهِ ، يا عدنُ ؛ إنّ في
غيابهما سرًّا يحارُ بهِ الفكرُ؟

أجابَ لسانُ الحالِ منها ، وقال لي :
« ألا لا تذكّرني ، فما عادَ لي ذِكرُ .

نأى آدمٌ عني ، وحوّاءُ أدبرتْ ،
ودمعُهما ، من هَجرِ عدنِهما ، نهرُ .

لقد خالفا أمرَ الاله ، فعُوقبا ،
ولم يكُ في إتيانِ ذنبهما عُذرُ .

فتاها بعَرضِ الارضِ للبؤسِ والشقا ،
وخبزُهما حزنٌ ، وماؤهما ذُعرُ .

ولولا حنانُ الربِّ ، عاشا ، مؤبّدًا ،
رهينَيْ عذابٍ لا يخفّفهُ صبرُ .

فأوحى إلى الجدّينِ أنّ شقاهما
سيكشفهُ قادرٌ لهُ النهيُ والامرُ ؛

ويَفتحُ أبوابَ السما بصليبهِ ،
فيُرفَعُ من كلِّ البرايا لهُ الشكرُ .»

*

مضت تلكمُ الايامُ ، والشرُّ فاترٌ ،
فكاد يعمُّ الناسَ من كُفرهم غمرُ .

وباتَ بنو الرحمانِ دهرًا ، وشوقهُم
الى طلعةِ الفادي ، يُماثلهُ الجمرُ .

وأرسل ربُّ الخلقِ في كلِّ برهةٍ ،
نبيًّا ، بهِ ثغرُ الخليقةِ يفترُّ .

الى أن دنا يومُ الخلاصِ ، ورفرفتْ
على الارضِ راياتٌ يُحرّكُها النصرُ ؛

وتمّتْ نبوّاتُ الكتابِ، وحُقّقت أمانيَ جميعِ الانبيا، وانتهى الامرُ.

*

أتيتَ، أيا ابنَ اللهِ، كي تُنقِذَ الورى؛ فشكرًا، أيا ربّاهُ، ما مثلُهُ شكرُ!
تركتَ عروشَ المجدِ واخترتَ مذودًا، وعانقتَ فقرًا لا يُعادلهُ فقرُ.
فأفهمتَ أهلَ الارضِ أنّ حياتهم حياةُ جهادٍ، ما لَنا دونها أجرُ.
عملتَ وعلّمتَ الانامَ، فلم يعُدْ سبيلٌ لنا إلّا الاماتةُ والقهرُ.
وغيّرَ، وجهَ الارضِ، انجيلُكَ الذي بهِ انهدَّ رُكنُ البُطلِ، وانكسرَ الشرُّ.
وساويتَ بينَ الناسِ في الحقِّ، فانطوى خِلافٌ، فلا عبدٌ هناكَ، ولا حُرُّ.
سننتَ لنا شرعَ المحبّةِ للعدى؛ فما عندنا للضدِّ حِقدٌ ولا غِمرُ.
وتلكَ، لعمري، سُنّةٌ كلُّ ما بها دليلٌ على انّ المسيحَ هو الدّهرُ(١)

*

ألا، يا مسيحَ اللهِ، حسبُكَ حجّةً شرائعُكَ الغرّاءُ، فهي لنا ذُخرُ.
فلو فتحَ الجهّالُ أعينَهم، رأوا بهاءَ ضياها، دونهُ الشمسُ والبدرُ.
فتحتَ، أيا ربّاهُ، أعينَ أكمهٍ؛ ألا افتحْ قلوباً سدّ ابوابها الكفرُ.
وكم مُقعَدٍ أنهضتَ، بل كم منازعٍ شفيتَ، ومَيتٍ، في الثرى جاءهُ العمرُ!
فداوِ، أيا ربّاهُ، أدواءَ عصرنا؛ ونوّرْ نُهى مَنْ بالضلالِ قد اغتروا.

*

فأمطرْ لنا الصدّيقَ، يا غيثُ، واقطري علينا، أيا سُحبَ السّما، يَنبتِ البرُّ!
فإنّا لفي عَصرٍ غدا الحقّ نادرًا بهِ، غيرَ أنّ الشرّ أصحابُهُ كُثرُ!
فغاضت ينابيعُ المحبّةِ والتقى، وفاضت شرورٌ في الورى ما لها حصرُ
فعجّلْ، أيا ابنَ اللهِ، واكشفْ كروبنا؛ بميلادِكَ الرّوحيِّ ينتعشُ الصدرُ!
ففي كلِّ قلبٍ أنشأوا لكَ مِذودًا يُزيّنُهُ الايمانُ، والحبُّ، والطُّهرُ!

١) الدهر — الله، وهو من الاسماء الحسنى.

مائة سنة في يومٍ واحد

كان في دير أوليز راهبٌ يُدعى ألفيس . وكان هذا الراهب كثيراً ما يسألُ نفسهُ ويقول : « أما يسأم القديسون في السماء ؟ وهل تأثيرُ افراحِ الفردوس فينا ، كتأثير افراح الارض التي تبهجنا حيناً ، ثم لا نلبثُ ان نضجر منها ؟ ... »

ففي ذات صباح خرج من الدير ، قبل ان يستيقظ الرهبان اخوانه ، ونزل الى الوادي . وكانتِ الحقول مُخضلَّةً بالنَّدى ، وأزهارُها تتفتَّح امام غُرّة الفجر . فراح ألفيس يتمشى في اكناف الوادي ، بين هاتيك الاشجار . وكانت العصافير قد استيقظت ، واخذتْ تتنقَّل على اشجار الزعرور ؛ وبعضُ الفراش ترفرف ، وهي نصف نائمة ، لتجفّفَ اجنحتها . فوقف ألفيس يتأمل في تلك الحقول المنبسطة امامهُ ، وتذكَّر يومَ ظهر لهُ هذا المشهد ، لاول مرّةٍ ، فرآهُ ساحراً فتّاناً ، وكيف انهُ فكَّر في ان يقضي هناك ايامه .

وَشَدَّ ما كانت سَنةُ الابتداء عذبةً عندهُ . وكم من مرّةٍ تنزّه في تلك الاودية البهيجة ، واكتشف اموراً جميلة بهيَّة : فمن خرير المياه في السواقي ، الى تغريد البلابل على الاغصان ،

الى مشاهد ادغال العليق ، الى غير ما هنالك من المناظر الطبيعيّة التي تُبهج من رآها ، ولاسيما اوّل مرّة . وما كان الطفَ السيرَ على العشب الاخضر النضر ، في شعاب مجهولةٍ تظلّلها الاغصان المشتبكة !

لكن هذه المسرّاتِ عينَها لم تثبتْ طويلًا . فما مرّ على الاخ ألفيس حينٌ ، حتى كان قد طاف في جميع أطراف الغابة ، وسمع زقزقة العصافير ، وقطَفَ من مختلف الازهار ، وآلف النظر والسمع لكلّ ما سبق وصفه ؛ فالقت العادة بينهُ وبين تلك المشاهد ستارًا ، فصار كأنهُ لا يُبصر ولا يسمع .

تلك كانت حالة الاخ ألفيس ، فراح ينظر الى ذلك المشهد بعين لا تحفل ، بعد ان كان يرى فيهِ ، فيما سبق ، ابهجَ لذّة .

وكان يقول في قلبهِ : « إذنْ اي جمالٍ سماويٍّ يَسَعُهُ ان يَشغَلَ النفس شغلًا ابديًّا ، وهي لم يمرّ عليها حين حتى سئمت من اعمال الله في الارض .

وأخذ ألفيس يفكّر في هذه الشؤون ، ولم يشعر انهُ قد تغلغل في غابة ذلك الوادي الفسيحِ . فتوارت عن عينيهِ قبة جرس الدير ، وحجب الضبابُ الدير وكنيستهُ واسوارهُ ، حتى انّ الجبال صارت تَبينُ في الافق كأنها سحاب .

فهو كذلك وإذا غابة عظيمة ، قد انبسطت امام عينيهِ كأنها بحرٌ من خُضرة ؛ وسمع اصواتاً مختلفة مدهشة ، واستقبله أريج طيب خارجٌ من بين الاوراق .

فدخل الفيس ، وهو يقدّم رجلا ويؤخر اخرى ؛ وكان كلما سار اتسعت الغابة امامهُ ، ورأى اشجاراً قد اثقلتها الازهار ، تنشر شذًا غرياً ، حتى خُيّل اليهِ انّ طيباً ادبياً قد طيّب نفسه ، وشعر بشيء منشّط عذب ، وأحسّ كأنهُ امام صديق مخلص صادق .

ثم سمع انغاماً ملأت تلك الغابة ، فتقدّم قليلاً ، واذا هو إزاء بقعةٍ قد انتشرت فيها انوار باهرة . واذ ذاك حطّ عصفورٌ صغير على غصن شجرةٍ هنالك ، واخذ ينشد نشيداً ما كانت نقرات المقاذيف على البحيرة ، ولا حفيف الصفصاف البهيج ، ولا غناء البابل والشحرور ، ليُعدّ بالقياس الى ذلك النشيد شيئاً . فقد كان أشبهَ بنسمةٍ سماوية ، يرفع النفس ويُبقيها تتهادى في قُطر لا يُعرف ما هو . وكان ألفيس كلّما سمع ذلك النشيد ، شعر بازدياد الفرح في قلبه ؛ وكان يرى في تتابع اللحن شيئاً سرّياً لا يُوصف . فراحت الساعات تمرُّ ، والراهب لا يشعر بها .

ثم ان الانوار التي كانت منبسطةً على تلك الغابة ، اخذت تضمحلّ شيئاً فشيئاً ، وعند ذلك سُمع بين الاشجار

خفيفٌ طويل ، وانقطع العصفور عن الانشاد .

فلبثَ ألفيس ساكناً جامدًا ، كأنهُ خارج من حُلم فتّان . ثم نظر حولهُ مبهوتاً حائرًا ، وحاول ان يعود على اعقابهِ ، لكنَّهُ شعر أنَّ رجليهِ مخدّرتان ، وان جميع اعضائهِ خامدة لا نشاط لها . فشدَّد نفسهُ ، وعاد في طريقهِ ، وهو تعبٌ ، حتى بلغ خارج الغابة . وكان الليل أوشك ان يصل ، فراح ألفيس يعجّل في السير . وكان كلّما تقدّم ، يزدادُ دهشهُ ، إذ رأى أنَّ كلَّ ما في البريّة قد تغيَّر . وشاهد انَّ تلك الشجيرات التي كانت في طريقهِ ، قد صارتْ دوحاتٍ عظيمات ، كأنْ قد مرَّ عليها قرن . وفتّش عن ذلك الجسر الصغير الخشبي ، المقام فوق النهر وكان فيما مضى يعبر عليهِ ، فلم يجدهُ ، بل رأى مكانه جسرًا متيناً من حجر .

ولمَّا وصل الى البحيرة ، مرَّ بنساء ينشرنَ ثياباً على اغصان الاشجار ، وسمعهنَّ يتساءلن قائلات : « هذا راهبٌ لابس على زيّ رهبان دير اولميز ، ونحن نعرف جميع رهبان هذا الدير ، امَّا هذا فلم نرهُ قطّ ! »

فقال ألفيس في نفسه : « هؤلاء النساء مجنونات . » ومرَّ في سبيلهِ . لكنه لم يخطُ بضع خطوات ، حتى ظهرت لهُ قبّة الدير من خلال الاغصان . فجدَّ في السير ؛ وما وصل حتى اخذه

عجبٌ شديد ، اذ لم يرَ باب الدير في مكـانه . فرفع طرفه ، وتوقّف مدهوشاً : فإنّ هيئة الدير كانت قد تغيّرت ، وسورهُ اتسع ، وأبنيتهُ تكاثرت . وشاهـد تلـك الدلبة التي كان قد غرسها ، منذ بضعة ايام ، امام المعبد ، قد صارتْ شجرةً عظيمة ، وبسطت أغصانها فوق ذلك الحمى .

فضاع صوابهُ ، واتجه الى المدخل الجديد ، وقرع الجريس قرعاً خفيفاً ، فسمع غير رنّة ذلـك الجريس الفضّي القديم . واقبل راهب شابّ ، وفتح لهُ .

فقـال ألفيس : « ماذا حدث لديرنا ؟ واين الاخ البواب انطون ؟ »

قال الراهب : « ايّ انطون تُريد ؟ فليس لي معرفة بأخ يُدعى بهذا الاسم . »

فرفـع ألفيس يده الى جَبهته ، وقد اخـذ منهُ الذُّعر ، وقال : « تُرى هل جُننت ! أليس هذا دير أوليز الذي خرجتُ منهُ في هذا الصباح ؟؟ ... »

قـال الراهب : « لقد مرّ عـليّ خمس سنين ، وانا بوّاب للدير ، ولم أرَك ولا عرفتك . »

فأدار ألفيس بصرهُ الى ما حولهُ ، فرأى رهباناً كثيرين ، يجولون في الدير ، فناداهم ، فلم يردّ عليهِ احد ، اذ سمعوا أسماء

غريبة . فاسرع نحوهم وحدّق إلى وجوههم ، فلم يعرف منهم احداً ، فصاح : « أو حدثٌ في هذا الدير احدى عجائب الله !... سألتكم بالله ، يا اخواني الرهبان ، أن تنظروا اليَّ ؛ ألم ترونني قطّ ؟ او ليس منكم من يعرف الاخ ألفيس ؟ »

وبعد هنيهةٍ ، أجاب احدُ الرهبان ، وكان اكبرهم سناً ، وقال : « بلى قد كان ، فيما سلف من الزمان ، راهبٌ في هذا الدير يُدعى بهذا الاسم ، وقد سمعتُ ذلك من الرهبان الذين تقدّموني . وقد اخبروني أنّ هذا الراهب كان كثير الهواجس والتفكّر ، يُحبّ العزلة والانفراد . فنزل يوماً الى الوادي ، فرأوهُ يتغلغل في الغابة ، وقد انتظروه فلم يرجع . ومنذ ذلك الحين ، لم يعودوا يعرفون من خبرهِ شيئاً . وها قد مرّ على هذا الحادث مائة سنة . »

فلمّا سمع ألفيس هذا الكلام ، صاح صيحةً خرجت من اعماق فؤاده ، ورأى أنّهُ قد ادرك كل شيء . فخرّ على قدميهِ ، وضمّ يديهِ وهتف : « اللهمّ ، لقد شئت ان تُبرهن لي انّي كنتُ غِرًّا أحمق ، حيث كنت أقابل افراح الارض بافراح السماء . فها قد عبر عليَّ قرن كامل ، وانا أحسبهُ يوماً واحداً . الآن قد فهمتُ السماء ومسرّاتها الدائمة . فكن ، يا ربّاه ، كنْ مباركاً ، وجُدْ بالمغفرة على أحقر عبيدك .

ولما انتهى ألفيس من قوله ، بسط ذراعيهِ ، وقبَّل الارض شاكرًا ، ولبث لا يُبدي حراكاً ... فتقدم منه الاخوة ، فاذا بنفسهِ قد فارقت جسده !

هل تريد ان تضحك ؟

ثارت الريح على المركب ، وضربتهُ الامواج ، فاضطرب الرُكابُ وخافوا الغرق. وفيما هم كذلك ، إذا بحوتٍ عظيم جائع قد دنا منهم ؛ فطرحوا لهُ مقعدًا من خشب ، وشفعوه بصندوق مملوء برتقالًا ، ثم رموا اليهِ ايضاً رجلًا صينيا ورجلًا هنديًا .

وبعد حين وجدوا الحوت على الشاطئ ، ففتحوا جوفه ، فرأوا الصينيّ جالساً على الخشبة ، وهو يبيع الهنديَّ برتقالًا .

*

اختصم سكرانان ، فزعم الأوَّل : « أنَّ الكوكب الذي كان حينئذٍ مضيئاً ، هو الشمس . وقال الآخر : « بل هو القمر . » فمرَّ بهما رجلٌ ، فقالا لهُ : « ما اسمُ هذا الكوكب المضيء علينا ؟ »

فأجاب : « لا اعلم ، فانا لستُ من هذهِ البلدة . »

*

قال بعضهم : « قد مرَّ عليَّ سنتان ، ما كلَّمتُ فيهما امرأتي قطُّ ! » فقيل لهُ في ذلك . فقال : « لأنّي ما أردتُ أن أقطع عليها الكلام . »

*

عاد رجلٌ الى منزلهِ متأخرًا ، سكران . فقال لامرأته : « ايَّ ساعة

هي الان : » قالت : « الساعة الأولى بعد نصف الليل . »

واذ ذاك دقّت الساعةُ ثلاث دقّات.

فقال السكران: « قد علمت أنّني في الساعة الأولى ! فلا حاجة إلى أن تُعيد عليَّ الساعةُ ذلك ثلاث مرّات.

*

كان رجلٌ يعيش بدراهمَ يستدينها من هنا وهناك ، ولا يردّها على أصحابها أصلًا . فقصد ذات مرةٍ القديس فرنسيس سالوس ، وسأله أن يقرضهُ عشر ليرات . فأجابه الحبرُ بكلّ لطف: «أعطيك خمس ليرات فقط ، وهكذا يكونُ كلٌّ منّا رابحًا .»

*

وقفت امرأة أمام القاضي ، فقال لها : « كم سنةً عمرك ؟ »

قالت : « تسع وعشرون سنة . »

فاجابها القاضي فورًا ، وهو يتبسم : «مِنْ كم سنة بلغت هذا العمر ؟ »

*

الأمّ : «كيف أمكنك ، يا عزيزي يوسف ، أن تأكل قرص الحلوى ، من غير أن تفكّرَ في أختك ؟ »

يوسف : «من قال لكِ هذا يا أمّي ! فإني لبثتُ أفكّرُ ، أفكّرُ في أختي ، حتى انتهيت من أكل القرص كلّهِ . »

الأم : « اذن قد فكّرتَ فيها ؟ »

يوسف : « نعم . . . وكنت خائفاً أن تصل قبل أن انتهي من الأكل . »

رثاء الرّامي

من قصيدة في رثاء المرحوم « البرلاي » يوسف بك الرامي
تُوفي في « الصالومه » ، قرب بيروت ، ليلة عيد الميلاد ، سنة ١٩١٦

يا راحلًا ، وعيونُ الفضلِ تندبهُ
بدمعٍ سَيْلُهُ ينصبُّ كالمطرِ ،
يَرثي نُهاكَ رجالُ الطِبِّ ، ما ذكروا
مسعاكَ من أجلهِ ، يا خيرَ مُقتدِرِ !
لكمْ رددت رسولَ الموتِ مُنشدهاً
مِنْ حِكمةٍ أنعشتْ آمالَ محتضَرِ !
وكم فقيرٍ عليلٍ قد أعدتَ لهُ
صَفْوَ الحياةِ ؛ لذا أصبحتَ في خطرِ :
إنَّ المنيَّةَ كانت ، كلّما كسرَتْ
يُمناكَ شوكتها ، تحمرُّ مِنْ وَغَرِ ؛
راحتْ تُفكِّرُ في أمرٍ تفوزُ بهِ ،
حتى أتتكَ بداء غيرِ مُنتظَرِ ؛

أَصْمَتْ حشاكَ بسهمٍ من كِنانتِها ،
ولم تكنْ أيُّها « الرامي » ، على حذَرِ ؛
فمُتَّ ، يا خيرَ مفقودٍ ، بلا عَقِبٍ ؛
لا ! أنتَ حيٌّ بذكرٍ غيرِ مُندثِرِ !
خدمتَ دولة تركيّا بلا ملَلٍ ،
وكُنت في مُشكلاتِ الطبِّ كالقمرِ ؛
فزيّنتْ رحبَ صدرٍ فيكَ أوسمةٌ
تُبقي لك الفخرَ في الدنيا لمفتخرِ !
والأجرُ في عالم الافراحِ متَّسعٌ
لمنْ قضَوْا عُمرهم في خدمةِ البشرِ ؛
ونحنُ ، يا أيُّها السادات ، في سفَرٍ ؛
فهيِّئوا صالحَ الاعمالِ للسَّفَرِ !

آفة الازياء

نظرةً ، ايها القارئ الكريم ، الى الشوارع والمجتمعات ، فترى ما يحمرُّ منهُ محيّا الانسانية ، ويندى لهُ جبين الادب .

نِساءٌ متبرّجات ، وفتيات متفخلات ، يخطِرْن في الطرق حاسراتٍ عن الرؤوس ، كاشفاتٍ عن الزنود ، لابساتٍ ثياباً قصيرة شفافة .

هذا شيء من وصف الازياء الحاضرة ، التي تخطّتْ الى العدد الكبير من ربّات الحِجال ؛ فتفاقم الشرّ ، وتعاظم الضَّرّ ، وكبُر الخوف على اسوار الآداب ان تتهدم ، والويةِ العَفاف أن تتمزق .

فأين الصُحُف الساهرةُ على الاخلاق ؟ وأين المجلات المنيرة العقول بمصابيح البرهان ؟ بل أين الخطباء والوُعّاظ من كل أُمة ، فيحملوا حملةَ رجل واحد ، ويدفعوا وباء هذه الازياء المؤديةِ الى خراب البيوت ، وضعضعة نظامها ؟

ومَنْ مِنّا لا يذكر تلك الحربَ الضروس التي عمَّ فيها البلاء ، واشتدَّ الشقاء ! أياماً ثبَتَ فيها بعض نساء بلادنا ، حتى في احرج الاوقات ، مثابراتٍ على المغالاة في إنفاق المال على

الزينة والتبرّج ، غيرَ مُصغيـاتٍ الى انـين الاطفال ، ولا مشفقـات على عويـل الارامل . فهذي ، وأيمُ الحق ، الآفة الكبرى ، والبلية العظمى .

أجلْ ، واية بلية اكبرُ من تدرّج الفتـاة ، بسبب هذه الازياء ، إلى خسارة الحشمة ؟ واية آفة اعظم من تبذير مـال نحصّلهُ بعرق الجبين ، فنُنفقهُ على هدم اسوار الشبيبة ، ولاسيما ونحن الان خـارجون من حرب افرغت الجيوب ، وخرّبت البيوت ؟

وكأني بالسيدات يعترضن عـليّ قائلات : « مـا ذنبنا ؟ فهلْ نحن اخترعنا هذه الازياء ؟ لا ! لكنّنا ، مع اطّلاعنـا على مضارّها ، لا يمكننا إلّا ان نخضع لسلطانها ؛ فإنّ لهـا سطوةً اشدّ من سطوة الملوك الفاتحين . فاذا خالفنـاها ، قامت علينـا أنصارها ، فحطّوا من قدرنا ، وعرّضوا بناتنـا للبوار . فـلا يسَعُنا اذًا ، الا ان ننقاد لها ، وما علينا في ذلـك إثمٌ ولا حَرَج . لان نيّاتِنا سليمة وقلوبَنا طاهرة . »

فهذهِ أعذارٌ لا تُجدي فتيلًا . ولقد كان الاجدر بالسيدات ان يعترفن بانّ التدلُّلَ هو الدافع لهنّ الى مُجـاراة الازياء . أو قُلْ : « هو الحياء البشري يعوقهنّ عن الإصغـاء الى صوت الضمير ، ويَصدُّهنّ عن التصوُّن بثياب العفاف والاحتشام ! »

لكنَّ هذا الحياء لا يعذرُ النساء الصالحاتِ والفتياتِ التقيّات .

وان النية السليمة التي يدَّعين بها ، لا تبرّئ ساحتهنَّ من تَبِعة العواطف الخبيثة التي تتحرَّك في قلوب الناظرين .

اما ادّعاء المرأةِ أو الفتاة بأنها تُعرِّض نفسها للهزء ، اذا لم تجرِ على الازياء ، فتلك دعوى باطلة . وهؤلاء السيّدات في فرنسة ، من اشرف الأُسر ، وأوفرها ثروةً ، يلبسنَ الثياب البسيطة الساذجة . أمَّا ما نراهُ من الازياء الخلاعية في صُحُف الازياء ، فليس هو للسيدات الكريمات ، بل مُعظمهُ لنساء المراقص والخلاعة . وأمامنا الان ، في بيروت ، مِثالٌ من سيدات فرنسة الشريفات ؛ فلتتعلَّمْ نساء بلادنا منهنَّ السذاجة في الملبوس ، وليذكرْنَ قول الشاعر :

« ليس الجمالُ باثوابٍ تزيّننا :

إنَّ الجمال جمال العلم والادبِ ! »

وان العقلاء لا يضحكون من السيدة التي عليها ثيابٌ فصَّلها الذوق وخاطها الاحتشام ؛ بل هم يَسْخرون من تلك الجَلِعةِ اللابسةِ ثياب الخلاعة والتهتك . واللهُ أدرى بما تسبّبهُ لنفسها فتاةُ الزّي الحديث ، من الهزء والسخرية ، كلما خطرت في الشوارع ، وظهرت في المجتمعات .

وإن الاختبار يُرينا أنَّ ذوي البصائر من الشبان ، يرغبون عن الشابّات المتسارعات الى الازياء ، ويُقبلون على الاقتران بتلك الفتاة التي تتلألأ على ثيابها البَهْجةُ والرصانة والتصوُّن .

لكن الزواجَ في ايامنا اصبح نادرًا . ومن اعظم أسبابِ نَدْرتهِ ، كثرةُ مقتضياتهِ ، بسبب تطلُّب فتيات هذا العصر . وهكذا تبقى الشبان عُزّاباً ، وتَلْبَثُ البناتُ في بيوت آبائهنَّ عوانس .

هذا ، ولو جئنا نذكر الامراضَ الجسميَّةَ التي تسببها هذه الازياء ، لطال بنا الكلام .

ثم ان للآداب الدينية شرائعَ تُعلّمنا كيف ينبغي ان يكون ظاهرنا ، بعد ان نُصلح باطننا ؛ ومَنْ خالف هذه الشرائعَ ، أهان الله . وهذه الإهانة تكون على قدْرِ المخالَفةِ ، وكبرِ الشكِّ الذي تسببه .

وهذا الكتابُ المقدَّس ، يعنّف « تامار » التي نزعت ثياب الترمُّل ، ولبست ثيابَ العاهرات ؛ ويقرّع « ايزابلَ » لانها تكحّلت وتبهرجت ، لمّا رأت « ياهو » مُقبلًا .

ولله درُّ اشعيا النبي ، حيث يتهدد بنات اورشليم ويقول : « قد اختالتْ بناتُ صهيون ، ورُحْنَ يمشينَ مُتلعاتِ الأعناق ،

يُخلخانَ بخلاخلِ أقدامهنَّ ؛ لكنَّ السيدَ سيُصلعُ هاماتِ بنات صهيون ، ويُزيل فخرَ الخلاخل والأهداب والاسورة والخواتم والخلع والاقمصة ، ويكونُ لهنَّ النتنُ بدلَ الطيب ، والقرعُ بدل تجميد الشعر ، والكيُّ بدلَ الجمال . »

وقد اختصر بولس الرسول كلام الانبياء في صدد ما نحن فيه ، حيث يقول : « أريد ان تكون النساء بزينة لائقة ، على مقتضى الحشمة والتعقل ، لا بتجعيد الشعر ، او بالذهب ، او اللآلىء ، او الثياب الكثيرة الثمن ، بل بما يَليقُ بنساء قد تعاهدنَ العبادة بالاعمال الصالحة . »

ويُخيَّل الينا انهُ لا يمرُّ زمن حتى تصل الازياء الى درجة من التهتك ، لو تمثَّلتْ لنا الآن ، لهالنا أمرُها .

فعلى العقلاء اذنْ ان يتبصروا في ذلك ، ويُوجبوا على نسائهم وبناتهم وكلِّ مَنْ كان من صاغيتهم ، مقاطعةَ هذه الازياء الهاجمة على الاخلاق الكريمة هجمةَ الذئاب على الغنم .

وأجْدِرْ بالسيداتِ الفاضلات ان يُكثرن في مجتمعاتهنَّ مِنْ ذِكر المضارِّ الناشئةِ عنها . ونحن على ثقة من أنهُ لا يُعجزُهنَّ انَ يَصْدِمْنَ هذه الازياء ، الزاحفةَ على فتياتنا ، صدمةً لا تقوم لها بعدها قيامة . فان تلك التي قال عنها نابوليون :

« إنها تهزُّ السرير بيمينها ، والارضَ بشمالها » ، يُمكنها ان تستعينَ برفيقاتها ، ذواتِ الذكاء والصلاح ، على ردِّ هذه الآفة ، وإنقاذ الوطن من شرّها ؛ والسلام .

أيهما أسرع

قصد يوماً احد آباء العيال الى احد الكهنة الافرنسيين الافاضل واطلعه على سوء حالتهِ الماديَّة ، واستشاره فيما يعمل .

فاجابهُ الكاهن : « خذ هذا اللجام . » واشار الى لجامٍ معلّق في الجدار ، فلم يفهم الرجل شيئاً .

فواصل الكاهن الكلام وقال : « واذهبْ وعلّقه في عنق الفرس الذي تراهُ لمامك في هذه الحديقة ، ثم تمضي وتبيعهُ في السوق . »

فتلعثم الرجل وقال : « هذا الفرس ؟ . . . »

قال الكاهن : « نعم ، هو فرسي ، وأنا أهبهُ لك . »

وكان الكاهن المذكور قد وهب خمسة او ستة افراس على هذه الصورة . وهذه الافراس قد وصلت اليهِ وراثةً من ابيهِ .

ثم قال الكاهن للرجل متبسماً : « الانسان في سيره الى السماء ماشياً ، أسرع منه راكباً . »

يومُ الاستقبال

زُرْتُ، وصديقاً لي، احد بيوت العاصمة، لامرٍ يعود على هذا البيت بالنفع والخير.

قرعنا الباب، ففُتح.

فدخلنا، واذا الدار غاصّةٌ بالسيدات، وهُنَّ في هَرْجٍ وضحكٍ ولَغَطٍ اشبه بلغط الجِنّ!

فسألتُ الخادمة: «ما هذا الجمع؟»

قالت: «هذا يومُ الاستقبال عندنا.»

سلّمنا وجلسنا ونظرنا: فاذا على السيدات ثيابٌ وحلًى تتلألأ شموساً، وكل سيّدة تدخّن «بالنارجيلة» او «بالسيكارة»، وامواجُ الدخان تتصاعد من الافواه، فتتلاطم، فتتلبّدُ في تلك الدار غيوماً تُفسد الهواء، وترشُّ على الحاضرين مختَلِف الجراثيم.

ورأيت في رأس كل «نربيش» حَلَمَةً من ذهب معقودةً الى صدر السيدة بسلسلة من ذهب، ولفائفَ التبغ، وقد قَبضتْ عليها انامل المدخِنات بملاقطَ من ذهب ايضاً، واطباقَ القهوة تُدارُ على الجميع بجودٍ وسخاء.

وأصغيتُ الى الحديث، فإذا هو شجون: انتقلتْ فيه

السيّدات من الكلام عن الازياء الى المصوغات ، الى الحلى ، الى العطور ، الى الاقمشة ، الى الاثاث ، الى الانتقاد على بعض البيوت ، فرشقن أصحابها باوصاف الشحّ ، والبخل ، والتقتير ... الى غير ذلك من الاحاديث الباطلة ، التافهة ، الاثيمة !...

ثم أُتي بمائدة طويلة ، عريضة ، تَميدُ بما عليها من اقراص الحلوى وانواع النقل والشراب .

فأكلنَ مريئاً وشربن هنيئاً .

وطالتِ الزيارة ... حتى ضاقتْ منّا الصدور ...

وكان ختامُ الحديث أنّ يوم الاستقبال ، في الغد ، يكونُ في دار فلانة ، وبعد غد ، في دار فلانة الخ ...

فهمستُ الى رفيقي الشابّ وقلت : « كيف رأيت الآنسة ؟ هل أعجبتك ؟ وهل تودُّ ان تُلقي بكلمة الى ربّة البيت ؟ »

فاجابني ، والحسرةُ تتصاعد من صدره : « أنّى لي ، ايها الصديق ، ان اتخذَ عروساً من بيتٍ تعوّدَ امثالَ هذه الاستقبالاتِ وهذه النفقات ؟ بِرَبِّكَ ! دعني أصعد الى إحدى قرى لبنان ، فاختار عروسي بين القرويات ، لاني لا أشاء ان يكون بيتي مَجْمَعاً للخلان ، ومَلْهىً لسيداتِ هذا الزمان !...

ايضاً يوم الاستقبال!

أخبرني صديق لي، قال:

«كنتُ، قبل امس، عند أحد تجار بيروت، فتناول جريدة البشير وأعاد عليَّ قراءة مقالة «م. غ.» التي عُنوانها «يوم الاستقبال»، ولما انتهى، صاحَ: «ليحيَ م. غ. وليعش البشير!...»

ومن لطيف ما حدث، أنْ وصلتْ حينئذٍ خادمةُ التاجر المذكور، وقالت له:

«سيدتي تسألك ان تُرسل إليها، اليوم عند الظهر، بصندوقِ «بسكويت»، وصندوقِ «شوكالاته»، واقّة «تنباك» عَجمي، وعشر علب «سواكير إكسترا»، و«دزينتين بيرا» وخمس نارجيلات مع لوازمها - لان النارجيلات التي عندنا لم تعدْ تكفي - وليتر «كولونيا»، ولوحَيْ ثلج معمل و...»

فقطع عليها التاجر الكلام وقال: «ما الداعي الى كل هذه الامور؟!»

أجابتِ الخادمة: «اليومَ يومُ الاستقبال عندنا!»

فوثب التاجر على قدميه ، وصاح في وجه الخادمة وقال :

« قولي لمعلّمتك . خلِّيهم يأكلوا هوا »

قال المخبر :

« فضحكتُ حتى كدت أقع على الارض ، وقلت :

« عاش البشير وعاش السامعون لنصائحه ! »

جواب لطيف

الأب : « تذكّر ، يا بُنيّ ، أنّ في العالم أشياء كثيرةً تفوق المال قيمةً وثمناً . »

الابن : « نعم ، أنا اعرف هذا ، يا أبي ، لكنّ هذه الأشياء لا تُشترى بالمال . »

في القطار

ركب القِطارَ أبٌ وابنةٌ لهُ عمرها خمس سنين . فوقفت تنظر من النافذة ، والقطارُ يسيرُ مسرعاً : ثمّ التفتت إلى أبيها وقالت : « ما لي أرى الاشجار تفرُّ مسرعة ؟ فهل هي خائفة من القطار ؟ »

فرق عاذر

كان صبيٌّ يتمرّن على اصطياد العصافير بالمقلاع . فأقام مدّة يرميها ، ولم يُصب . فمرّت بهِ امرأة صالحة ، وقالت له : « ألا تخجل ممّا تعمل ؟ فأنا ، طول حياتي ، ما أسأت الى عصفور قطُّ ! فاجاب الصبيُّ وقال : « وأنا أيضاً ، يا سيدتي ، فاني ما أصبتُ عصفوراً . »

في جَوْف الليل

برز القمر من وراء الافق ، فانبسطتْ أشعَّتهُ على قصورِ البندقيَّة ورياضها ، فخرج ساكنوهـا يجولون في الشوارع ، وهم يتجاذبون أذيال السَّمر . وهم كذلـك ، إذ لمعت سيوف البرق ، وزأرت أُسود الرعد ، ثمَّ هبَّتِ الريح ، وضربت خيمة الغمام ، فحجبت كلّ نور ؛ فأسرع المتنزّهون في العود الى منازلهم قبل سقوط المطر .

وكانت الساعة العاشرة ، فأُغلقت الحـانات والملاهي ، وأخذ عدد المارّين يقلُّ شيئاً فشيئاً ، حتى اقفرت الشوارع ، ولم يبق الّا رجال الدرك في بعض المواقف يحرسون .

فلم يمضِ عـلى ذلك السكون حينٌ ، حتى سَمع الحَرَسُ وطْءَ أقدام ، فشدّدوا النظر ، فاذا رجلٌ اسود اللباس ، يسعى حثيثاً ، وعلى عـاتقهِ فراشٌ حجب وجهه ، فنـادوا : « من الرجل ؟ » فواصل الساعي سعيه ، ولم يُحِرْ جواباً .

فصاح الحرسَ : « مكانك ! » فوقف ...فدنوا منهُ وقالوا :

— « ماذا على كتفك ؟ »

— فراش .

— — لمن ؟

— لمريض بائس .

— ومن أنت ؟ ... فسكت ...

فدنا منهُ حارسٌ ليمسكهُ ، لكنَّهُ ما شاهد وجههُ ، حتى ارتدَّ الى الوراء وصاح : « بطركُنا ، في جوف الليل ، وبهذا المكان !... »

قال : « نعم . »

فقال الحارس : « يأذنُ لي ، سيدي البطريرك ، ان احمل عنهُ هذا الفراش ، وأسير في خدمتهِ ؟ »

قال البطريرك : « لا ، بل تبقى في مكانك لقضاء واجبك . »

فقال الحارس : « ذلك لا يكون ! فلا بدَّ من حمل الفراش عنك ، والسير في خدمتك . »

وهتف الحرَّاس قائلين : « بالله عليك ، يا مولانا ، لا تحرمنا هذا الشرف ! »

فقال البطريرك : « رضيت ، على شرط ان تكتموا هذا السرّ ، فلا يدري بهِ احد . »

فواصل بطريرك البندقيَّة سيره ، وبين يديهِ الحرَّاس المذكورون .

*

أتعرف ، أيُّها القارئ العزيز ، مَنْ هو بطريرك البندقيَّة هذا ؟... هو ذلك الحبر الصالح الذي أهّلتهُ فضائلهُ لان يكون خليفة السيد المسيح ، ويجلس على السدَّة البابويَّة باسم بيوس العاشر ! (١

ففي ذلك اليوم ، كان هذا الحبر الفاضل يتفقَّد ، كعادتهِ ، أبناء رعيَّتهِ ، فرأى بينهم مريضاً فقيراً مضَّجعاً على الحضيض ، فتأثر كلَّ التأثر .

فلما كان الليل ، دخل الحبر غرفتهُ لينام ، فذكر المريض المسكين ، فانقبض وقال : « أنام على فراشٍ وثير ، والمريضُ المسكين يحتضر على الحضيض !... لا ، لا ! ما تلك شيمة الرعاة !... فنهض للحال ، وتعجَّل طيَّ فراشهِ ، وحملهُ على كتفهِ ، وراح يسعى في جوف الليل ...

---

١) منذ حين طلب جمهورٌ من الكرادلة أن يُبدأ بقضيَّة إدراج بيوس العاشر في عِداد الطوباويين

عرفان الجميل

من قصيدة في الامير سعيد ، حفيد الامير عبد القادر الجزائري

يا ابن الامير الذي قد سَلَّ صارمَهُ
يوماً ، ليدفعَ عنّا ظُلْمَ مَنْ ظلموا ،
« قسمْ تسدْ » كانَ مَبْدا التُرْكِ ، فاشتعلتْ
ما بيننا فتنةٌ ضجَّتْ لها الامم ؛
فهبَّ جَدُّكَ – حيّا الله تُرْبَتَهُ –
وكرَّ بالسيف يحمي مَنْ به اعتصموا !
قضى الليالي سهرانا ، وفي يدهِ
سيفٌ عليه شِعارُ المجد مُرتسمُ !
فكيف ننسى نصير الحقِّ في زمن
كانت حقوقُ عبادِ اللهِ تُهتضَم ؟ !
لا كانت الترك ! إنَّ الترك قد بذرتْ
بين الطوائف حِقْدًا جَنْيُهُ النَّدمُ !
مرَّتْ قرونٌ بنا ، والعدل مندثرٌ ،
والظلمُ منتشرٌ ، والحقُّ منهزمُ ؛
لذاك قامتْ ملوكُ الارضِ شاهرةً
حُسامَ عَدْلٍ عَلَى الظُّلّام ، فانهزموا !

وكنت ، يا أيُّها المولى ، مبشِّرَنا
بالبرق : «أنّ جيوش الترك قد هُزموا !»
مَحقْتَ رايتهم في الشام ، فامّحقتْ
بمحقها صفتانِ : الظُلْمُ والظُّلَمُ !
ورُحْتَ تُرجع مجدًا كان من قدمٍ
للعُرْبِ في الشام ، لمّا رفرف العلم !
كذاك نحن عَلَى لبناننا ارتفعتْ
رايات ارزٍ علاهَا الشَّيْبُ والهرم ؛
فعاش ذَابِلُها ، واخضرّ يابسها ،
وقام يحرسها صمصامُنا الخَذِمُ !
عاشتْ فرنسا ، وعاش النصر يخدمها ،
وعاش في ظلّها الإنصافُ والكَرَمُ ؛
وعاش ، من فوق سوريًا ، لها عَلَمٌ
تَفيضُ منهُ على أوطانِنا نِعَمُ !
نَعَمْ ، نُريد فرنسا أن تُظلّلَنا
بظلّ رايتها ؛ نادُوا : «نعم ، نعمُ !»

ايها الفتى

ان الكفاحَ في هذه الحياة ، والفوزَ بالفلاح ، وتسلُّط الانسان على نفسه ، هو كفاحٌ مستمر دائم !

لذلك توجَّبَ على كل امرىء أن يستعينَ بكلِّ ما يُساعده على الظفر ، ويفتح عينيه ليحذر كل عقبةٍ تعترضهُ في هذا السبيل .

ولكن ما أقلَّ عددَ الفتيانِ الذين يحفلون بالوسائل المؤدية الى بلوغ المنى ! بل ان بعضهم يبلغون سنَّ الكمال ، ولا يتوصلون إلى معرفة الاسباب التي من أجلها أخفقَ البعض وأفلحَ البعضُ الاخر .

فاذا شئت ، ايها الفتى ، ان تُتمَّ في هذه الحياة امرًا ، لزمك ان تضع امام عينيك غايةً تجري اليها . وثقْ ان كلَّ حياة لا غاية فيها ، تكونُ حياةً عقيمة .

فلتكنْ اذًا غايتك في حياتك نُصبَ عينيك أبدًا . واجمعْ قُواكَ ، وجِدَّ في طلب الخير لوطنك ، والتمجيد لالهك ، والنُّصرة للحقّ .

واطمعْ طمعًا ساميًا شريفاً ؛ فإنَّ الانسان الخالي من هذا

الطمع المقدس ، لا يأتي في هذه الحياة شيئاً يذكر. فكم من رجال زانهمُ اللهُ بقوة الجسم وصحّة العقل ، ولم يُنجزوا امراً تحتهُ طائل ؛ وذلك لانهم ضاعوا في سُبُلِ الحياة ، إذ لم يكن لهم غاية يَجْرون اليها .

قوِّ نفسك بقراءة سيَرِ الرجال الذين كافحوا خير كفاح ، فلم تَمنعهم الموانع ، ولا صرفتهمُ الصَّوارف عن الوصول الى ما أرادوا .

سَدِّدْ نظرك الى اسمى الامور ، وعجِّلْ في إطلاق سهمك اذا شئت ان تُصيب المرمى . واذا بلغت من عمرك الاربعين ، ولم تصِرْ رجلًا ، فاعتقد أنك لن تكونهُ ابدًا .

وحذارِ أن تخجل من العمل ، مهما كان حقيرًا ، بل كُن مُجِدًّا ، شَغِلًا ، فتحيا حياة سعيدة ، وتتمتع بعافية نضيرة ؛ فان العمل جلّابُ الشهوةِ للطعام ، واكبرُ مساعد للهاضمة ، وافضلُ مُعين للنوم المفيد . واعلمْ أن لنا في العمل ، من البركات ، اكثرَ مما لنا فيه من التأديب والقصاص ، وهو خير كفيل للراحة والسلام .

الرب يُعطي ويمنح ، ولكنْ علينا ان نَمُدَّ أيدينا لنقبل مِنَحَهُ وعطاياه . فهو — عزَّ وجلَّ — يُعطي الذهب والفضة والنُحاس وسائر المعادن ؛ ولكنْ على الانسان أن يستخرجها

من معادنها لينتفع بهـا . وهو – عزّ اسمهُ – يُعطي الحنطة والشعير ؛ ولكن على الانسان ان يَحرُثَ ، ويزرع ، ويحصُد . إنَّ الاعشابَ الرديئة تنبت من تلقاء نفسها ، امـا الحبوبُ الجيّدةُ النافعـة فتُبذر . فشريعةُ العمل شريعةٌ عامّة ؛ فلا يمكن ان يتمّ لك امرٌ ، إلّا بعد الانتصار على الكسل .

العمل يُصيّرُ الرجل كاملًا بيّنَ الرجولية ، ويَضْمَنُ لهُ سعادة الضمير .

والرجلُ الشغِل ، العمِلُ ، يسبُقُ الرجلَ الذكيَّ المعتمدَ على نفسه ، المؤمّلَ أنَّ حُسْنَ الحظّ سيكللهُ بالفلاح .

الرجلُ الشَغِل ، النشيطُ يَنهَضُ باكرًا ، وينشط الى العمل بِهمَّةٍ ، فيقضي ، قبل الصَّبوح ، (الترويقة) من الاعمال ما لا يقضيها غيره في سحابة يومه .

فاذا شئت ان تعمل عملًا يُذكر ، فسرْ كذلـك ، وابدأ اولاً بإتقان الاعمال الصغيرة .

أسرار المحبة

١

سنة ١٨٣٢ ، انتشر في فرنسة وباءٌ هائلٌ ألقى الرعب في جميع القلوب . فأخذ الناس يولّون هاربين من وجههِ ، لأنَّ الخطر كان يتهدَّدُ كلَّ احد .

ولم يكن الطبُّ ، في ذلك العهد ، قد وجد لذلك الوباء دواءً ؛ فراح الموتُ يجرف الناس جرْفاً ، حتى ضاقت المقابر ، ولم تَعُدِ الاجراسُ تُقرعُ الَّا حُزناً .

فكنتَ ترى الكهنة وراهباتِ المحبَّةِ مُسرعينَ لخدمةِ المرضى ومنح الاسرار ؛ فلم تُعدَمْ تلك العاصمة البهيجة من أناس بُسلاء عرَّضوا حياتهم لاشدّ الاخطار ؛ فسقط كثيرٌ من الكهنة ، والراهبات ، والاطباء ، وماتوا ضحيَّة الواجب . لكنَّ ذاك الفراغ الذي تركوهُ ، كان يُملأُ حالًا ، ويتقدَّم غيرهم ليقوموا مقامهم ، على مثالِ ما يحدُثُ في ساحات الوغى ، إذ يفتحُ المدفعُ ثُغرةً ، في جَبهة الجيش ، فيسرع الجنود ، وينضم بعضهم الى بعض ، فيُصلحون الخلل ، ويرأبون الصدع .

وهكذا ثبت رجالُ الله ، أمام ذلك الرعب العامّ ، وقاموا بواجبهم أتمَّ قيام !

وعند الصباح كنت ترى الفقراء في شوارع باريس ، يسيرون زرافاتٍ زرافاتٍ ، قاصدين بيوت الكرماء لطلب الصدقة ؛ وكان لا يرجع الواحدُ منهم إلى عيلتهِ إلّا رأى أن قد نقص عددُها !

وإنَّ عيلاتٍ كثيرة كانت تعيش بعمل أيديها وتقوم بحاجاتها ؛ فأصبحت بسبب ويلاتِ البلاء في ضيقٍ شديد ؛ فاضطرَّت إلى الاستعطاء والوقوف على الابواب ، فكانت تستر آلامها كما يُستر العار .

وبين تلك الازدحامات كنت ترى راهباتِ المحبَّةِ يُرفرفنَ باجنحتهنَّ البيضاء ، مفتّشاتٍ عن البائسين الذين يصدُّهم الخجلُ عن مزاحمةِ الغير في طلب الصدقات .

وكان بين غمار اولئك الفقراء ، امرأةٌ سترت رأسها ببرنيطةٍ مجعَّدةٍ ، وأخفتْ وجهها ببرقع رثٍّ ، ويديها بقفّازين عهيدين ، والتحفتْ لابرداء كان ثميناً . وكانت تقفُ أبدًا صامتةً ، فلا تطلبُ شيئاً ولا تشكو من أمر . فإذا تصدَّقوا عليها أخذتْ ، وإلّا ، عادتْ صفرَ اليدين . ولبثتْ ، على هذه الحالةِ أيامًا طويلةً ، ولم يطّلعْ على سبب شقائها أحد ، ولم

يُعرَفُ أين بيتها ، ولا مِنْ ايِّ زاويةٍ تأتي . لكنَّ رزانتها وسيماءها كانا يدلّان على كرم أصلها ، فكانوا يحسبون أنها كانت ذات يسارٍ فافتقرتْ ، وأنها ارملة ليس لها معين .

وإنَّ إحدى الراهبات القائمات بمساعدة الفقراء — واسمها أنجليك — لحظتْ تلك المرأةَ وراقبتها ، واخترقتْ ذلك البرقع الكثيفَ الساترَ لوجهها ، فرأت أنَّها شابَّةٌ في مقتبل العمر ، فصارت تتقرَّبُ اليها ، وتحادثها لتطَّلعَ طِلْعَ أمرها ؛ فكانت المرأةُ تُجيبُ اجوبةً مُبهمة . فلم تشإ الراهبة ، بعد ذلك ، أن تُلحَّ عليها في السؤال ؛ لكنَّها لبثتْ تراعيها دائماً عن بعد ، وتقلقُ ، إذا لم ترَها مرَّةً بين جمهور فقرائها ، وتصير تبحثُ عنها بنظرها ، وتخشى أن يكون الوباء قد نزل بها . وكانت لا تعرفُ محلَّ إقامتها ، وتخاف أن تبقى بغير مُعين .

وكان قلب الراهبة يزدادُ بتلك المرأة تعلُّقاً ، يوماً فيوماً . وذات مرَّةٍ ، وقع نظرُ الواحدة منهما على الأخرى ، فأحسَّتِ الراهبة بميلِ المرأةِ اليها . ومن ذلك الحين عُقدتْ بينهما صداقةٌ خاصة ؛ فكانت الراهبة تصلّي من أجلها ، وتتمنَّى أن تطَّلع على كُنْهِ أمرها ، وترجو ان تصل يوماً الى معرفة بيتها .

وكانتا ، في كلّ صباح ، تتقابلان عن بعد ، فتوصل الراهبةُ اليها صدقةً لم تكن المرأةُ تلتمسُها الّا بحضورها بين

الفقراء وتشفعُ تلك العطيّة بانعطافٍ خاصّ ، بحيث كان لتلك المرأةِ في قلب الراهبة المفتوح لكلّ بائسٍ ، محلٌّ خاصّ .

٢

في تلك الأيام كانت احدى السيدات الشريفات تقطن في قصرٍ لها بديع ، قائم في شارع « لِيل » ، وهي متزوّجةٌ ، حديثاً ، واسمها الكونتس ماري . وإنّ تلك المخاوف والرعبات التي كانت تملأُ مدينة باريس ، لم تدنُ من تلك السيّدة الكريمة ؛ فكانت تواصلُ الزيارات وتدعو الناس اليها ، فيمتلئُ قصرها من نخبة الباريسيين .

ولم تكن السيّدةُ ذات جمال ، لكنّ لطفها وذكاءها وثاقبَ عقلها كان يجذُب اليها جميع القلوب . وكانت تستعينُ بما لها من المقدرة والمال على استبقاء اصدقائها والاحتفاظ بهم ؛ وتبذل وسعها كي لا يفارقها أحدٌ منهم ؛ وتقيم الحفلات وتكثر من أسباب الطرب ، وزوجها يُساعدها في جميع ذلك .

فكان اصدقاؤها يظنّون انّها تريد أن تتلهّى عن الافتكار بأخطار الوباء .

امّا هي ، فكانت ، بين هذه الحياة العالميّة ، لا تنسى الفقراء . وكان لها قيّمٌ يسير على أمرها ، ويوزّعُ الصدقات بكل سخاء . لكنّها ، لبعض الاسباب ، ما كانت ترضى قطُّ بمقابلة

البائسين ، ولا تُواجهُ من يسعى إلى جمع الحسنات ، رجالًا كانوا او نساء ؛ وتكتفي بإفاضة الخير على المحتاجين ، من غير أن تستقبلهم في قصرها . وكان القيّمُ يمثلُ امامها ، عند الساعة الثانية بعد ظهر كلّ يوم ، فتُلقي اليهِ بلائحةٍ مفصّلة كتبتها بخطّ يدها ، تتضمّنُ انواعَ الصدقات التي يجبُ أن تُوزّع : فكان عليه أن يسعى لحمل الوقود الى هذا البيت ، والخبز إلى ذاك ، وأن يدعوَ الطبيب إلى هنالك ، الخ .

وكانت ، في بعض الاحيان ، تضمُّ الى الصدقات شيئًا من اللعب والصور والحلويات ، وتذهبُ بنفسها إلى بعض المنازل ، حيثُ لم تكنِ الحسناتُ وحدها تكفي لإزالة الكروب ، فتبذل الجهد في تسلية المصابين وإدخال التعزية على قلوبهم . فكنت تراها تسيرُ مسرعةً في تلك الطرق التي سبق الوباءُ وسار فيها ، ثم تلجُ البيوت ، وعلى وجهها ذلك اللطفُ المشتقّ من الحنان وكرم النفس .

وعند الساعة الرابعة كان يصلُ الزائرون ، فيجدونها مزدانةً بأبهى الحلل ، والانسُ يتدفّقُ من محيّاها ، ممزوجًا بالحصافة والرزانة ؛ فلا يراها الناظرون حتى يتبدّد عنهم كلُّ همٍّ واضطراب .

*

٣

وحدث ، ذات يوم ، أن الراهبة انجليك ، كانت تستعطي للفقراء والايتام الذين أبقاهم الوباء . وكان قد بلغها كرم الكونتس ماري ، لكنها لم تكن تعرفها قطّ . فقصدت إلى قصرها ، فأمرت لها الكونتس بمالٍ جزيل ، ورفضت مقابلتها .

وعلمت الراهبة انّ قصر الكونتس كان في تلك الساعة غاصاً بالاعيان والوجهاء ؛ فدفعها حبّها للفقراء أن تدخل على اولئك الموسرين ، لعلّها تجدُ فيهم قلوباً سخيّة ، فألحّت على القيّم ، فاذنَ لها ، فدخلت .

فلمّا رأتها الكونتس ، أدارت رأسها . فأخذ الراهبةَ عجبٌ ودهش . ثم نظرت اليها الكونتس ، وكأنّ عاطفةً واحدة دفعت تينكَ المرأتين ، فتصافحتا .

واخذت الراهبة تتفرّسُ في الكونتس ، وكانت نظراتُها مملوءةً من عواطف الحب ، وتمثّلت لها تذكاراتٌ ماضية . فكانت كصديقة تلاقت بصديقة بعد فراقٍ طويل ؛ فعرفتْ الراهبةُ الكونتس ، وعلمتْ انها هي ، هي تلك الفقيرة ، أو تلك الارملة التي ما كانت تتكلّمُ كلمة ، وكانت في كلِّ صباح تراها في الشارع بين جمهور البائسين .

وما كانت هذه الكونتس الجليلةُ القدر ، اللطيفةُ المحيا ،

تستتر بذلك البرقع وذلك الرداء العتيقين ، وتختلطُ بالفقراء ، الّا لتسمع شكواهم ، وتطّلعَ على أسرار تلك الآلام التي لا يكشفها المرء الّا لاشباههِ وأمثالهِ . فكانت تقف على حاجة كلٍّ منهم ، فتسلّمُ الى قيّم قصرها لائحة تتضمّنُ انواعَ الصدقات ، فيوزّعها على المحتاجين .

وهكذا كانت ماري تتزيّا ، عند الصباح ، بزيِّ البائسين ؛ وفي المساء تعودُ لحالتها من الجاه والمجد ؛ فتكون قبل الظهر أختَ الفقراء ، وفي المساء أمًّا لهم .

وما كان يُخيّلُ الى أحد ، إذا رآها ليلًا في تلك الملابس الفاخرة ، وذلك الجاه العريض ، أنها هي نفسها تلك الفقيرة البائسة في الصباح . فكانت تمتزج بالبؤس لتخفّفَ وطأتهُ ، وتختلط بالاعيان لتبعث فيهم روح الجرأة والاقدام ؛ وتجمعُ فروضها المسيحيّة وواجباتها الدنيويّة ، في ظلِّ سلام الله وحبِّ القريب .

ولو لم تكن ماري قد ماتت ، لما وسعنا الاطلاع على هذا الخبر . لانَّ القيّم والراهبة انجليك قد كتما السرَّ في حياة الكونتس . وها قد توفّاها الله بسلام ولم تترك بعدها الّا هذين الشخصين اللذين ائتمنتهما على مآثرها السامية .

يا بني الوطن

قرأت ، في جريدة البشير : « من انباء العراق ، ان حكومتها تبدي همة كبيرة في مقاومة التهتك ، وإقفال دور المراقص الخلاعية . »

فلم املك عن الهتاف بأنصار العفاف ، وجئت بهذه العُجالة أنادي حُماة الفضيلة من ابناء هذه البلاد ، واقول :

« يا بني الوطن ، أيكم يجهلُ ما كان عليهِ آباؤنا من شدة الحرص والتهالك على نقاء العرض ؛ وما كان يتجلى فيه نساؤنا من ملابس الحشمة والتصون ؟ اما الان ، فقد صارت الآداب ، عند الكثيرين من اهل بلادنا ، على غير ما كانت عليه ، حتى اتسع الخرق ، وصار يخشى على حصون العفاف ان تتهدم .

أجيلوا الطرف في البيوت والشوارع والمجتمعات ، وانظروا الى اين وصلت حالتنا الادبية ، بسبب تلك الكتب القبيحة ، والصور المتحركة السيئة ، والملابس الحديثة الفاحشة .

ثم ما رأي الافاضل من بني الوطن ، في قراءة تلك القصص الموضوعة ، التي افسدت ، من العقول والقلوب ،

عدداً يزيد على ما فيها من الكلمات والحروف ؟ فأنّى يسعُ الفتاةَ والفتى ان يثبتا في رياض الصلاح ، وقد جعلا انفسهما ، بسبب تلك المطالعات ، في منحدرات الفساد ومزالقِ الرذيلة ، حيثُ لا تثبت قدم .

واذا طلبنا العددَ الكبيرَ من فتياننا وفتياتنا ، وفتشنا عنهم في اويقات الراحة ، وجدناهم عند الصور المتحركة ، التي هي ، وايم الحق ، من أشدِّ دواعي الفساد التي دهتنا في هذا العصر : فإنَّ ما يشاهدون فيها من الرسوم البذيئة ، ينطبع في عقولهم ، ويسير بهم الى مهاوي الهلاك .

ومن الامور التي تتصدع لها القلوب ، أنْ نرى بعض آباء البيوت يدفعون بنيهم الى حضور تلك المشاهد ؛ وهم ، لو نظروا في عواقب ما يفعلون ، لأحجموا عن تهوير فِلذِ اكبادهم في اسوإ المخاطر !

اما الأزياء الخلاعية ، فقد انتشر وباؤها انتشاراً هلعتْ له القلوب واضطربت الخواطر .

فمتى ، يا ابناء الوطن ، متى رأينا في ما سبق ، زرافاتِ البنات يَسِرْنَ في الطرُقِ متخاصرات ، وهُنَّ حاسراتٌ عن الرؤوس ، كاشفاتٌ عن السواعد والصدور ، الى حدٍّ يخجل القلم من ذكره !

*

فيا ابناء الوطن ، ويا كلّ من يُريدون خير الوطن — على أيّ دين كنتم — حَسْبكُم إغضاء عيون ، وقَدْكُم تجاوزٌ وإهمال! فقد اشتدت العلة ، وبلغ السيل الزبى ، وصارتِ الازياء النسائيّة الى حالة من التهتك ، انتم اليها ناظرون وعنها ساكتون ! واني لأخشى ان يُسطِّرَ المستقبَلُ في تاريخه أن ابناء القرن العشرين ، من هذا الوطن ، هدموا ما بناهُ الاجداد من حصون التصاون ، ولم يكن بينهم من يهبُّ للدفاع عن جوزة الطهر والعفاف !

فيا ايها الرجل اللاهي بتجارتك وصناعتك عن حماية أشرفِ ما تزدان به أسرتك ، الا افتح عينيك ، وانظر الى ما صارت إليه امرأتك وبناتك من التبذّل وترك التصوُّن ، حتى لم يبقَ بين خارجهنّ وبين حالة خلع العذار ، إلا قَيْدُ رمح .

وانت ايها الشاب الابيُّ النفس ، كيف لا تتوهّج غيرةً على شرف شقيقتك ، وقد رنا اليها الجهّال ، وحامتْ على آدابها الظنون ؛ وإنما هي ، هي الداعية الى الشكّ والريبة ، لبروزها في تلك الملابس الشفافة ، وتكشُّف يديها ، وظهور ساقيها ، وتبخترها في السُبل والشوارع !

وكيف يَسَعُ الامَّ العاقلةَ أن تصبرَ على ابنتها ، إذا

ظهرتْ في مظهر الراقصات الخالعـات ! أمّا الامُّ الجَلِعَة ، التي بمثالها تقودُ ابنتها الى السير على فـاحش الأزياء ، فسترى مـا تؤول اليهِ حالة فتاتها من الخفّة والطيش !

ولا يُخيَّـلُ الى القرّاء الكرام أني مُغـالٍ في التطيُّر بمغبّات هذه الازياء الوبيلة ، فان ضرر التهتّك في بلادنا لأشدُّ منه في غير بلاد : لأنَّ الوثب من رفيع التصوُّنِ الى حضيض التهتك ، لأشبهُ بالانتقال من مكان حـارّ الى مكان بارد ؛ ولا يخفى على احد ما في مثل هذا الانتقال السريع من المضارّ .

اما اصحابُ الصُّحُف ، فـلا نرى داعياً الى استنهـاض هممهم واستمطـار سُخط اقلامهم على مـا يرون من تفشّي اسبـاب الفساد ؛ فهم إنمّا انشأوا الصحف لإثارة الاذهـان ، والذود عن حياض الآداب العامة . وهم — حفِظَهُم الله — أعلمُ بما آلت اليهِ شؤون هذه البلاد من الاستخفاف بحُجُبِ العفاف ، والاستهانة بما ليس اعزّ منه على كل ذي قلب شريف !

*

ولكن لا يحسبنّ القرّاء الكرام أننـا نرمي جميـع سيّداتِ الوطن بالتهتـك في الازياء ؛ فإنّ الآداب الطيبة والازياء المحمودة ، لا تزال — والحمد لله — مصونةً عند جمهور من ربّاتِ البيوتات . ومن امثال هؤلاء السيـدات يُطلَبُ

بذل العناية في المحافظة على بنات جنسهنَّ من وباء الازياء الوخيمة ، كأنْ يُنشئنَ مجالس نسائية تكون غايتُها مصادرةَ هذا الداء الوبيل . وانَّ جمعية كهذه لتفضُلُ جميع ما سواها من الجمعيات .

وما كان الافاضلُ من رجال الدولة المنتدبة وأركان الحكومة المحلية ، إلَّا ليؤيدوا دعاة الصلاح في استئصال ذلك الداء الوبيل . وقد رأيناهم من أشدِّ الخلق سهرًا على هناء الحياة وانجاحِ الوطن . وما راحةُ العباد وإسعادُ البلاد باقلَّ لزوماً من صِيانةِ العِرض والشرف .

وما إخالُ رؤساء الدين من جميع الطوائف والملل ، وقد ابصروا هذا السيل الجارف ، إلَّا مجتمعين ، في القريب العاجل ، للمباحثة في استنباط الوسائل المؤدية الى صدّ هذا التيَّار ، فيسطِّر لهم التاريخُ جميلَ اتفاقهم وشريفَ تناصرهم على ردّ ما يتهدد ابناء هذا الوطن العزيز من الفساد والخراب .

وفي الختام لا نرى بدًّا من العود الى استنهاض هِمَم الآباء للعناية بهذا الامر الخطير ؛ فإنَّ مجالسَ النساء التي اشرنا بانشائها ، ومساعيَ رؤساء الدين ، واهتمامَ رجال الحكومة ، كلَّ ذلك لا يرافقه النجاح ، اذا لم يهبَّ رجالُ البيوت ، وينشطوا الى السير على نصائح الناصحين .

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARY

في بكركي

أُنشدت نيابة عن ابرشية بيروت، في الحفلة التي أُقيمت احتفاء بسيامة السادات المطارنة: اغوسطين البستاني، اغناطيوس مبارك، بولس عقل، بطرس الفغالي؛ وذلك في ٢ اذار سنة ١٩١٩

أيا بِكْرِكِي، تردّيْ أفخرَ الحُلَلِ،
واستبْدلي الحزنَ بالافراحِ والجَذلِ:
يا طالما قد سكبْتِ الدمعَ من مُقَلٍ،
وبِتِّ من شرَكِ الاتراكِ، في وَجلِ؛
فاسترجعي الآنَ مجدَ الأعْصُرِ الأُوَلِ!

أخبارُكِ الغرُّ — والهفي! — على خَطَرٍ
كانوا، فأنجاهمُ الرحمانُ من حذرِ؛
لكنْ قضى «شِبْلُهم (١)» في زهرة العُمُرِ،
وكان بين رجال الدين كالقمرِ؛
هيهات هيهات ننسى ذكر ذا الحملِ!

والحبرُ يوسفُ دِرْيانٌ، لو اتصلوا
اليهِ، كان — ولا ريبَ — انتهى الاجلُ!

---

١) هو المطران بطرس شبلي، رئيس اساقفة بيروت؛ نفاه الاتراكُ إلى أدنة، فقضى بها نحبه في ٢٠ اذار، سنة ١٩١٧

لكن حَمَتْهُ بأكنافٍ لها دُوَلُ ،
فكان من دونهِ الأهرامُ والجبلُ ؛
حُيِّيتِ يا مصرُ ملجا حبرنا البطلِ !

« ويوسفُ الصَّقْرُ(١) »في ذي الحرب قد هجمتْ
عليهِ حُمَّى ، فأردتهُ وما رحمتْ ؛
كذاك «بصبوصُ (٢) »بيتِ الدّين قد خُتمتْ
حياتُهُ ، وبنو مارونَ ما سَلِمت
من خَطْبِ جُوْعٍ ؛ ويا لله من جلَلِ !

*

هذا النهارُ نهار الانس والفرحِ ؛
ليس المقامُ مقام النوحِ والترحِ .
باللهِ ! لا تذكرِ الجلّى ، بل اطّرحِ
تذكار من قد قضوا في الحرب ، وامتدحِ
ذكر الألى انقذوا الاحياء من غِيَلِ !

---

١) هو المطران يوسف صقر ، النائب البطريركي ؛ لقيَ ربَّهُ في ٢٠ نيسان سنة ١٩١٧

٢) هو المطران بولس بصبوص ، رئيس اساقفة صيدا ؛ توفّاه الله في ايلول سنة ١٩١٨

نعم، فرنسا لها فضلٌ على الوطنِ،
تمضي ويبقى بسوريا مدى الزمنِ؛
ما كنتُ أنسى فرنسا ربّةَ المننِ،
ما كنتُ أنسى، ولو أُدرجتُ في الكفنِ،
تلك التي ابلغتنا منتهى الاملِ!

وخبرُ احبار كلِّ الارضِ قد حضرا
بشخص «قاصدهِ (١)» المفضال، فانحدرا
رُوحُ الالهِ، يُنير العقل والبصرا،
وعينُ إيماننا قد ابصرتْ شررا:
نارًا تحلُّ على احبارنا الرُسلِ!

حلّتْ عليهم كما حلّت بصهيونا،
فضجَّ من فرحِ ابناءُ مارونا!
من كلِّ صُقعٍ أتى قومٌ ينادونا:
«ليحيَ بالمجد والاكرام راعينا،
وليحيَ بطركُنا حصنًا لذا الجبلِ!»

ونحنُ، ابناءُ بيروتٍ، أكابُرنا
نادتْ، فلبّى النّدا حالًا أصاغرُنا:

---

١) هو السيّد فريدياتو جبانيني، القاصد الرسولي في سورية.

« إغناطِيُسْ حبرُنا ! » اللهُ آمرُنا ؛
والآن يُعلنُ خافينا وظاهرُنا :
« لأنتَ مطرانُ بيروتٍ، بلا بدلِ ! »

قد سقّفوكَ فصرتَ اليوم مولانا ،
وكلّلوا رأسك الملآن ، فازدانا ،
وحمّلوك عصا الرّعيا لترعانا ؛
هيّا وغذِّ قطيعاً صار جوعانا
الى كلامٍ بتقوى الله مُشتعلِ !

كذا الصليبُ ، شعارُ المجد والظفرِ ،
أضحى شعارك في ذا المنصب الخطِرِ !
لا زال يلمع مثل الشمس والقمرِ ،
من فوقِ صدرٍ بجبّ الله مستعر !
سرْ ، سرْ ، ولا تخشَ يا مولاي من زللِ !

خطبتَ بيروت ؛ هاك اليوم خاتمها ؛
قد ختّموك بهِ اذ كنتَ عالمها ؛
لا ترهبنّ قناها أو صوارمها ،
ولا تكوننّ في الهيجاء صادمها :
سحابُها غيمُ صيفٍ غيرُ منهملِ !

هيّا ورتّبْ ببيروتٍ كنائسها ،
وأنعشنَّ بروحِ الحبِّ يابسها ،
وجدِّدَنَّ مبانيها ودارِسَها ،
وعمِّرِ اليوم بالتقوى مدارسها ؛
وكُنْ بسعيكَ ذا قولٍ وذا عملِ !

في الطريق

عابرُ سبيلٍ مرَّ بفقيرٍ أخرس أصمّ ، على صدرهِ إعلانٌ بحالتهِ ، يطلب فيهِ حسنة . فتصدّق عليهِ ، وسألهُ فوراً : « أمِنْ زمانٍ طويل أنت أخرس ؟ »

فأجابه الفقير ايضاً سهواً ، وقال : « مُنذ مَولدي . »

الحُقّة السرّية

...وكانت ليلةٌ باردة، تألّفتْ فيها أشتاتُ الغيوم، فحجبتْ مصابيحَ السماء، فكان ظلام... فسلَّ البرقُ سيوفه، وأطلق الرعدُ أسوده، فخفق قلبُ الجوّ، وانفتحتْ افواهُ السماء، فانهمرتِ الامطار، وعصفتِ الرياح، ورشقتِ الارضَ ببردٍ كان لتساقطهِ طقطقةٌ ودويّ.

ولا شيء أبهجُ للقلب، في أمثال هذهِ الليالي، من القعود حول الكانون، والنظرِ الى المغلاة في النار تغلي، فيُسمع لها نشيش، والبخار يتصاعد من بُلبُلتها، وأبو العائلة يقص على بنيهِ ألطفَ الاخبار؛ فهذا لعمري أوفرُ الهناء!

ففي تلك الليلة كانت عيلة أحدِ العملة مجتمعةً في البيت حول النار تصطلي، والابُ يقرأ كتاباً تقوياً، والأمُّ تغزل، وبولس بكرُ اخوتهِ يكتب فرضهُ، وبطرس يستظهر درسه. مَّا ميشالُ وحنّة، فكانا جالسين قرب أمهما، يلعبان بمُكعّبي النَرْد، ويُنشئان منها بيتاً صغيراً.

ولما كاد وقتُ السهر ينقضي، قال الاب: «هل تريدون أن تسمعوا خبرَ هذه الحادثةِ المؤثرة؟»

فهتف الجميع : « نعم ! نعم ! »

وكان بولس قد أتمَّ كتابة فرضه ، وبطرسُ قد حفظ درسه ، والأمُّ انتهتْ من غزلها ، فاصاخوا لما سيُقرأ ، واسرع ميشال وحنَّة وتربَّعا امام ابيهما .

فقرأ الاب :

« في أوائل هذا العام عُهد الى أحد الكهنة الافاضل أن يدير أحد الملاجىء التي انشأها ارباب الفضل لتربية الايتام .

ففي ذات يوم أقبل الى الكاهن المذكور فتاةٌ من العاملات ، في زُهاء الثلاثين من سنيها ، شاحبةُ اللون ، مهزولةُ الجسم ؛ مما دلَّ على أنَّها مصابة بداء عُضال . فبعد ان حيَّتْ بالسلام ، قالت : « أنا ، يا أبي ، مصابةٌ بمرض لا شفاء لهُ ؛ وقد شعرتُ بأن لم يبقَ لي من الحياة إلَّا أيام . فجُعلتُ في المستشفى ، كي لا أُحرم العناية الروحيَّة . وأنا ، يا ابي ، وحيدة ، لا أهلَ لي . وقد وفَّرتُ مائةً وخمسين غرشاً ، فاحتفظتُ منها بمائةٍ لنفقاتي الخاصة ، وأتيتُك بخمسين غرشًا ، إعانةً للميتم . »

فتأثر الكاهن من كلام الفتاة ، وشكرها ، ثمَّ بارَكها ووعدها بالصلاة من أجلها .

وبعد عشرةِ أيام عادتِ الفتاة ، وقد أنحلها المرضُ ، حتى خَفِيتْ على الكاهن ، فلم يكَدْ يعرفُها ، فقال في نفسهِ . « لم

يُخطئ ظنُّ هذه الفتاة المسكينةِ في قربِ رحيلها من الدنيا !»

فحنتِ الفتاة رأسها وقالت: «إنَّ ضميري قد بكَّتني لقلّة سخائي، فأسرعتُ في العودة اليك لالتمس منك، يا أبي، أنْ تسأل اللهَ لي المغفرة والصفح: وذلك لأني ابقيتُ معي مائة غرش لاشتري بعض الحلوى، زيادةً على ما أنالهُ في المستشفى. ثمَّ اني كنت اخشى أنْ أُحمَلَ بعد موتي إلى بيت التشريح، ففكَّرتُ ان أعطيَ الممرّضةَ خمسين غرشاً، حتى، اذا متُّ، تجعلني حالّاً في تابوتي وأُدفن ... لكنّي، بعد ان تبصَّرتُ في الأمر، رأيتُ انَّ نفس صغير يتيم، أثمن من جسدي الفاني. فاقبلْ، يا ابتِ، هذه المائةَ غرشاً، لتُنفقها في سبيل ميتمك.»

فلمَّا بلغ أبو العائلة، في القراءة، الى هذا الموضع، ارتجفَ صوتُهُ وخنقتهُ العبرات.

ودهشتْ امرأتُهُ لما سمعتْ، ونظر الاولادُ، الى ابيهم متعجبين.

فطوى الابُ الكتاب، ومسح عينيه وقال: «ليستْ هذه الفتاةُ من ذوات اليسار، بل هي عاملةٌ مثلنا؛ وقد أتت عملًا ساميًا؛ فللهِ ما أرقَّ هذا الشعور!»

وهتفتِ الامُّ قائلةً: «بل ما اسمى ذلك الصلاح،

وأشرفَ هذا الجود !... ألا هذا هو فلسُ تلك الارملة التي جادتْ بكل ما ملكت !...»

واستمرَّ الجميع هنيهة صامتين ...

وبعد حين قال بولسُ لابيهِ : «أما تجدُ يا أبي أنَّ إعانةَ الكنائسِ أفضلُ من مساعدة الملاجئ ؟»

فاجابهُ ابوهُ : «نعم ، يا بنيّ ، انّ اسعاف الكنيسة يُفضَّل على اسعاف الملاجئ ، لكنّ في إعانة هذه أيضاً خيراً عظيماً : فانّ الملاجئ تعتني بالايتام ، وفيها تتلقَّن الاحداثُ مبادئ الصلاح ، وتنشأ على الخير والتقوى . لكنّ للكنيسة أيضاً شأناً عظيماً : فهي بيتُ الله ، وباب السماء ، وفيها تُمنح الاسرارُ المقدسة ، وتُلقى الارشاداتُ والمواعظ . فما تكون حالةُ القرية التي تُقفلُ كنيستُها لأنْ ليس لها كاهن ، ويُترك فيها بيت القربان خالياً ؟ ثمَّ تنهَّد الابُ الصالح وقال : «قد فتر الدينُ ، بعد ان كانت حرارتُهُ تدفعُ المسيحيين الى بذل كلّ غالٍ ورخيص في سبيل تعزيزه !»

فقال بطرس : «ولماذا تُعطى الكنائس مالاً ؟ فهل هي في حاجة اليه ؟»

أجاب الاب : «نعم ، يا بنيّ ، انّ الكنائس تحتاج الى المال ليسعها ان تقوم بالحفلات البيعيَّة والاعياد الكنسيَّة ،

وتظهر بمظهر يليق بالله ! »

فهتف أحد البنين : « إذن يجب على كلِّ مسيحيّ أنْ يُقبل على مساعدة الكنيسة ، بقدر ما يمتدُّ الإمكانُ اليه . »

قال الاب : « نعم ، نعم ؛ ولكنْ قد قلَّ عددُ الذين يعرفون هذا الواجب ويقومون به . فعارٌ على المسيحيين ان يبذلوا المال في بناء الدور وتشييد القصور ، ويعكفوا على فَرْشها وتزيينها ، ويدَعوا بيتَ الله خالياً خاوياً !... »

وقضتِ العيلةُ التقيَّةُ ساعةً تتحدّث بذلك .

ولمَّا ذهبَ الاولاد للنوم ، لبثوا في غرفتهم يتهامسون سرًّا ، فقال احدهم : « انّ تلك الفتاةَ التقيَّةَ جادتْ بكلِّ ما ملكتْ ، إعانةً لنفوس الصغار ؛ وانا أرى أنَّ اسعاف الكنيسة يكون منهُ تمجيدُ الله ، وخيرٌ للجميع . فإنّ الكنيسة هي بيت الله ! فما اجدرها بان تكونَ لائقة بخدمةِ الجلال الالهي ! »

فاجاب الآخر : « علينا إذن ان نسعى وراء ذلك ؛ ولا سبيلَ لنا الّا ان نحرمَ ذواتنا ، ونضحّي بشيء من نفقاتنا الصغيرة . »

فقالت حنة : « انا مستعدَّة لكلِّ تضحية !... »

فهتف ميشال الصغير : « وانا أيضاً !... »

ثم وثبتْ حنة وقالت : « وأقدم ايضاً حُقَّتي (قجَّتي) الصغيرة ، فنجمع فيها ما يتوفَّر ! »

فقال بولس : « حسن ، ولكن احذروا أن يعلم بذلك أحد ؛ بل ليبقَ الامر مكتوماً عن الجميع . »

*

وكان الاخوة يجتمعون كلَّ ليلة قبل النوم ، فيتقدَّم كلٌّ بدوره ، ويُسقط في فم الحُقَّة قطعة نقودٍ صغيرة ، فيُسمع لها خشخشةٌ لطيفة ترتكضُ لها قلوبهم فرحاً ؛ ثم ينامون مسرورين فرحين .... فيرون في منامهم كنيسة قريتهم ، وقد سطعت فيها الانوار ، وازدانت مذابحها باجمل الازهار ، والكهنة ، وعليهم اثمنُ الثياب البيعيَّة ، وأجواق المرتلين ينشدون اطيب الالحان وأخشع الانغام .

ولمَّا كان آخرُ الشهر ، ذهب الاخوةُ الاربعة الى الكنيسة ، ومعهم حُقَّتهم السريَّة ملآنة ؛ فدخلوا ، وفي قلوبهم شيءٌ من الحياء المقدّس الذي يصحَبُ الاعمال الصالحة . فسجدوا أمام المذبح ، ثمَّ التفت بولس الى اختهِ حنَّة وقال : « خذي حقَّتك ، يا أُخيَّة ، وادخلي بها ، أنتِ وميشال ، الى الموهِف (السكرستية) ، وقدِّماها للكاهن . فابتهجتْ حنَّة بنيلها ثقة أخيها ، فأخذتْ بيدِ ميشال ، ودخلا مرتبكين حياء .

فهشّ لهما الكاهن وقال : « ماذا تريدان يا عزيزيّ ؟... »

اجابت حنة : « نريد ، يا أبِ ، ان نقدّمَ لك هذه ... »

وقال ميشال متمتماً : « هذه للكنيسة يا أبتِ ... »

فاقبل عليهما الكاهن ، وقد أُعجِبَ بلطفها فقال : « ابوكما بعث بها معكما ؟... »

اجابتْ حنة : « لا ، بل نحنُ وحدنا ... سرًّا ... »

ودنا ميشال من الكاهن ، وهمسَ اليهِ قائلًا : « هذا سرّ ، يا ابتِ ... »

فخفض الكاهن صوته ، وقال لهما : « إجلسا ، يا عزيزيّ ، إجلسا واكشفا لي هذا السرّ . »

فقال ميشال : « نحن .. نريد .. أن ... »

فساعدت حنة أخاها قائلة : « لنا في كلّ يوم خَرْجٌ (خرجيَّة) من ابينا ، نشتري بهِ حلوى نأكلها بخبزتنا وقت العصر ... ونحن أربعةُ إخوة ، اتفقنا ان نحرمَ انفسنا الحلوى ، لنوفّر ثمنها ، ونضعهُ في هذه الحقّة . فاجتمع فيها في هذا الشهر مائةُ قطعة ... وليس هذا كثيرًا حتى تزيّن بهِ الكنيسة . »

فتأثّر الكاهن من هذا الكلام كلّ التأثر ، وقال لهما : « قد منعتم أنفسكم من الحلوى كلّ هذا الشهر ، وكنتم تأكلون في عصر كلّ نهارٍ خبزًا قفارًا ؟ »

قالت حنة : « نعم ، يا ابتِ ، وما لقينا أقلّ صعوبة ، بل كنّا مسرورين كثيرًا ! »

فأشرقَ وجهُ ميشال إذ ذاك ، فقال : ومساء أمس ، يا ابتِ ، امتلأتِ الحُقّة الى ما فوق ؛ وكنّا نهزّها ، فنسمع فيها خشخشةً نثبُ لها فرحًا ! »

امّا بولس ، فقلق لتأخر ميشال وحنة ، فتنحنح لهما ، فسمع الصغيران ، فحنيا رأسيهما للكاهن ورجعا . وبقي الكاهن ينظرُ الى تلك الحُقّة مُدهَشًا ، ثمّ قال : « كلّ يوم اربع ضحيّات ... كلّ يوم اربع قطع ... يا لهُ عملًا جيدًا يملأ القلب خشوعًا ! »

وثبَتَ الاخوةُ على عزمهم ؛ فكانوا في كلّ يوم يُلقون في الحُقّة اربعة نقود ، فتمتلئ في ختام كلّ شهر .

*

أجل ، إنّ الكثيرين من الأواسط والفقراء ، يقتدون بأرملة الانجيل ، فيبذلون في سبيل الله جميع ما يملكون . فليت شعري ، ما يكون شأن مُعظم أغنيائنا في يوم الدين ، وقد وقفوا امام اولئك الفقراء المحسنين ؟؟؟ ...

الفتى والمطالعة

كلُّ فتى ، يَوَدُّ ان يكون لهُ جسمٌ قويّ وعقل منير ، ويشاء ان يدخل الحياة بمبادئ قويمةٍ ، وآمالٍ تسير به الى الفلاح ، يجدُ ضالّته في مطالعة الكتب الجيدة . فمنها يُشرق عليه نورٌ يَهديهِ سواء السبيل . فاحتفظ بوقتك ، يا فتى ، ولا سيّما باوقات السهر في ليالي الشتاء ، فتلقى من الوقت ما يُساعدك على توسيع معارفك .

ثم إنَّ في المدن الكبيرة ، من مواضعِ اللهو والطرب ، ما يجرُّ الفتيان الى إضاعةِ اوقاتٍ طويلة ، كان يُمكنهم فيها ان يطالعوا ويستفيدوا ؛ لذلك نقول : « إن الشبان ، في القرى ، هم ، من هذه الجهة ، في خطر أخفّ . »

فمن عرف قيمة الوقت ، ولا سيما اوقات السهر ، أمكنهُ ان يكتسب من المعارف ما يُكتسَب في أرقى المدارس . فاختر لك اذًا كُتُباً صالحة مفيدة ، وطالع ما استطعت .

ولم تكن الكُتُب ، في عصر من العصور ، اكثر انتشارًا وارخصَ ثمناً منها في ايامنا ، لكنَّ فيها اخطارًا جمة .

فاذا سَرَتْ سمومُها في اخلاق المطالع ، صَعُب شِفاؤه منها . ولكن يوجدُ عدد كبير من الكتُبِ الجيّـدةِ الحاويةِ اشهى التعاليم وألذها .

اما الاحاديثُ ، فهي في الغالب مُضيعةٌ للوقت الثمين ، الّا محادثةَ الحكماء والعلماء ، فهي ذات فوائد.

ولكن ليس في يدنا ان نتجنّبَ ، في كُلّ حين ، تلك الاحاديث الفارغة ؛ كما انهُ لا يسعنا ، في كُلّ فرصة ، ان نجالس رجال الحكمة والادب . امّا الكتبُ ، فيمكننا ، متى شئنا ، ان نختار منها الافضل والانفع .

واذا قلت : « ماذا اقرأ ؟ »

فأجيبك : « اني مُرشدك الى ما لا يسوغ لك ان تقرأ ، وأقول : لا تُضيعْ وقتك في قراءة جميع الصحف اليومية التي تصِلُ اليها يدك ؛ فان مُعظـم هذه الصحف لا تستحقُّ أنْ يُلتفتَ اليها . فعليك أن تختارَ أفضلها ، وتقرأ مقالاتها المفيدة . فانَّ رَغبة اصحاب هذه الجرائد في مَرْضاة المطالعين ، تجرُّهم ، في الغالب ، الى نشر حوادثَ غيرِ صحيحة . ولقد بلغت بنا الحال الى ان صرنا نَعُدُّ كلّ جريدة مرَّ على صدورها ثلاث ساعات ، قديمة عهيدة .

ومن اشدِّ الاخطـار على الفتيان والفتيات ، إقبالُهم على

مطالعة كتب الروايات الخيالية، قبل ان يبلغوا الخامسة والعشرين من عمرهم. فان لهم في هذه المرحلة من العمر، امورًا شتى يجب ان يتعلّموها ويعرفوها: من مثل الدروس المنيرة للعقل، المفيدة للصحة والآداب. فاذا سبق الفتى ومال الى مطالعة كتب الروايات الموضوعة، تعذّر عليه ان يعودَ الى مطالعة الكتب النافعة: لأنّ العادة التي يكتسبها بمطالعة كتب الروايات معجّلًا في القراءة، كي يصلَ الى الموضع الذي تنفكُّ فيهِ عقدة الرواية، تُخسِرهُ الشوقَ، والقدرةَ على المطالعة برويّةٍ وتدبّر.

اما الكتبُ العلميّة، فاقرأ منها، في اول الامر، ما كان سهلًا حتى، اذا أتيتَ عليها، تدرّجتَ الى قراءةِ الصعب فالاصعب.

واما الكتبُ التاريخية، فاختر منها ما يُعوَّلُ عليه في المدارس. وأكبَّ خاصّةً على مطالعة الكتب التي أنشأها رجالُ الحكمة والادب، وملأوها من النصائحِ التي تُقوّي العزيمة، وتُوحي الى الشبان اسمى المبادئ، وأشرف العواطف.

واذا قلت: «كيف اقرأ؟»

فأجيبك: «لا تعجلْ ابدًا في القراءة، بل طالع بتمعّن

وتدبّر ؛ وخُذْ لك من كلّ ما تقرأ ، خُلاصةً تُثبتها في دفتر لك ، تجمعُ فيهِ ما تعثُر عليهِ في مطالعتك من الحِكَمِ المفيدة ، والآراء السديدة ؛ واتخذ هذا الدفتر رفيقاً لك وسميراً .

ولقد عرفنا رجالاً لم يتخرّجوا في المدارس العالية ، ولكنّهم ، بجِدّهم واجتهادِهم ، حصّلوا من المعارف ما لم يُحصّلهُ الوفٌ من الشبانِ الذين قضَوْا في التحصيل سنين .

الكان

لعبة لطيفة

ميشال : « أتريدين ، يا أختي حنّة ، أن نلعب بلعبة آدم وحوّاء ؟ »

حنّه : « وكيف ذلك ؟ »

ميشال : « تُقدّمين لي هذه التفّاحة التي بيدك ، لأرى هل استطيع ان آكلها . »

هل عندك خادمة

قالت سيّدة لصاحبتها : « هل عندكِ خادمة ؟ » أجابتها : « كان عندي منذ ساعة ، أي حين خرجتُ من البيت . أمّا الآن فلستُ أدري ؛ فلعلّها تركتني . »

داءُ القمار

ومن أدوائِنا الادبية التي فَشَتْ بين الكثيرين من ابناء هذا الوطن ، فضعضعتْ نِظام البيوت ، وجرَّتْ عليها الخراب ، داءٌ تُعدُّ امراضُ الجسم ، بالقياس اليه ، صحَّة وعافية ؛ الا وهو داءُ القمار .

فما رأي المفكّرين ، من ابناء الوطن ، في هذه الآفة التي نهضتِ الحكماء في كل عصر لردِّها ، وقامت ملوك الارض تسنُّ الشرائع لِصدِّها ، وتُهدِّد المخالفين بأشدِّ جزاء .

فهذه الشريعةُ الهنديّة ، قد ذمَّتِ القمار اقبحَ ذم ؛ وهذا أرسطو ، يضع المقامرين بين اللصوص والخطفة ؛ ويوستينيانوس الحكيم ، امبراطور الرومان ، حظرهُ على جميع رعايا مملكته .

واذا تخطَّينا العصورَ ، عصرًا فعصرًا ، وجدْنا الحكماء وقادةَ الامم يُقبِّحون القمار ، ويشدّدون النكير على المقامرين ؛ حتى أنَّ عبد الحميد ، الذي كان قليلَ العناية بشؤون رعاياه ، لم يُحجمْ عن إقفال انديةِ القمار في جميع أنحاء سلطنته .

ولله درُّ نابليون حيث يقول : « إن شرَّ نقيصةٍ يُصاب بها

المرء ، نقيصة المقامرة ؛ فاذا بلغني أنَّ احدَ رجالي موصومٌ بتلك النقيصة ، سقط حالًا من عيني ، وتعذَّر عليَّ ، بعد ذلك ، أن اعتمدَ عليه في امر ، أو أركن اليه في مُهِمّة .

ولما جاء مظفَّر باشا حاكماً على لبنان ، شدَّد في منع المقامرة ، وسعى لاستئصال شأفتها من انحاء الجبل .

ولذا كان لنا وطيد الامل أنَّ الحكومة المنتدبة — وهي معروفة بِحُبِّها لخير البلاد — لا تُغضي الطرف عن هذا الداء ، وأنها ستبذل كل ما لديها من الوسائل لصدّ الناس عن المقامرة . وهي — رعاها الله — لو نظرت الى فقر هذه البلاد ، وفكَّرتْ فيما يجرّ القمار علينا من الخراب ، لما تردّدت في إقفال انديته وإراحة العباد من شره . واذا فعلتْ ، جدّدنا لها الشكر على جميع ما تأتيه من الخير في سبيل الوطن .

*

اما مَضرَّاتُ القمار في الفرد ، والعيلة ، والمجتمع الانساني ، فاكثرُ من ان تُحصى ، وأوسعُ من ان تُحدّ .

قال بعضهم — وقد كان في شبابه من أكبر المقامرين — : « رأيت القمار يُهلكاً لاربعة : الوقت ، والصحة ، والمال ، والعقل . » ولقد اصاب في قوله . وهل ينبئك مثل خبير ؟ فإن المُقامر ، اذا بدأ بالمقامرة في المساء مثلاً ، لا ينهض عنها إلّا

عند الصباح . وما تُصبح حالةُ من يُحيي الليل ساهرًا ، وهو بين ضواغط الرجاء واليأس ، والفرح والحزن ؟ مثل هذا لا يلبث ان تغادره الصحة وترحل عنه العافية .

وهيهات ان يعتاض ، من سهره وذَهاب عافيته ، بنتيجةٍ ماليَّة ؛ فإن الخسران يرافقه ويلازمه . وإنْ حدثَ أنْ ربح في المقامرة مرَّة ، أسكرته خمرة الربح ، ودفعته الى السكر من خمرة الشراب ، فهو في كلتا الحالتين خاسر . وما كان المالُ الآتي من ابواب المقامرة ليثبتَ ويبقى ! واذا لم تصدّقوا ، فاسألوا المقامرين . وقد قيل : « مال الحرام لا يُثمر ! »

اما ذَهابُ العقل بسبب الخسارة في المقامرة ، فأمر يتكرّر حدوثه في كل يوم . ولقد أحصى بعضهم عددَ المنتحرين في « مونتِه كارلو » محلِّ المقامرة الشهير ، فاذا هم خمسون في المائة ، في كل سنة . ومعلوم أنَّ الانتحار لا يحدث الا عن اختلال الدماغ ، واختلالَ الدماغ يتسبب بكثرة الضغط للعقل ، وهذا الضغطُ من مقتضيات القمار : فان المقامر اذا فرح مرة ، حزن مرارًا . وما نتيجة تكرُّر الانتقال السريع من الفرح الى الحزن ، ومن الرجاء الى اليأس ، ومن الحِلم الى الغضب الشديد ، الّا العَتاهةُ والجنون !

تلك هي مضرات المقامرة في الفرد .

اما مضرّاتها في العيلة ، فهي ايضاً وخيمة ؛ فان غياب ربِّ البيت عن بيته ، ومغادرةَ المرأة منزلَها للمقامرة ، يكون من ورائهما انتشارُ الفوضى بين اعضاء العيلة . وما يكون من شأن بنينَ غاب عنهم آباؤهم ليقامروا ؟ فهل يرتاحون اذ ذاك للبقاء في المنزل الابوي ، ام يَعيفون ملازمتهُ ، فيخرجون ليلًا ، وينتشرون هنا وهناك ؟! واذا اجتزأ الابوان بان يقامرا في البيت ، فهل يكون ذلك اقلَّ وبالًا واخفَّ ضررًا ؟ ولاسيما بعد ان يتحوّل ذلك المنزل الى نادٍ ينتابه الناس للمقامرة ؟!

وفي هذا المقام ، أذكرُ أني ذهبت مرّة لعيادة صديق لي كان قد اشفى على الموت . فدخلتُ عليه ، فوجدته وحدَهُ يتململ على سرير الاوجاع ، وسمعت لغطاً آتياً من غرفة ازاء غرفته . فالتفتُ ، واذا سيدةُ المنزل جالسةٌ الى مائدة القمار ، وحولها عدد كبير من السيدات . فغمّني هذا المشهدُ أيّما غمّ ، وقلت في نفسي : « للهِ ما اشدَّ سطوةَ هذا الداء الذي يجعل المرأة تلهو به ، حتى في أحرجِ الساعات ! »

ذلك ، واي شابٍّ عاقل يعلمُ ان ابا تلك الفتاة أو أمّها من المقامرين ، ويُقدم بعد ذلك على اتخاذها امرأة لهُ ؟ او أيّة فتاةٍ حكيمة تعرف أنَّ ذلك الشاب الذي يَوَدُّ ان يخطبها الى ابيها ، مصاب بهذا الداء ، وترضى ان يكون لها

بعلًا ؟ ...

اما مَضرّاتُ المقامرة في المجموع الانساني ، فتابعة لتلك المضرات النازلة بالفرد وبالعيلة . فان حُكمَ المجموع ، في هذا الامر ، حُكمُ ما ترتّب منه على الافراد . ومتى نشأ الرجال والنساء والشبان على الولوع بالقمار ، وأضاعوا الوقت ، والعافية والمال ، والعقل ، والشرف ، فقُلْ على مثل هذا المجموع السلام !

*

ربّما اعترض المقامرون وقالوا : « نحن لا نقامر إلّا ابتغاء التسلية وقضاء الوقت . »

فأجيب : « أتكون السلوى في هدم العافية ، واضاعة الثروة ، وخسارة الصيت والشرف ؟ . . أفليس لأمثالِ هؤلاء طُرُقٌ للسلوان غير هذه ؟ ... »

وأيُّ شيء اطيبُ من العيشة العيليَّة ، واجتماع اهل البيت للحديث والسَّمَر ، والتفقّه بمطالعة الجرائد المفيدة والكتب النفيسة ، الى غير ذلك من الملاهي التي لا يَنتجُ عنها الا الخير والهناء ؟

فأجدرُ بالعقلاء من آباء البيوت ، أنْ يتنبَّهوا لهذا الامر الخطير ، ويسهروا على سلامة نسائهم وبنيهم من هذهِ الآفة الوخيمة .

وفي الختام لا أرى بدًّا من دعوة الافاضل ، من الكتبة واصحاب الجرائد ، الى خوض هذا الموضوع . واني لأحسبُ ، مع كلّ عاقل ، أنَّ سكوت الافاضل عن التنديد بكل مُضرٍّ ، جنايةٌ على الوطن ، وسيّئةٌ كبيرةٌ في حق المجموع الانساني .

الغضب

على المرء أن يملك النفسَ عن الغضب ؛ ولاسيما اذا كان ذا منصب رفيع .

جاء في التاريخ ، أن الكونت « لوزين » تطاول على لويس الرابع عشر . فلبث هذا السيّد العظيم ساكتاً ، هادئاً ، وقال له : « لو لم أكن ملكاً ، لسخطت وغضبت ! »

ذكاء طفل

سيّدة طاعنةٌ في السنّ سألتْ طفلاً وقالت له : « كم سنة عمرك ؟ »

قال : « أنا ؟ خمس سنين . وأنتِ ؟ »

قالت : « أنا ؟ أنا لا اتذكّرُ السنة التي وُلدت فيها . »

فاجابها الطفل : « لا بأس ؛ يكفي أن تقولي لي في أيّ قَرْن ؟ »

تحت العصابة

حدّثني احدُ الافاضل قال :

زرتُ مرّة إحدى دور العُجَّز ، فوجدتُ الرئيسة في غاية التأثُّر والخشوع ، فقلت : « ما بالُ الامّ الرئيسة حزينة كئيبة ؟ »

قالت : « قد ودّعنا اليوم ، يا أبتِ ، شيخاً قديساً ، مات وترك لنا مثالاً ليس له نظير ! »

قلت : « ومن هو هذا الشيخ ؟ »

قالت : « هو أبو يوسف . »

فقلت : «يشوقني الاطّلاع على ما جرى ، فانا اعرف العمّ ابا يوسف ، فقد كان ظريفاً فكِهاً ، ومن رجال الله ؛ فكم قضى في هذا المأوى ، وكيف كانت نهايةُ حياتهِ ؟ »

قالت : « كان ابو يوسف فقيراً ، يجمعُ الخِرَق والعظام ، فيبيعها ويعيش من ثمنها . وكان قانعاً بحالتهِ ، راضياً بعيشتهِ ، ينهض قبل الصباح الى الكنيسة ، ثمّ يخرج الى عملهِ ؛ وقد قضى السنين الطوال ، يأكلُ خبزهُ قَفاراً . ولم يكن لهُ في كوخهِ الصغير سوى فراش من مَوْص (قش) .

ففي ذات يوم من أيام الشتاء الماضي ، مرّتْ احدى أخواتي الراهبات امام ذلك الكوخ ، فرأت أبا يوسف ، وقد بلغ منهُ العجزُ والهرم . فألحّتْ عليه أنْ يأتي الى المأوى ، فاعتذر لها شاكرًا ، فلم تزلْ به حتى ارتضى ، فأمرتُ الراهبة أنْ تُدخلهُ الحمّام . وبعد حين ، ذهبتُ لازورهُ في غرفته ، فوجدتهُ نظيفًا نقيًا ؛ لكنّي رأيتُ على رأسه عصابة وَسِخَةً مرّ عليها سنون ، فقلتُ لهُ : « لِمَ أبقيت هذهِ العصابة ، مع ما عليها وتحتها من الاوساخ ؟ هيّا انزعها وألقها عنك . » فاجاب : « لا ، يا أمّي الرئيسة ، فهذه عصابة تعوّدتُها من زمانٍ طويل » قلت : « انزعها واغسل رأسك ، وأنا آتيك بأخرى جديدة » فقال : « لا ، لا ، لا أشاء أن استبدلها . »

فقلتُ في نفسي : « لا شكّ أنّ أبا يوسف قد خبّأ في هذه العمامة كنزهُ . » ثم قلتُ لهُ : « يا أبا يوسف ، اذا كان في عمامتك دراهم ، فأنا أحفظها لك عندي ، لحين الحاجة . » فلم يقتنعْ ، ولبث مُصرًا ، فألحتُ عليه ، فرفض وقال : « أفضّلُ ترك المأوى على ترك هذه العصابة ! »

فلمّا رأيتهُ مُصرًا ، تركتهُ وشأنه .

وبقي أبو يوسف عندنا في المأوى سنة ونصف سنة ، محافِظًا على تلك العصابة . وطالما طلب اليه بعض الراهبات

ان ينزعها عنه ، حفظاً للنظافة والصحة ، فكان يأبى بلطف .

فلمَّا كان مساء أمس ، أصابتْ أبا يوسف حمَّى ، فطلب أنْ يُمنح الاسرار الاخيرة ؛ وما أتى الصباح حتى انتقل من هذه الحياة .

فتقدَّمتِ الراهباتُ ، وألبسنهُ ثوباً أبيض ، ودفعهنَّ الشوق إلى الاطّلاع على ما في تلك العصابة السرّيّة ، فنزعْنها ، واذا مشهدٌ جليل يذيب القلب خشوعاً ، ويملك النفس دهشاً ....

وجدنَ تحت تلك العصابة إكليلاً من شوك !... والشعرُ تحته مخضَّباً بدمٍ ضارب الى السواد ...

فاجتمعنا كلّنا حول الفقيد ، وبكيناه بدموع سخينة ... ولا نزال في غاية التأثر والخشوع ...

في المطبخ

سمعتْ ربّة البيت صوتَ جلبة تكسُّر الصحون والكؤوس فأسرعت الى المطبخ وصاحتْ بالخادمة : « ماذا تعملين ؟ » فأجابت : « لا شيء ، يا سيّدتي ، قد انتهى الأمر . »

أين انا

دقّت الساعة التاسعة ليلًا ، فأُطفئ المصباح .

وما هو غيرُ حين حتى وجدتُني في رَدْهة المجلس النيابي ، فاذا الحاكم ، والرؤساء الروحيون ، والنظّار ، والمتصرفون ، ورجال الانتداب ، والنواب كلُّهم — خلافًا للعادة — حاضرون ؛ والواقفون من الحُضّار اكثر عددًا من الجالسين .

قُرع الجَرَس ، فافتتحَ الرئيسُ الجلسة بخطاب — واي خطاب ! — صفّق لهُ الجميع مرارًا مرارًا .

ثم وقف الرؤساء الروحيون ، فالنظّار ، فالمتصرّفون ، فالنُّوّاب ، ولَفظَ كلُّ واحدٍ منهم خطاباً ، فكاد يكون التصفيق بالايدي متواصلًا .

وبعد المذاكرة والمفاوضة والمباحثة وإجماع الرأي ، لفظ الرئيس هذا القرار السامي ، واليك شيئاً منهُ :

« إنّ المجلس النيابي ، في لبنان الكبير ، عَقد جلسةً فوق العادة ، استمرّتْ من الساعة التاسعة ليلًا الى الخامسة صباحاً ، حضرها اركان البلاد وجميع النواب ؛ وهو يُصدر الان هذا القرار ، ويرغب إلى الحكومة اللبنانيّة الجليلة في ان تضعه موضع الإجراء ، وهو :

اولاً ، أن تنضمّ دولة لبنانَ الكبيرِ الى جمعية الاتفاق الدولي، المعقودة في مدينة جنيف ، قصدَ محاربة الخلاعة على انواعها .

ثانياً ، أن تُسرع الحكومة الى انشاء لجنة يُختار أعضاؤها من كرام الطوائف ، تكون غايتها ، مراقبة ، جميع المطبوعات الاجنبية والوطنية ، ومشاهد الصور المتحركة ، والروايات التمثيلية ، والازياء ؛ فتمنع منعاً باتاً كل ما يضرّ بالآداب السليمة ، ويضع من حرمة الاديان .

ثالثاً ، إقصاء نساء الشرّ ، باسرع ما يمكن ، الى خارج المدينة ، والتضييق عليهنّ ما أمكن .

رابعاً ، أن يُؤيَّدَ مشروعُ الغاء المقامرة ، فتُطلَّق ثلاثاً بتّةً طلاقاً لا عود فيهِ .... الخ »

ثم ختم الرئيس هذا القرار بكلام كلُّهُ بلاغةٌ وحميّة وشرفٌ ودين .

فصاح جميع الحاضرين بصوتٍ واحد :

« ليحيَ المجلس !

ليحيَ الرئيس !

لتحيَ الحكومة !

وليعشِ الدينُ والشرفُ في لبنان الكبير ! ! ! »

فارتجَّتْ جُدرانُ الرَّدهة ارتجاجاً أيقظني من نومي ، فرأيتُني في سريري ، أُصفِّق بيديّ مع المصفِّقين ؛ فدهشتُ وقلت : « أين أنا ؟! »

صاحبة فندق

كان جورج الأول ، ملكُ انكلترة ، في بعض أسفاره ، فعرَّج على بلدة صغيرةٍ في هولندة ، ودخل مع قيِّمهِ فُندقاً هنالك ، وأمر بأن يأتوهُ ببيضتين .

وسأل القيمُ صاحبةَ الفندق عن ثمنهما .

فقالت : « ٢٠٠ فلوريني . »

فهتف القيم : « ماذا تقولين ، ٢٠٠ فلوريني ؟ »

قالت : « نعم . »

فقال القيّم : « أنا أعرض ذلك على الملك . »

فدعاها الملك . فمثلتْ بين يديهِ دون اضطراب ، وقالتْ له : لِمَ دعوتني ؟ »

قال الملك : « ما ثمن البيضتين اللتين أكلتهما ؟ »

قالت : « ٢٠٠ فلوريني . »

قال : « اذن فالبيض نادرٌ جدًا في هذه الناحية . »

قالت : « لا ، يا مولاي ، ليس البيض نادرًا في هذه الناحية ، بل الملوك هم عندنا نادرون »

فسُرَّ الملك بجوابها وأمر القيّم أن يدفع لها ما طلبت .

أخبار المقامرين

الى القُرَّاء الكرام أزُفُّ أخبار حوادث حقيقيَّة، واقعيَّة، بيروتية، عصريَّة، عرفتُ اصحابها، لكنّي أمسك القلم عن ذكر اسمائهم، حفظاً لكرامتهم أن تنحطّ، وضناً بصيتهم أنْ يُثلم.

الاولى: اشتدَّت الحُمَّى على أحد الفتيان، حتى بلغت حرارتها الدرجة الاربعين؛ فأرسلتِ الامُّ تستقدمُ الطبيب، فأسرع هذا وقرع الباب ففُتح، واذا بأمِّ المريض على السُلَّم نازلة؛ فظنَّها خارجةً هي نفسها لتستعجلهُ، فابتدرها بالسؤال عن ابنها، فقالت: «لا تزالُ حُمَّاهُ في الاربعين.» قال: «وإلى أين؟» قالت: «عندي موعِدٌ ولا بدَّ من الخروج.»

وكان الطبيب يعرف أنها من المقامِرات، فانتفض وقال: «اذا كنتِ لا تُشفقين على ابنك، فأنا احقُّ بأنْ لا أُشفق عليه!» وقفَلَ راجعاً.

فأسرعتِ الامُّ واخذت تستعطفهُ وتستحلفهُ أن يعود؛ فالتفت اليها وقال: «أعود إنْ عدتِ!»

مغزاه

انّ القمار داءٌ عُضال ، يُميت أشرفَ العواطف ، ويُفرّغ قلبَ الامِّ من الحنان ، حتى على مريضها !

*

الثانية : دخل بعض الاعيان ، يعودون صديقاً لهم مريضاً فجلسوا عنده يُسلّونه عن اوجاعه . وبعد حين ، طلب المريضُ مَنْ يأتي عانديهِ بالقهوة ، فلم يجد احداً ؛ فصفّق بيديهِ ، فلم يكن مِن مجيب ؛ فصفّق ثانيةً ، وثالثة ، ونادى ، فلم يُسمع لهُ . فغضب وجعل يصيح !

– اين كانت ربّةُ المنزل في تلك الساعة ؟

– كانت في البهْو تلاعب رفيقاتها بالقمار .

– واين كانت الخادمات ؟

– كُنّ في المطبخ يلعبنَ بالقمار ايضاً !!!

مغزاه

ان القمار يُلهي المرأة عن أهـل بيتها ، حتى في أحرج الاوقات ؛ ويُعمي مَنْ حولها ، حتى الخدم والخادمات !

*

الثالثة : كان بعضهم مُصاباً بداء المقامرة ، ولهُ ولدٌ وحيد . فكان هذا ، وهو صغير ، يجلس قرب أبيهِ ، يتفرّجُ عليه ،

وهو يُقامر. فلمّا شبّ، أُولِعَ بالقمار؛ فصار يسهر الليل، وينام النهار، فصحّ فيهِ مَثَلُ العامّةِ القائل: «مَكْتُوبْ على ورق الخيَارْ، إلّي بيسهرْ الليلْ بينامْ النهارْ». فكان الاب ينصحُ ابنهُ وينهاهُ عن السهر، حتى عيل صبرهُ، وخاف على حياة وحيده.

فزارهُ يوماً أحد اصحابهِ؛ فشكا اليهِ الرجلُ أمر ولدهِ، وما هو عليهِ من مواصلة السهر للمقامرة. فهزّ الزائرُ رأسه وقال مع الشاعر:

«بأبِهِ اقتدى عديٌّ في الكرمْ؛»
ومن يُشابهْ أبهُ فما ظلمْ!»

مغزاه

في قلب الشاعر...

أعمى مُداهن

كان أحد العميان جالساً على قارعة الطريق يتسوّل، فأحسّ بشخصٍ مارٍّ أمامهُ، فنادى: «بحياتكِ، ايّتها السيّدة الجميلة، جودي عليَّ بشيء!» فترقّفت السيّدة وقالت لهُ: «كيف عرفت أنَّ المارّ امرأة، وأنت أعمى؟» فقال لها: «مِن وطأتك الخفيفة!» فقالت لهُ: وكيف عرفت أني جميلة؟» فاجاب: «عفوًا، يا سيدتي! ولو علمتِ ما أنا عليهِ من شدّة الجوع، لغفرتِ لي هذهِ الكذبة الصغيرة!»

قبل رفع الستار

نشيد

لَقَدْ عُمِرَ النادِي ؛ فهيّا ، أيا شِعْري ،
ورَصِّعْ نَظيمَ المدحِ بالتِّبْرِ والدُّرِّ ؛
فَفِي مِثْلِ هذا العَصْرِ يُحْمَدُ نَظْمُنَا
لِمَنْ قد غدوا في عَصرِنا زينةَ العصرِ !
فطأطِئْ لهم رأساً ، وحيِّ مسلِّماً ،
وقلْ : مَرحباً بالأهلِ والسادةِ الغُرِّ !
لقدْ زُرْتمُ صَرْحاً تعوَّدَ بَهْوُهُ
زيارةَ سبّاقينَ في حَلْبةِ الفخرِ !
ورُبَّ مزورٍ زارهُ خيرُ زائرٍ ،
فشاهدَ شِعري الآنَ زهرًا على نهرِ !

*

سأذكُرُ ، يا صرحَ المعارفِ والتُّقى
جميلكَ ، ما إنْ دُمتَ أو دامَ لي عُمري !
فذِكرُكَ أنسي في الحياةِ ، وبعدَها
ستبعُثني يوماً إلى حُفرةِ القبرِ !

تعلّمني حِفظَ الجميل ، فكيف لي
سكوتٌ ، وطِيبُ الشكرِ يَنبَثُّ من صدري !

*

وأنتمْ أيا ساداتِ كلِّ فضيلةٍ ،
لكمْ من بنيكُمْ خالصُ الحمْدِ والشُّكرِ !
ألا غمِّدوا بالصَّفح كلَّ نقيصةٍ
تَبينُ مِنَ التمثيل بالنظمِ والنَّثرِ ؛
فإنَّ كريمَ الخُلق مَن عذرَ لورى ،
وأسبلَ فوقَ النقصِ مُتَّسعَ السِّترِ .

نصيحة

فتِّش خزانةَ كتُبك ، حتى اذا وجدت كتاباً ، أو كُرَّاسةً ، أو جريدةً فيها ما يُشوِّهُ الدين أو الآداب فألقِها في النار ! وهكذا تصون بنيك ، وتجعلُ منهم شُبّاناً جِيادَ الأبدان ، جيادَ العقول .

المفاضلة

بين شعراء العصر الجاهلي ، وشعراء العصر العبّاسي

﴿ الممثلون ﴾

شعراء العصر الجاهلي

امرؤ القيس	يوسف صحناوي (١
زهير بن ابي سُلمى	لويس شهاب
عمرو بن كلثوم	ألبر كسبار
عنترة بن شداد	شكري صائغ
أعشى قيس	بولس هنديّه
النابغة	شفيق طبّاره

شعراء العصر العباسي

ابو العتاهية	انطون رزق
ابو تمّام	كاظم الصلح
المتنبّي	يوسف هيكل
البحتري	انطون باز
ابو فراس	جورج أصفر
ابو العلاء المعرّي	عادل الصلح
الحَكَم	شكري أيّوب

---

١) يلذّ لنا أن نُثبت اسماء التلاميذ الادباء الذين مثّلوا هذه الحفلات ؛ وايّ أُستاذٍ لا يُسَرّ بتذكرِ تلاميذه ؟

المقدّمة

﴿ المشهد الأوّل ﴾

يدخلُ جميع الممثلين ما عدا امرأ القيس وعنترة

ابو العتاهية (يقول للجاهليين) : لا تحسبوا أنّكم نلتمُ السبْقَ في مِضمارِ الجدال .

المتنبّ : وإنّ موضوعاً جليلاً كهذا لا يُخاض في الحديثِ عنهُ وقت النُّزهة ، بين صياحِ اللّاعبين .

المعرّي : فضلاً عن أنّ صوتَ الجرس أتى وقطعَ علينا الكلام .

النابغة : رُويدكم ، يا إخوان ؛ فقد ذهب يوسفُ إلى الاستاذ ، ليسألهُ أن يُعفِينا من مدرسة هذا النهار . فإذا أذن لنا ، عقدنا جلسةً أدبيّة ، وعُدنا الى الخوض في هذا الموضوع .

﴿ المشهد الثاني ﴾

السابقون . امرؤ القيس

امرؤ القيس (يدخل ويقول) : بُشراكم ، أيُّها الإخوان ، بنَيْل الاستئذان . وأزيدكم أنّ الاستاذ أخبر حضرة الابِ

المدير فسُرَّ بذلك ، ودعا بعض الادباء الافاضل ، ونخبةً من الطلبةِ النُجباء ، لحضور المناظرة .

زُهير : أنا لا علمَ لي بشيء مما تقولون ، فقد كنتُ وقتَ النُزهةِ غائباً ؛ فماذا حدث ؟

عمرو بن كلثوم : لو كنتَ بيننا ، لراعك الأمر ؛ فقد احتدم الجدال ، وعلا الصياح .

زهير : وما كان موضوع الجدال ؟

عمرو : المفاضلة بين الشعراء .

المتنبي : الرأيُ أنْ نَظهر بمظهرٍ عربيٍّ محْض ، فيلبسَ كلٌّ منّا لِباساً يُشابهُ بهِ شاعرَهُ .

الجميع : نعم ! نعم !

امرؤ القيس : إذنْ عجّلوا ! (يخرجون جميعاً)

بين المقدّمة والفصل التالي تُنشد الأبيات التي مرَّ ذكرها في الصفحة ١٣١

الفصلُ

يدخل جميع الممثلين بزيّ العرب، ومعهم عنترة، ويقف شعراء العصر الجاهلي في جهة، وشعراء العصر العباسي في جهة.

امرؤ القيس : علينا، قبلَ الخوض في الجدال، أنْ نختار لنا حَكَماً.

المتنبي : نَكِلُ ذلك اليك؛ فاخترْ من تشاء.

امرؤ القيس : أنا أختارُ الاديبَ شكري أيُّوب، فهو «اكليريكيٌّ» لا يُحابي.

عنترة : ليحيَ الحكم!...

الجميع : ليحيَ أيُّوب!..

الحكم : لقد بوَّأْتُموني مَقاماً لستُ بأهلٍ له. ولولا خوفي من إضاعةِ الوقت، لاعتذرت؛ فعلى خيرةِ الله.

الجاهليُّون : ليحيَ شُعراءُ الجاهليَّة!!!

العبَّاسيون : ليحيَ شُعراءُ العصر العبَّاسي!!!

الحكم : إنّ الشعراء، في الجاهليَّة والعصرِ العبَّاسيّ لكثيرون؛ فخصِّصوا.

امرؤ القيس : أنا أوثرُ مِنَ الجاهليين امرأَ القيس .

النابغة : وأنا أُفضِّلُ النابغةَ الذُبياني .

زهير : وأنا أُنادي ليحيَ زهير !

عمرو : ألا عاش عمرُو بنُ كلثوم !

عنترة : ليحيَ عنترةُ بنُ شدّاد !

الأعشى : ليعشْ أعشى قيس !

الحكم : وأنتمْ ، من اخترتمْ من شعراء العصرِ العبّاسي ؟

المتنبْ : أنا اخترتُ أبا الطيّبِ المتنبْ .

ابو تمّام : وأنا أوثرُ أبا تمّام .

البحتري : وأنا أصيحُ : ليحيَ البُحتُري !

ابو فراس : ليعشْ ابو فراس الحَمْداني !

المعرّي : ليحيَ ابو العلاء المعرّي ، فيلسوفُ الشعراء !

ابو العتاهية : ليحيَ ابو العتاهية !

الحكم : إنّكم ، وأيمُ الحقّ ، قد اخترتمْ فحولَ الجاهليين والعبّاسين ، فهيّا ننظر مَبْلَغَ دِفاعِ كلّ حزبٍ عن حِزبه .

*

البحتري : للهِ أبوكم ، يا أصحاب الجاهليين ، أيُّ شيءٍ حبّبهمْ إليكم ؟ أتراكيبُهمُ الغريبة ؟ أم كلامهمُ الوحشي ؟

مِنْ مثلِ قول شاعرِكم امرئ القيس :

« كأنَّ ثَبيرًا ، في عَرانِينِ وَبْلِهِ ،
كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ »

ابو فراس : أَمْ مُلازَمَتُهم للنَّوْحِ في مطالعِ قصائدِهم ، والبكاء على الاطلال ؟

المتنبي : فأين هُمْ من شعرائِنا الذين يُصدِّرونَ قصائدَ المدْحِ أو غيرِها بذكرِ الحبيبِ والشوق والوجد ، من مثل قولِ صاحبي المتنبي في مدح كافور :

« أُغالِبُ فيكَ الشوقَ ، والشوقُ أَغلبُ ،
وأعجبُ من ذا الهجرِ ، والهجرُ أَعجبُ ! »

وقولِهِ في مدح سيف الدولة :

« بأَدنى ابتسامٍ منكَ ، تحيا القرائحُ !
وتَقْوى من الجسمِ الضعيفِ الجوانحُ ! »

ابو تمّام : فكيف تجرؤُونَ على مقابَلةِ غَلاظةِ شعرِهم برقةِ شعرِ أصحابِنا ، ولاسيَّما ابو تمّام !

عمرو (متهكِّماً) : مَنْ ؟ أبو تمّام ؟ الذي كان يَسْقي الماء في الجامع ؟

ابو تمّام : نعم ! لكنَّهُ ، ما جالس الأُدباء ، وخاض مضمارَ الشعر ، حتَّى قدَّمَهُ المعتصمُ على جميعِ شعراءِ وقتِهِ !

وما كان أجدرَكمْ ، يا شعراءَ الجاهليَّة ، بأنْ لا تَنْسوا فضلَ أبي تمّام ! فهو الذي جمعَ أشعاركم في كتابِ الحماسة ؛ ولولاهُ ، لطمَسَ الدهرُ آثارَكم !

الحكَم : هذا الحقُّ ، لا ريبَ فيهِ ! فأنشِدْنا شيئاً من صاحبكَ ابي تمّام .

ابو تمّام : إليكم شيئًا من مدحهِ للمعتصم :

هو البحرُ ، من أيِّ النواحي أتيتَهُ ،
فلُجَّتُهُ المعروفُ ، والجودُ ساحلُهْ !
تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ ، حتّى ، لوَ انَّهُ
ثناهـا لقبضٍ ، لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ !
ولوْ لم يكنْ في كفِّهِ غيرُ روحهِ ،
لجادَ بهـا ؛ فليتَّقِ اللهَ سائلُهْ !

البحتري : أنا كمُ البُحتريُّ الشاعرُ الشاعر !

امرؤ القيس (متقزِّزًا) : البُحتريّ ؟... إذنْ رُشُّوا حَوْلنـا الطيوبَ والعطور ، كي لا نستنشقَ رائحتَهُ الخبيثة ، لانَّهُ كان وَسِخَ الثيابِ قَذِرًا » !

النابغة : بل قـلْ : « مـا كان أقبحَ صوتَه ! ، وأبغضَ إلى النـاس إنشادَه ! » فإنَّهُ كان يتشادقُ ، ويتزاورُ في مشيهِ ، ويهزُّ رأسه ، ويُشيرُ بكُمِّهِ ، ويقفُ عندَ كلِّ

بيتٍ ويقول: «أحسنتَ واللهِ أحسنت!» حتى ضجِر منهُ المتوكِّل!

البحتري: نعم، ومعَ كلِّ ذلك، شبَّهوا شِعْرَهُ بسلاسلِ الذهبِ، لتناسُبه؛ وإنَّهُ، مع قَذارةِ ثيابِهِ، كان أنقى من الجاهليينَ قلباً، وأطهر! وهو الذي جمع مختاراتِكم في كتابِ حماسته — كما فعل ابو تمّام — ولكنْ بعد أنْ رفع من أشعارِكم كلَّ الالفاظِ البذيئة، والغزل والنسيب؛ فكأنَّهُ جمعها لشبيبةِ هذهِ الايّام!

الحكم: عاش البحتري! وعاش كلُّ شاعرٍ نقيِّ الشعر! فأَسمِعْنا، يا عافاكَ اللهُ، شيئاً من نظمه.

البحتري: إليكم بعضَ أبياتٍ من قصيدةٍ لهُ يمدحُ بها أبا مُسْلمٍ بنَ حميد.

إذا ارتدَّ يومُ الحربِ ليلاً، ردَدتَّهُ
نهاراً بلألاءِ السيوفِ الصوارمِ!
وإن غلَتِ الارواحُ، أرخصتَ سَوْمَها
هنالك في سوقٍ من الموتِ قائمِ!
بضربٍ يَشيدُ المجدَ في كلِّ مَوْقفٍ،
ويُسْرِعُ في هَدْمِ الطُّلى والجماجمِ!

ومِنْ قولِهِ في مدح أبي سعيد :

« ولوْ داسكُمْ بالخيلِ دَوْسةَ مُغْضبٍ
لطِرْتمْ غُبارًا فَوْقَ خَرْسِ الكتائبِ ! »

المعرّي : ما أحسبُكم يا شعراءَ الجاهلية ، تَسمعون شِعْرَ ابي العلاء ، حتّى تَحنُوا الرؤوس إجلالًا !

زهير : ماذا ؟ ! أتريدُ أنْ نَحنيَ الرؤوسَ لصاحبكَ الأعمى ، شاعرِ التّينِ والعدس ؟ ! فإنّهُ قضى أربعين سنةً ، لا يأكلُ غيرَهما ، حتى أصبحَ مِزاجُهُ سوداويا ، لاختلالِ هَضْمه .

المعرّي : نعم ، كان أبو العَلاء أعمى البصر ، لكنّهُ كان نيّرَ البصيرة ! وكان يقول : « أحمَدُ اللهَ على العمى ، كما يَحْمَدُهُ غيري على البصر ... » أمّا اكتفاؤُهُ بالعدس طعاماً ، والتينِ حَلاوة ، فلِزُهدِهِ في ملاذِّ الدنيا ؛ فهو فيلسوفٌ مفكّر ، قَرَنَ الشعر بالفلسفة ، فحلّق !

الحكم : أسمِعْنا شيئاً منْ شعره .

المعرّي : ألا ، في سبيلِ المجد ما أنا فاعلُ :
عَفافٌ ، وإقدامٌ ، وحزمٌ ، ونائلُ !

تُعدُّ ذنوبي عندَ قومٍ كثيرةً ؛
ولا ذنْبَ لي إلّا العُلى والفضائلُ !
وقد سارَ ذكري في البلادِ ، فمَنْ لهم
بإخفاءِ شمسٍ ضوءُها مُتكاملُ !
ولو بانَ عُنْقي ، ما تأسَّفَ مَنكِبي ؛
ولو ماتَ زَنْدي ، ما بكتْهُ الأنامِلُ !
ولله دَرُّهُ حيثُ يقول :
وإني ، وإنْ كنتُ الأخيرَ زمانُهُ ،
لآتٍ بما لمْ تستطِعْهُ الاوائلُ !

النابغة : قال ذلك ، وعجَز عن الردّ على اقتراحِ طفلٍ صغير!

ابو فراس : ما تقولونَ في أبي فراس الحمدانيّ الأمير ، الذي جمع من الجُودةِ والجزالةِ والعذوبةِ والفخامةِ وعِزّةِ الملْك ، ما لم يجتمعْ في شاعرٍ قبلَهُ قطّ ! فاسمعوا من شعرهِ في الفخر :

ألمْ ترَنا أعزَّ الناسِ جارًا ؟
وأمنَعَهم وأمرَعَهم جَنابا !
لنا الجبلُ المُطِلُّ على نِزارٍ ،
حللْنا المجدَ منهُ والهضابا !

ولمَّا ثار سيفُ الدينِ ، ثُرْنا
كما هيّجتَ آسادًا غِضابا !
دعانا ، والأسنَّةُ مُشرَعاتٌ ،
فكنّا عند دعوتِهِ الجوابا !

وقد رأيتُ في ديوانه ، أنَّهُ لمَّا حضرتهُ الوفاة ، أخذ يُنشدُ مخاطباً ابنتَه :

أبُنيّتي ، لا تجزعي :
كلُّ الانامِ الى ذهابِ .
نُوحي عليَّ بحسرةٍ ،
مِنْ خلفِ سترِكِ والحجابِ .
قولي ، إذا كلَّمتِني
فَعَيِيتُ عنْ ردِّ الجوابِ :
« زينُ الشبابِ أبو فراسٍ ،
لمْ يُمتَّعْ بالشبابِ ! »

ابو العتاهية : وما رأيكم في ابي العتاهية ؟ فاسمعوا كيف هنّأ المهديَّ بالخلافة :

أتتْهُ الخلافةُ منقادةً
إليهِ ، تجرِّرُ أذيالها !

فلمْ تكُ تصلُحُ إلَّا لهُ ،
ولم يكُ يصلحُ إلَّا لها !
ولو رامها أحدٌ غيرهُ ،
لزَلزلتِ الأرضُ زِلزالها !
ولو لمْ تُطعْهُ بناتُ القلوبِ ،
لمَا قبلَ اللهُ أعمالَها !

ومن بديع اختراعاته قوله :

النـاسُ في غَفَـلاتِهمْ ،
ورَحى المنيَّـةِ تطحَنُ !

المتنبي : أنا لم أذكرْ لكم سوى مَطْلعٍ من مطالعِ قصائدِ المتنبي ؛ فدونَكم الآنَ من أبياتِهِ التي سارتْ بها الرُكبان ! وها قد مضى عليها نحوٌ من ألفِ سنة ، وهي لا تزالُ موضوع إعجاب أهـلِ الأدب ؛ فاسمعوا :

لكلِّ امرىءٍ من دهرِهِ ما تعوّدا ،
وعادةُ سيفِ الدولةِ الطعنُ في العِدى !

ومنها قولهُ :

وما الدهرُ إلَّا من رُواةِ قصائدي ؛
إذا قلتُ شعرًا ، أصبحَ الدهرُ مُنشدَا !

ومنها قولهُ أيضاً :

وما قتلَ الاحرارَ كالعفوِ عنهمُ ؛
ومن لك بالحُرِّ الذي يحفظُ اليدا !
أذا أنت أكرمتَ الكريمَ ملكتهُ ،
وإنْ أنتَ أكرمتَ اللئيم تمرَّدا .
ووضعُ النَدى ، في موضعِ السيفِ ، بالعُلى
مضرٌّ ، كوضعِ السيفِ في موضعِ النَدى .

ومن بدائعهِ السائرة قولُه :

« رماني الدهرُ بالأرزاء ، حتى
فؤادي في غِشاء من نبالِ ؛
فصرتُ إذا أصابتني سهامٌ ،
تكسَّرت النِصالُ على النصالِ . »

ولله درُّه حيث يقول :

ولو كان النساءُ كمنْ فقدْنا ،
لفضّلتِ النساءُ على الرجالِ .
وما التأنيثُ لاسمِ الشمسِ عيبٌ ،
ولا التذكيرُ فخرٌ للهلالِ .

*

امرؤ القيس : حسبكمْ ، يا إخوانُ ، حسبكم ! فقد أشبعتمونا

من أشعارِ ذويكم ، واستأثرتم بالمناظرةِ استئثارا !
فأفسحُوا لنا مجالًا فنُسمعكم من أشعارِ الجاهليين
ما يُحقِّرُ شعراءكم أجمعين !

الحكَم : أجلْ ، قد أتى دورُكم ؛ فهاتوا !

زهير : قبل أنْ نبدأ بالإنشادِ ، أقول : إعلموا يا أصحابَ شعراء العصرِ العباسي أنَّ شعرَ الجاهليَّة لا يزال مِثالَ البلاغةِ الى الآن ، ولنْ يزال ؛ وذلكَ لبُعْدِهِ عن مفاسدِ العُجْمة ، وسلامتهِ من الحشو ؛ وليس فيهِ من زخارف المدنيَّةِ كالبديعِ والجناس ، والمجاز والكناية ، إلَّا بقدْرِ الملحِ من الطعام .

عمرو : نعم ! نعم ! وأمَّا ما تجدونهُ في بعض أشعارِهم من التعقيد ، فسببُهُ غرابةُ بعضِ الألفاظ عنكم . فتلكَ لُغتُهم التي كانوا يتفاهمون بها ، كما نتفاهمُ نحنُ الان بلُغةِ العامَّة .

النابغة : وأمَّا قولكم بانَّ الشاعرَ الجاهليَّ يُصدِّرُ قصائدَه ، غالبًا ، بذكرِ المنازلِ والأطلالِ ، فذلك طبيعيٌّ عندهم ، لأنَّهم أهلُ رِحلةٍ ، لا يُقيمون في المكانِ حيناً ، حتى ينزحوا عنهُ فرارًا من عدوٍّ ، أو التماسًا للماء والمرعى .

عنترة : وحَسْبُ الشاعرِ الجاهليّ فخرًا ، أنهُ لا ينظم الشعر التماساً للعطاء ، وإنما ينظمُ لداعٍ يُحرّكهُ : إمّا دفاعاً عن عرْض ، أو تحمُّساً لحرب ، او تشكّياً لفراق ، او بكاءً على فقيد. واذا مدح ، فلا يكونُ مدْحُهُ للتكسُّبِ واستدرارِ الجوائزِ ، كما صار اليهِ شعراؤكم أجمعون !

الأعشى : وإذا خطر لهم خاطرٌ شعري ، صوّرُوهُ كما يتخيّلُ لهم بلا أَنَقٍ ولا تنميق ، خلافًا لِما تقتضيهِ الحضَارةُ من التكلُّفِ وغيرهِ من ثِمارِ الذلّ والانكسار ، كما ترونَ في أقوالِ شعرائكم ؛ فانهم يتملّقون ويتكسّبون .

المتنبّي : أأنتَ ، يا صاحبَ الأعشى ، تُعيّرُ شعراءنا بالتملّق والتكسُّب ؟! فهلْ غاب عنك أنّ صاحبك الأعشى هو أوّلُ من سأل بشعرهِ وانتجع بهِ أقاصيَ البلاد ؟؟!! فأغلقْ هذا البابَ ، ولا تعُدْ إلى فتحهِ .

الأعشى (مخاطباً نفسه) : لله درُّهم ! فإنهم عارفون بتاريخ الجاهليّةِ تمامَ المعرفة !

امرؤ القيس : وإنّ شعراءنا لم يتركوا شيئاً وَقَعَ تحتَ حِسّهم ، إلّا تناولوه بمقالهم ، فأجادوا وأبدعوا ، مع سهولةٍ

في التعبير ، ومتانةٍ في التركيب ، وتوخٍّ للحقيقة ، وبُعْدٍ عن الغلوّ ، كما قال أحدُهم زهير :

« وإنَّ أشعرَ بيتٍ أنتَ قائلُهُ ،
بيتٌ ، يُقالُ ، إذا أنشدتَهُ ، صدقا ! »

وإذا اعتبرْنا عددَ الشعراء الجاهليين مئة ، كان نصفُهم من الفرسان وأهلِ الحرب ، وبينهم طائفةٌ من الحكماء والملوك والامراء : من مِثْل صاحبي ، امرئ القيس ، سليلِ مُلوكِ كِندة وأميرِ بني أسدٍ وغطفان !

زهير : وحسْبُ شعراء الجاهليةِ فخرًا إجماعُ أقطابِ العربيَّة على تفضيلهم ؛ فقد قال أبو عبيدة : « أشعرُ الناسِ ، أهلُ الوَبَر خاصَّةً . » وقال الفرزدق : « امرؤ القيسِ أشعرُ الناس . » وقال جرير : « النابغة أشعرُ الناس . » وقال ابن أحمر : « زهيرٌ أشعرُ الناس . » وقال الكُمَيْت : « عمرو بن كلثوم أشعرُ الناس . » وانتم ترَوْنَ أنَّ جميعَ هؤلاء هم من شعراء الجاهليَّة !

النابغة : ثمَّ لا يخفى عليكم أنْ قد بلغ من كَلَفِ العربِ بالشعرِ الجاهليّ أنْ عَمَدَتْ إلى سبع قصائدَ

اختارتها من الشعرِ القديم ، فكتبتها بماء الذهب ،
وعلّقتها على استار الكعبة ، وكفى بذلك برهاناً !

المتنبي : ذلك أمرٌ يحتاجُ إلى إثبات ، فإنّ المحقّقين على خِلافٍ فيه .

الحكَم : لقد طالَ الجدالُ في هذا الموضوع ؛ فأنشدونا شيئاً من شعرهم .

امرؤ القيس : إليكَ شيئاً من مُعلّقة امرئ القيس ، امير الشعراء :

قفَا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومنزلِ ،
بسِقْطِ اللّوى ، بين الدّخولِ فحَوْمَلِ !
كأنّي ، غداةَ البين ، يوم تحمّلُوا
لدى سَمُراتِ الحيّ ، ناقفُ حنظلِ .
ففاضتْ دموعُ العينِ منّي صَبابةً
على النحرِ ، حتّى بلّ دمعي مَحْمِلي .

حتّى يصل الى وصف الليل فيقول :

وليلٍ كموْجِ البحر ، أرخى سُدولهُ
عليّ بأنواعِ الهمومِ ، ليبتلي ؛
فقلتُ لهُ ، لمّا تمطّى بصُلْبِهِ ،
وأردف أعجازًا ونا بكَلْكَلِ :
ألا ، أيُّها الليلُ الطّويلُ ، ألا انجلي
بصبحٍ ؛ وما الإصباحُ منكَ بأمثل !

ثمَّ يصفُ فرسهُ ويقول :

مِكَرٍّ ، مِفَرٍّ ، مُقْبلٍ مُدْبِرٍ معاً ،
كجُلمود صخرٍ حطَّهُ السيلُ منْ عَلِ !
فكذا ، كذا يكونُ الشعر !

الحكَم : وأنت ، يا صاحب زهير ، أنشدْنا شيئاً من شعره .

زهير : بلْ قلْ : « من شعر شاعر الشعراء ! » كما قال فيه عليّ . لأنَّهُ كان لا يُعاظِلُ في الكلام ، ولا يمدحُ أحداً إلّا بما هو فيه . وقد كان أبوهُ شاعراً ، وهو شاعر ، وخالهُ شاعر ، وابناهُ شاعران ، وهما : كعبٌ وبُجَير . وأختُهُ سُلمى شاعرة ، واختهُ الخنساء شاعرة ؛ وكان يُضرَبُ بهِ المثَلُ في التنقيح ، فيقال : « حوليّاتُ زهير . » لأنَّهُ كان ينظم القصيدة في اربعة أشهر ، وينقّحُها في أربعة أشهر ، ويعرِضها على أصحابهِ أربعةَ أشهر ، ثم يُنشدُها على الناس .

ابو العتاهية : أنت تفتخرُ بأنّ صاحبكَ زهيراً كان يقضي في نظم القصيدة حولاً كاملاً ؛ وأنا اعتزُّ بأنَّ صاحبي أبا العتاهية كان يقول : « ما أردتُ الشعر قطُّ ، إلّا مَثَلَ بين يدي ؛ فأقول ما أريد ، وأترك ما لا أريد ! »

زهير : إنَّ زهيراً لأكبرُ من أن يُقابَلَ بصاحبكَ ابي العتاهية ،

صانعِ الجرار؛ وإنَّ كلَّ بيتٍ من أبياتِ زهير، شهدٌ، إن مَسَسْتَهُ ذاب! أمَّا صاحبُك، فشعرُهُ كساحة الملوك — كما قال فيه الاصمعي — يقعُ فيها الجوهرُ والذهبُ والتراب والخزَف والنَّوى.

ابو العتاهية: نعم كان صاحبي، أوّل أمرِهِ، صانعَ جرار؛ وكان يحملُها في قَفَصٍ على ظهرِهِ، ويدورُ في الكوفة، وليس في ذلك عار. ولكنْ، ما هو غير حين، حتى جعل أدباءُ الكوفة وطُلَّابُ الشعر يأتونهُ في معمله ويستنشدونهُ، حتى صارَ إمام الشعراء. وإخالك لا تجهلُ أنَّهُ لمَّا وفد على بغداد، في أوّل خِلافة المهدي، وكان هنالك بشَّار الشاعر، وأنشد أبو العتاهية القصيدةَ التي ذكرتُ لكمُ الآن شيئاً منها، قال بشَّار لجارٍ لهِ: أنظر ويحكَ هل طار الخليفةُ عن عُرُشه!» ولو أنَّ أبا العتاهية شاء أن يقضيَ في نظم كلّ قصيدةٍ حولًا كاملًا، لما استطعتَ أن تجد فيها إلَّا الذهبَ والجوهر!

عنترة: حسبُك! فليس في شعرهِ إلَّا الخَزَفُ والنَّوى!

ابو العتاهية: أنتَ إذا كرِهتَ أبا العتاهية، فلا عجَب، لأنَّهُ كان أبيض الوجهِ جميلًا، وشاعرُك كالفحم سوادًا.

عنترة : إني لافتخرُ بلونِ صاحبي ! ولذا تراني أُمثِّلهُ أمامَكَ كما هو ، وأُنشدُكَ قوله :

« تعيّرُني العِدى بسَوادِ جلْدي ؛
وبيضُ شمائلي تمحو السوادا ! »

الحكم : حسبُكم ! حسبُكم ! أنشدنا شيئاً من معلّقة زهير.

زهير : لبّيك !

فأقسمتُ بالبيتِ الذي طاف حولهُ
رجالٌ بَنَوهُ من قُريش وجُرْهمِ ،
يميناً : لَنِعْمَ السيّدَان وُجدتما ،
على كلّ حال ، مِن سَحيلٍ ومُبْرَمِ !

إلى أن يقول :

ومَنْ لا يُصانعْ في أمورٍ كثيرةٍ ،
يُضَرَّسْ بأنيابٍ ، ويُوطَأ بمَنسِمِ .
ومَنْ يجعلِ المعروفَ من دونِ عِرضهِ
يفِرْهُ ، ومن لا يَتّقِ الشتمَ يُشتمِ .
ومَنْ يكُ ذا فضلٍ ، ويبخَلْ بفضلهِ
على قومهِ ، يُستغنَ عنهُ ويُذْمَمِ !
ومن يغترِبْ يحسَبْ عدوًّا صديقَهُ ؛
ومن لا يُكرِّمْ نفسهُ لا يُكرَّمِ !

النابغة : مجالاً للشاعرِ الذي كان، إذا قامتْ عُكاظ، ضربتْ لهُ العربُ قبَّةً، وجاء الشعراءُ يُنشدونهُ أشعارهم !

الحكَم : نعم ! للنابغةِ في الشعرِ مقامٌ جليلٌ ؛ فأنشدْنا منهُ .

النابغة : إليكم شيئاً من قصيدتهِ التي يمدحُ بها عمرَو بنَ الحارثِ، ملكَ غسَّان النَّصراني :

وثِقتُ لهُ بالنصرِ، إذ قيل : « قد غزتْ
كتائبُ منْ غسَّانَ، غيرُ أشائبِ ! »
إذا ما غزَوا بالجيشِ حلَّق فوقهم
عصائبُ طيرٍ تهتدي بعصائبِ .
فهم يتساقَوْنَ المنيَّةَ بينهم،
بأيديهمِ بيضٌ رِقاقُ المضاربِ !
ولا عيبَ فيهم، غير أنَّ سيوفهم
بهنَّ فلولٌ منْ قِراعِ الكتائب !
لهم شيمةٌ، لم يُعطِها اللهُ غيرَهم،
من الجودِ والأحلامِ غيرُ عوازبِ !
مَجلَّتُهم ذاتُ الالهِ، ودينُهم
قويمٌ، فما يرجونَ غيرَ العواقبِ !

عمرو : مكاناً لسيِّدِ تَغلِب، عمرِو بن كلثوم، صاحبِ المعلَّقة الشهيرة، التي كان بنو تغلِب يُعظِّمونها،

ويَرويها صغارُهم وكبارُهم ؛ واليكم شيئاً منها :

أَبا هِنْدٍ فلا تعجَلْ علينا ،
وأنظِرْنا نُخبِّرْكَ اليقينا :
بأنّا نوردُ الراياتِ بيضاً ،
ونُصدرهُنَّ حُمرًا قد رَوِينا !
وأيّامٍ لنا غُرٍّ طوالٍ ،
عصَينا المَلْكَ فيها أن ندينا !
ورِثْنا المجدَ — قد علمتْ مَعدٌّ —
نُطاعنُ دونَهُ حتى يَبينا ،
بشُبّانٍ يرَونَ القتلَ مجدًا ،
وشيبٍ في الحروبِ مجرَّبينا !
ألا لا يجهلنْ أحدٌ علينا ،
فنجهلَ فوق جهلِ الجاهلينا !

أعشى قيس : أتاكُمْ صَنّاجة العرب ، الذي أرضاهُ أبو سفيان بمائةٍ من الإبل ، كي لا يصلَ الى مُحمَّدٍ فينصُرَهُ بشعرهِ ، ويُضرمَ على ابي سفيان وقومهِ نيرانَ العرب بشعره ! واليكم شيئاً من لاميَّته :

تُغري بِنا رَهْطَ مَسْعُودٍ وإخوتَهُ ،
يَوْمَ اللقاء ، فيُرْدي ، ثمَّ تعتزلُ ؟

كناطحٍ صَخرةً يوماً ليَفلِقها ،
فلم يَضِرْها ، وأوهى قرْنَهُ الوعِلُ !
كلَّا ! زعمتم : بأنّا لا نقاتلُكمْ ؟
إنّا لامثالكمْ يا قومَنا قُتُلُ !
قالوا : « الطرادَ ! » فقلنا : « تلك عادتنا !
أو تنزِلونَ ، فإنّا مَعشرٌ نُزُلُ ! »

عنترة : وراءكم ، يا أشباهَ الشعراء ! فقد ضاق صدرُ فارسِ الجِلاد ، وحيَّةِ بطنِ الواد ، عنترةَ بنِ شِدّاد ، الذي قال فيه شاعرنا اليازجي :

« إنْ لم يكنْ أفرسَ الفُرسانِ عن ثقةٍ ،
فإنّهُ ، دونَ شكٍّ ، أشعرُ الشُّعرا ! »

وها كمْ شيئاً من معلّقته :

لمّا رأيتُ القومَ أقبلَ جمعُهم
يتذامرونَ ، كررْتُ غيرَ مُذمَّمِ !
يدعونَ عنترَ ، والسيوفُ كأنّها
لمعُ البوارقِ في سَحابٍ مُظلِمِ !
يدعون عنترَ ، والرماحُ كأنّها
أشطانُ بئرٍ في لَبانِ الادهمِ !

مـا زِلتُ أرميهم بثُغرةِ نحرِهِ
ولَبانِهِ ، حتى تسربلَ بالدمِ !
فازوَرَّ من وَقْعِ القَنا بلَبانِهِ ،
وشكا إليَّ بعَبْرةٍ وتحمحمِ !
لو كان يدري ما المحاورةُ ، اشتكى ؛
ولكان ، لو علمَ الكلام ، مكلِّمي
ولقد شفَى نفسي وأبرأ سُقْمها ،
قِيلُ الفوارسِ : « ويكَ عنترُ ، أقدِمِ ! »

الحكم : للهِ درُّ شعراء العرب جميعاً ! فهم أقوى الأممِ شاعريَّة ، وأقدرُهم على النظم . ولقد أسمعتمونا الآن ، أيُّها الأدباء ، مِن روائعِ الشعر ما أطربنا ودلَّنا على ما عندَ العربِ من النفسِ الحسَّاسة ، ورقَّةِ الشعور ، وحِدَّةِ الخاطر ، وروائعِ الحِكَم !

المعرّي : أجل ، ولكنْ شتَّان بين شعراء الجاهلية ، وشعراء العباسيين ! فإنَّ الجاهليين كانوا عبدة أوثانٍ ، لا دينَ لهم ولا مُعتقَد !

زهير : مهلًا ، يا صاح ، مهلًا ! فإنَّ مُعْظمَ الجاهليين كانوا ذوي دينٍ ومعتقَد ! ولو جئتُ أُثبتُ لك ذلك ، لطال المجال ، وضاق الوقت ؛ فاسمعْ ما قال

صاحبي زهيرٌ في معلّقته :

« فلا تكتُمُنَّ اللهَ ما في صدورِكم
ليخفى ، ومهما يُكتَمِ اللهُ يَعلَمِ ! »

أعشى : واسمعْ ما قال الاعشى ، حيثُ يُقبّحُ عِبادةَ الاوثان ، ويحُضُّ على عبادةِ الله :

« وذا النُصُبُ المنصوبُ ، لا تسكنَنَّهُ !
ولا تعبُدِ الأوثانَ ، واللهَ فاعبُدا ! »

زهير : ودونكَ ما قال أوسُ الحُجْري :

« أطَعْنا ربَّنا ، وعصاهُ قومٌ ،
فذُقنا طعمَ طاعتنا ، وذاقوا ! »

امرؤ القيس : نعم ! نعم ! فإنَّ كلَّ عارفٍ بالتاريخ يعلمُ أنَّ عرب الجاهليَّة عرفوا الله بنور النصرانية ودُعاتِها ؛ ودونكم ما قال أميَّةُ بنُ الصلت وهو جاهيّ :

« فكلُّ مُعَمَّرٍ ، لا بدَّ يوماً ،
وذي الدنيا ، يصيرُ الى الزَّوالِ !
ويَفْنى ، بعدَ جِدَّتِهِ ، ويَبلى ،
سوى الباقي المقدَّسِ ذي الجلالِ ! »

عنترة : صدقت ! صدقت ! لكنّ وقتَ المدرسةِ قد انتهى ، وكاد الجرسُ يُقرع ؛ فلا نشاءُ أن نختِمَ هذه المناظرة

قبلَ أن نعرِف ايُّ الحزبين نالَ الافضليَّة .

الجميع : نعم ! نعم !

الحكم : أيُّها الادباء ، من طَلَبتْ نفسُهُ الجلوسَ على كُرْسيّ القضاء بين الشعراء ، لزِمَهُ أنْ يأخذَ شعرَ كلّ شاعر ، ويجمعَ ما لهم من الإجاداتِ في هذا الفنّ ؛ فمن كانت إجادتُهُ أكثر ، كان هو الاشعر . واعلموا أنَّ منْ قصَّدَ القصائد في جميع الابواب ، وأطال ، ولكن كانتْ أساليبُهُ كالوجوهِ المنقوفة ، ومعانيه كالانوار الضعيفة ، فمثلُ هذا يُقدَّمُ عليهِ صاحبُ قصيدةٍ واحدةٍ غرّاء ، كقصيدة السموأل في الفخر ، وقصيدةِ بشْر بنِ عوانة ، التي يصفُ بها قتالهُ للاسد ، وقصيدةِ ابنِ الأنباري في رثاء الوزير الطاهر ؛ بل يُقدَّمُ عليهِ صاحبُ بيتٍ واحد ، مِنْ مثل هذا المطلع البديع :

منابتَ العُشْبِ ، لا حامٍ ، ولا راعي ،
مضى الرَّدى بطويلِ الرُّمح والباع !

وقد بقي هنالك وجوهٌ كثيرة ، لا مَندوحةَ لمنْ يُفاضلُ بين الشعراء أنْ يُراعيَها : منْ مثل إشراق الديباجة ، ورَشاقة العبارة ، ومؤاخاةِ الالفاظ للمعاني ،

وابتكار المعاني والاساليب ، والنظم في كل أبواب الشعر ، من مديح وهجاء وفخر وما يتفرّع منها ، والتخلّص من الجوازات الشعريّة المكروهة ، والإجادة في أسوار القصيدة ، وهي المطلع وبيت التخلّص وبيت الختام. وأمّا الحكم بأنّ فلاناً أشعر من فلان ، قبل أن يُقضى من الوقت ما يكفي للموازنة بينهما ، على الاعتبارات التي ذكرت ، فهو حكم قابل النقض ، ولو حكم به أئمّة الكون أجمعون ! ... وكأني بكم ، أيها الاخوان ، تقولون : « لقد أفضتَ في الكلام ، ولم توصلنا الى المرام ؛ فأسمعنا الحكمَ وحسبُنا ! » فأجيب إذا كان لا بدّ من الحكم في هذه المفاضلة ، فأقول إنّ فصلَ الخطاب ، هو ما حكم به بديع الزمان الهمذانيّ في المقامة القريضيّة حيث يقول : « المتقدمون أشرف لفظاً ، وأكثر من المعاني حظاً . »

الجاهليّون (يصفقون بالأيدي ويصيحون) : ليحيَ المتقدّمون ! وليحيَ الحكم !

الحكَم : مهلاً ! لم أنتهِ بعد !... والمحدَثون ألطف صُنعاً ، وأرقّ نسجاً .

العباسيون : ليحيَ الحكم ! وليحيَ المحدَثون !

الحكم : ألا تصيحون : « ليحيَ الشعراء أجمعون ؟ »

الجميع : ليحيَ الشعراء أجمعون !!!

الحكم : وأنا أتفاءلُ ، أيُّها الإخوان ، وأصيحُ من أعماق الجنان وأقول : « ليحيَ ليحيَ طلبةُ صفّ البيان !!! فإنكم ، وايمُ الحقّ ، قد ألبستُم النثرَ من حُلل الفصاحة ألواناً يقبُحُ بازائها الديباجُ الخسرواني ! وما بلغتم فنّ الشعر ، حتى برزتْ أزهارُ قرائحكم من أكمامها ، ونشرتْ من عطورِ الآمال ما جعلنا نقول : ليس في روضةِ البيانِ ، في هذا العام ، إلّا طيورٌ وبلابل ، ستهتزّ لصُداحِها الانديةُ والمحافل ! لذلك ندعوكم ، أيُّها الأدباء ، لإقامةِ جلسةٍ ثانية ، لا نسمع فيها منظوماتِ الجاهليين وغيرهم ، بل نُطِلُّ منها على روضةٍ من رياضِ شعركمُ السيّال ، فنسمع تغاريد أطياركم ، ونتنسّم نفحاتِ أزهاركم ؛ وإذ ذاك نقفُ للمفاضلةِ بين شعراء هذه الكليّةِ العامرةِ ، أبقاها اللهُ ، في هذهِ البلادِ ، قُطبَ المعارف والعلوم ، ومُستزادَ رُوّامِ الآداب والفضائل !

وانت هل تصوم ؟...

سارَ القطارُ أوّلَ النهارِ ،
يبغي دمشقَ بهجةَ الأمصارِ ،
والناسُ فيهِ مثلُ كبسِ الجبنِ ،
هذا يُسلّيهم وذا يغنّي ؛
حتى إذا ما ظهرتْ رياقُ ،
نادى مناديهم : « أيا رفاقُ ،
قد فاتَ وقتُ الظهر ؛ هيّا في عجلْ ،
فالجوعُ فينا ، يا كرامُ ، قد فعلْ ! »
فنزلتْ زُمرتُهم في النزلِ ،
وجلسوا جميعُهم للأكلِ .
فجيءَ بالمقليِّ ، والمفرومِ
من فاخرِ الطيورِ واللحومِ ،
وكبّةٍ مشويّةٍ في الفرنِ
عائمةٍ سابحةٍ في السمنِ .
فقالَ بعضُهم : « أيا أهلَ الفِطنْ ،
لكم ، ولي حظٌّ سعيدٌ وحسنْ :

فيوسفُ صاحبُنا في صومِ ،
وهو تقيٌّ من خيارِ القومِ ؟
حاشاهُ أن يُخالِفَ الوصيَّهْ ،
ويأكلَ الاطعمةَ اللحميَّهْ !
لاسيَّما ذا اليوم يوم الاربعا ،
إنْ أكل اللحمَ ، بذنبٍ وقعا !
أمَّا أنا وأنتمُ ، فنأكلُ ،
وعن وصايا الدينِ لسنا نسألُ ؟
فلنقتسمْ حِصَّتهُ سويَّهْ ،
ولنُعطِهِ بطاطةً مشويَّهْ ! »
أجابهم يوسفُ : « مَهلًا ! إنني ،
عن حصَّتي في اللحمِ ، لستُ أنثني !
عِشرتُنا عشرةُ أهلِ حلبِ :
فسأُوْدي الثمنَ اللاحقَ بي .
وهل نسِيتمَ أنَّكم ، يا روحي ،
ذهبتمُ في الصُبحِ بالصَّبُوحِ ؟
أمَّا أنا ، فصائمٌ مِن أمسِ ،
فالجوعُ كادَ يقتضيني نفسي ! »

أخذَ قِسْمهُ ، ونادى الكلبَا ،
فجاءهُ هذا يفزُّ وثبَا ؛
فقال : «خُذْ ؛ فحصَّتي إليكا ،
فأنتَ لا شريعةٌ عليكا !
لأنَّهُ ليسَ لكَ نفسٌ لكي
تُنقذَها : فكُلْ ، فما عليكَ شيْ ،
إذْ لستَ تحيا بعد ما تموتُ ،
فحسبُكَ العُواءُ ثمَّ القوتُ ! »
فأثَّرَ الكلامُ في الاصحابِ ،
وأدركوا شاكِلةَ الصوابِ ؛
فرفعوا الأيديْ عن الصحونِ ،
واجتزأوا بالخبزِ والزيتونِ !

*

وحينَ صاروا داخلَ القطارِ ،
جرى بهمْ جريَ النسيمِ السأري ،
فذكروا أنَّ الحياةَ كالسَّفرْ ،
آخرُها الفردوسُ أو حرُّ سقَرْ !

*

فهذهِ حادثةٌ مُفيدهْ ،
نظمتُها لأنّها أكيدهْ .
قلْ : وقعتْ ، إنْ شئتَ ، في رياقِ ،
أو في بلادِ الهندِ والعراقِ ؛
فجوهرُ الكلامِ أن تنتفعوا
بها ، إذا قرأتموها ، وتَعُوا !

جوابُ طفل

قضى الطفل نهارهُ في مخالفة أوامر أمّهِ . فلمّا رجع ابوه عند المساء ، اخبرتهُ الأمّ بعنادِ ولدهِ . فأقبل الابُ عليه وقال : « ما هذا الذي يبلغني عنك ؟ أما وعدتني أمس بأنك تكون مطيعاً خاضعاً ؟ »

أجاب الطفل : « نعم . يا أبي ، وعدتك . »

قال الاب : « وأنا ايضاً وعدتك بأني ألجأ الى القضيب ، إذا عدتَ الى المعصية . »

اجاب الولد : « نعم يا ابي ... ولكن ، بما أني ما قمتُ أنا بوعدي ، فما عدتَ انت ملتزماً أن تقوم بوعدك . »

لتحيَ الوطنية

دخلتُ أحد مخازنِ بيروت لابتياع حاجة، وبينا أنا أؤدّي الثمن، دخلتْ سيّدةٌ جليلةٌ تُدعى ن ... وعليها ثوبٌ لهُ رَوْعةٌ تُحقِّرُ ضياءَ الشمس .

بسَطَ لها التاجرُ من بضائعهِ أشكالاً وألواناً .

فوقفت السيّدة مُدْهَشة حيرى، لا تدري ما تختار ...

ونحن كذلك، اذ دخلت سيدة أخرى تُدعى م ...، ولمّا شاهدتِ السيّدةَ ن ... تجيل النظر في تلك الاقمشة الافرنجية الغالية الثمن عادتْ الى الوراء قليلاً، ووقفتْ تنتظر النهاية .

وبعد تردُّد وتأمل قالت السيدة ن ... للتاجر: « ما ثمن الذراع من هذا ؟ »

قال : « ثمنهُ يا سيدتي خمس ليرات سورية ليس غير . »

فقالت: « أما من حسم ؟ »

قال: « السعر محدودٌ يا مولاتي . »

قالت : « إقطع منه ستَّ عشرةَ ذراعاً لي ولبناتي . »

فذرع التاجر ١٦ ذراعاً وتناول المِقصَ ليقطع، فوثبت السيّدة م ... وأشارتْ الى التاجر أن توقفْ، والتفتتْ الى

السيدة ن ... وقالت : « أما رأيتكِ ، منذ أيام ، في تلك الحفلة الوطنية الشائقة ، تخطبين مع الخطباء والخطيبات في تعزيز الاقمشة الوطنية والاقبال على الشراء منها ؟ و كأني بصوتك لا يزال يرنُّ في تلك الرَدْهة ، الى الآن ، وينهال باللوم على المسرفين والمسرفات ، والراغبين والراغباتِ عن صِناعة بلادنا ؛ فماذا أراكِ الآن تشترين ؟ ... »

فزاد احمرارُ وجهِ السيدة ن ... وأطرقتْ الى الارض خجلًا ، ثم رفعتْ رأسها وقالت : « أصبتِ يا سيدتي ! ولكن سبق السيفُ العَذَل ، وتمَّتْ هذه الصفقة . لكني أعِدكِ أني لا اعود لمثلها . فاجابتها السيدة م ... ولكن ما يكون من شأنك ، حين يرى الناسُ هذه الاقمشةَ على بناتك وعليك ، وقد سمعوا خطابك منذ حين ؟ »

فأثر هذا الكلام في سيدتنا ن ... فنظرت الى التاجر وقالت : « هل تأذن في فسخ البيع ؛ واليك مني « ليرةً » سورية مكافأة ؟ »

فهزَّتِ الأريحيَّةُ الوطنيةُ تاجرَنا الكريم ، فهتف : « عارٌ عليَّ أن أكون اقلَّ وطنيـة من السيدات ! فاذهبي ، يا مولاتي ، بسلام ، واني لأُقسمُ أنْ لا أُدخلَ مخزني ، من الآن فصاعدًا ، إلَّا كلَّ منسوجٍ وطني ! »

فلمّا رأيتُ ما رأيت ، وسمعتُ ما سمعت ، رفعتُ يديَّ الى العلاء وصحت :

« لتحيَ الوطنية ! »

تاريخ زواج

يعقوبُ إسرائيلَ قدْ وافاهُ وَحيٌ يَسطَع .
نادى بنيهِ ، فأتَوْا ، وَحَولَهُ تجمَّعوا ؛
فقالَ : « إني مُنبيءٌ ما سَوفَ يأتي ، فاسمَعوا . »
أخبرَهُمْ ، فَعَجِبوا ، وكلُّهم تخشَّعوا ،
حتَّى ، إذا انتهى إلى مَن بِهَوَاهُ مُولَعُ ،
صاحَ بصوتٍ مُطرِبٍ ، والعينُ منهُ تَدمعُ ،
أرَخْ : « أوَحيًا باهرًا ، يوسفُ غُصنٌ مُفرِعُ (١) ! »

سنة ١٩٢١

---

١) سفر التكوين ٤٩ : ٢٢

اللُّغة

لُغةُ الشعبِ حياتُه ؛ ولغتُهُ المكتوبةُ خُلودُه !

إقرئي يا فتاة

ما رأيكم ، يا قومُ ، في فتاةِ
أفكارها ، بهذهِ الحياةِ ،
في اللهوِ ، والملبوسِ ، والازياء ،
والرَّقصِ ، والنُزهةِ ، والغناء ؟
عادتُها مِنْ أقبحِ العاداتِ :
إنْ اصبحتْ تَغدو الى المِرآةِ ،
وتَبذلُ المجهودَ في التمشيطِ ،
والصَّبْغِ ، والتعطيرِ ، والتحنيطِ ؛
حتى اذا شبَّ النهارُ وعَلا ،
هيهاتِ أن تَقصدَ فيهِ عَملا ؛
بل إنَّها تلبسُ ثوباً قُصِرا ،
وبعد أن تُطيلَ فيهِ النظرا ،
تَرى فتاةَ الطيشِ تعدو مسرِعهْ ،
تقفزُ في الدروبِ قفزَ الضفدعهْ !
وتارةً تسير سير الخيزلى ،
راميةً بطرفها إلى الورا ،

حتّى ترى : هل أعجبتْ مَنْ أبصروا
دلالَها ، أو أنّهم قد صفّروا ؟
وبعد أنْ تزورَ ، كلَّ الجيرهْ ،
زيارةً ، يا ليتها قصيره ،
تَرجعُ تَقضي وقتها في كسلِ
يَعيبُها ، أو في اغاني الغزلِ ،
و بين كُتْبٍ كلُّها قبيحهْ ،
فيها أساليب الخَنى مشروحهْ !
إنْ تعبتْ ، هبَّت الى « البيانو » ،
فيُسرعُ الاصحابُ والخلّانُ ؛
حتى اذا اجتمعتِ الجماعه ،
هبُّوا الى رقص به خَلاعهْ !

*

هل يَسَعُ الشبّانَ والاصحابا
أن يحفظوا الاخلاقَ والآدابا ،
اذا همُ وهنَّ ، في وقتِ الطرب ،
توغّلوا ، يا قومُ ، في شرّ سببْ ؟
هل تستطيعُ البنتُ أن ترعى الادب ،
وذَيلُ ثوبِها إلى حدِّ الرُّكَبْ ،

وصدرُها ، ونحرُها ، وظهرُها ،
في حالةٍ تُنبئُنا ما أمرُها ؟
خافي ، أيا فتاةُ ، سُخطَ الباري ،
واخشَيْ مغبّاتِ الخنى والعارِ ،
رُوحي اخلعي ثوباً بهِ العهاره ،
وفتّشي عن زنبقِ الطهاره ،
في ملبسٍ بهِ ضِيا العَفافِ ؛
وحسبيَ الآنَ ؛ فهذا كافِ !

خواطر

الاقرباء الفقراء أقرباء بُعَداء .

*

الفضلُ كلُّ الفضل أن يعمل الانسانُ مُنفرداً ، ما يستطيع عملَهُ أمام الناس .

*

القلوب التي لم تحزن ، لا تعرف للفرحِ معنًى .

*

مُعظم البلايا لا تُعجّل في الوصولِ إلينا ، إلّا لأنّنا مشَينا نحوها نصفَ الطريق .

الى أَين نحنُ صائرون

مررتُ في طريقي بشابٍّ اعرفهُ ، فدنا مني وحيّاني ، فحييتهُ . ونظرتُ اليهِ ، فاذا هو مُكحَّلُ العينين ، مزجَّجُ الحاجبين ، مصبوغُ الشفتين ، مطلي الوجه !

فدهشتُ وقلت : « ويحك ما هذا ! »

قال : « ماذا ؟... »

قلت : « ما هذا الذي في عينيك ، وعلى وجهك وشفتيك ؟ ! »

قال : « هو الزيُّ الجديد ! »

قلت : « وما هذا الزيُّ ؟ قاتلك الله ! »

قال : « كأنك غائبٌ عن عاصمة لبنان ؟ أما علمتَ ان الشبان أَبَوا إلا مسابَقةَ البناتِ الى التحسُّن والتجمُّلِ والتزين ؟؟؟ »

قلت : « والاداب التي ترفع الشبَّانَ عمَّا لا يَكادُ يليق بالنساء ؟ ! »

قال : « كانت أيّام ، وكانت آداب ! ولسوفَ ترى ما يَزيدُ في عَجبك ودهَشك ! »

قلت : « وهل ارى ، فيما بعد ، أعجبَ من هذا ! »

قال : « سترى ما يجعلك لا تعرف الشابّ من الفتاة : فقد ، حلقْنا الشوارب ، وسنُرخي شعرَ الرأس ؛ وقد بدأنا نشدُّ خصورَنا بالمِشدّ ، وسننتهي بلبس الحرير واتخاذ ملابس النساء كافةً : فنكشفُ عن الزنود والنهود ، ونقصّرُ الأذيال ، ونُطيل الحلَق في الآذان و... و... » ثم هزّ يدي ومضى ...

فواصلتُ السير وانا اقول : « رُحماك ، يا ربّ ، رحماك ! وعطفاً على شبّانٍ أغواهمُ الضلالُ ، فصاروا الى السوإ حال ! »

فماذا يُرجى لوطن هؤلاء هم شبّانُهُ !

والى اي هوّة نحن صائرون !!!

عِلمُ الحياة

الحياةُ عند العارفين إرشادٌ مُتبادل .

*

عند شيخوخة أبويك تذكّرْ طفولتك .

*

الحياة أشبهُ بماء البحر ، لا تحلو إلّا إذا ارتفعتْ الى السّماء .

نشيد المدارس الدينية

ربّنا، قد فاجأتنا هجماتُ المُلحدينْ،
تبتغي إقصاكَ عنّا، خاب سَعْيُ الجاحدينْ!...

كيف نرضى بالبُعادْ عن حِمى الدينِ المُبينْ؟
فهلمّوا للجِهادْ، يا جميعَ المؤمنينْ!

دينُنا مجدُ الجدودْ! فاحفظوهُ للبنينْ،
واقتدوهُ بالكُبودْ: فهو ذُخرُ الذاخرينْ!

دينُنا حِصنٌ حصينْ خفقت فيه البُنودْ!
ولهُ، في كلّ حينْ، حافظٌ ربُّ الجنودْ!

أرزُنا رمزُ الثباتْ؛ فاثبتوا، يا دَيِّنينْ،
واحفظوا، حتى المماتْ، كنزَ إيمانٍ ثمينْ!

عزِّزوا كلَّ المدارسْ بتعاليم المسيحْ؛
ولتَسُدْ بين الكنائسْ وَحْدَةُ الدينِ الصحيحْ!

ربّنا، أحفظْ للبلادْ دينَها السامي المنيرْ؛
وليدُمْ نُورُ الرَّشادْ، فوقَ لبنانَ الكبيرْ!

الآداب اللبنانية

زيّن اللهُ لبنانَ بطيبِ الموقع وجودة الهواء وعذوبة الماء، وأفاض على سُكّانهِ اللبنانيينَ رُوحاً صالحاً وتديُّناً مكيناً وآداباً سليمة، فحافظ اللبنانيون على هذه العطايا قروناً طويلة، حتى طار ذكرُهم وأصبحوا مثالاً للاستقامة والصلاح والعفاف والتصوُّن. وقد امتزج صفاءُ آدابهم بنقاء هوائهم، فكان منهم رجالُ البأس والذكاء!

وما انتشرتْ بينهم المدارس، حتى حلّقوا في سماء العلمِ، فكانوا من أقوى أركان النهضة الاخيرة للُّغة العربية؛ وهم لا يزالون، أين حلُّوا، رجال علمٍ وجِدٍّ وثبات.

لكنَّ خوفَنا على تلك الصفات التي تحلّى بها سُكّان هذا الجبل العزيز، يدفعنا إلى كتابة هذه العُجالة، فنقول:

إن تهافتَ طُلّاب الاصطياف على قضاء فصل الصيف في ربوع لبنان، يُلقي في قلوبنا بعض الرَوْع، إذ قد يكونُ بين اولئك المصطافين، من مصريين وسوريين واوربيين، أناسٌ يُخشى أن يُسيئوا الى اللبنانيين، وهم لا يعلمون،

فيتسرَّب روح الكفر والخلاعة في صدور شُبَّان لبنان وشاباته، ويُدنِّس نسيمُ لبنانَ بجراثيمِ الاوبئة الادبية؛ وهذا ما يشقّ على كل مُحبٍّ لهذا الجبل المقدس.

لذلك رأينا ان نوجه نظر العيال اللبنانية الى هذه الاخطار، كي يتحامَوا مَهابَها. ونحن نسألهم ان يَزيدوا في السهر على تلك الودائع الثمينة التي ورثوها عن أجدادهم، ويحتفظوا بها كي يُورثوها بنيهم وأحفادَهم، خالصةً من كلِّ عيبٍ، ناجيةً من كل خلل.

ولا يسَعُنا السكوتُ عن حثِّ اللبنانيين على الاقتداء بأبناء الأسر الكريمةِ التي تنزِلُ عليهم ضيوفاً كريمة؛ فإن بين المصطافين عيالًا شريفةً عُرِفتْ بصحّةِ آدابها ومَكين تدينها، وشدَّةِ نُفورها من طلائع التمدن الكاذب، وإعراضها عن سَفالة الازياء الخلاعية؛ فيصحّ ان نُقيمَ تلك الأسَرَ الصالحةَ مثالًا يُقتدى بهِ في وطننا العزيز.

وإن الواجب المقدَّسَ يحملنا على أن نرجو من بعض المصطافين الذين سرتْ اليهم عاداتٌ واعتقاداتٌ غريبةٌ، أن يَرْبأوا بنفوسهم عن أن ينقلوا إلى هذا الجبل العزيز جراثيمَ العدوى. فحرامٌ وألف حرام أن تُمَسَّ أخلاقُ هذا الجبل بما يضعُ من مقامها ويَحطُّ من كرامتها.

وربَّما جاز لهؤلاء المصطافين ، في بلادهم ، أمورٌ لا يجوز لهم أن يأتوها في ربوع لبنان ، فإنّ زنابقَ الأخلاقِ الطاهرة تَذبلُ وتَذوي لأقلِّ سمومٍ تَلفحُها . وهمْ إنَّما قصدوا إلى لبنان للانتفاع بهوائهِ ومائهِ ؛ فيَجملُ بهم أنْ لا يقابلوا الخير الّا بالخير ، وان لا يأتوا إلّا الاعمالَ الحميدة في ربوع تُفيض عليهم العافيةَ والهناء . وقد قيل : « لا تشربْ من بئر ، وترمِ فيها حجرًا . » والسلام على من انتفع ونفع ، واتّبع الهدى وهدى .

خواطر

الصبرُ شجرةٌ مُرَّةُ الجذور ، حلوة الثمار .

*

الإصغاء الى النمّام ، مشاركةٌ في نميمته .

*

العادلُ العادل ، مَن بدأ بالحكمِ على نفسه .

*

أفضلُ وسيلةٍ الى التخلُّص من العدوّ ، أن تسعى الى مصادقته .

*

بقدر ما يُكثر المرء من زرع الآمال ، يَقلُّ من السعادةِ حصادُه .

أنين الجياع

أبياتٌ بلحنِ « الموالِيا » نظمناها في المجاعة
التي أصابتنا في الحرب الاخيرة .

ذابتْ حُشاشتُنا ، جفَّتْ مآقينا ،
والجوعُ قد فعلتْ أنيابُهُ فينا ،

يا ساميينَ بُكا الأطفالِ ، مالكمُ
جُزتُمْ ؟ تُرى هلْ بكمْ يا قومَنا صَمَمُ ؟
أينَ الإخا والوفا والعهدُ والذِّممُ !
ما أنتمُ بشرًا إنْ لمْ تُمِدُّونا !

يا لابساتِ الحلى ، أنتنَّ ألطفُ مَنْ ،
على الصغار وأهل الفقر ، رقَّ وحنْ ؛
إذا رأيتُنَّ مَنَ للجوع صاحَ وأنَّ ،
فامسحنَ دمعتهُ لُطفًا ، وعزِّينا .

يا سائقين جِيادَ الخيلِ في عجلِ ،
باللهِ ! لا تُسرعوا ، سيروا على مَهَلِ !
أمامكمْ رُضَّعٌ باتتْ على السُبُلِ
مطروحةً ، قد نأى عنها المحبُّونا !

يا قاطعينَ ليالي الأُنس بالسَّمَرِ ،
والنورُ في داركمْ يُغني عن القمرِ ،
هلَّا ذكرتمْ فقيراً باتَ في خطرِ ،
وحولهُ في الدُّجى الاطفالُ يبكونا !

يا شاربينَ لذيذ الخمرِ بالذهبِ ،
وعاكفين على الانغامِ والطربِ ،
ألا ارحموا آكلي الاقذارِ والعشبِ ،
إنْ ترحموا ، تُرحموا ، أو لا ، تُدانونا !

يا ناظرينَ الى الموتى ، على الطرُقِ ،
مطروحةً ، كُفِنتْ بالوحلِ والخِرَقِ ،
هلَّا سكبتمْ عليها أدمُعَ الحدَقِ ؟
هيهاتِ مَنْ منكمُ يبكي المساكينا !

يا نائمينَ على فُرُشِ الهنا ، اعتبروا !
لا بدَّ يَعقُبُ صفوَ العيشةِ الكدرُ ؛
إنْ لم تهبُّوا لفعلِ الخيرِ ، فانتظروا
سُخطَ الالهِ ، فما اللهُ بناسينا !

يا ربُّ ، يا مصدرَ الإحسانِ والنِعمِ ،
كافِئْ جميعَ الألى جادُوا بمالِهمِ ؛
واحفظْ لهم في السَّما إكليل ، أجرِهمِ ،
ونجِّهِمْ من بلايا الدهرِ ؛ آمينا !

الأغنياء ويوم الحساب

ما يكونُ مِنْ شأن الاغنياء ، يوم الحساب ، اذا عكفوا في هذه الحياة على استثمار الاموال ، وحشوا صناديقهم منها ، ولم يفكّروا أن ينفقوا منها في وجوه الخير ؟ أو ، اذا هم فتحوا تلك الصناديق ، لا يكون ذلك إلّا ليبذروا المال في سبُل المحرّمات واشباع الشهوات ؟ مع ان المال هو من الخيرات الطبيعية التي يجود بها الله على بعض الناس ، فيُعطي هذا وزنةً ، وذاك وزنتين ، وذلك خمس وزنات للمتاجرة الصالحة بها ، وهو سيناقشهم الحساب عليها يوماً !

إن الفقراء في البلاد كثيرون ! وان المشاريع الخيريةَ عديدةٌ في كل مكان ! فكيف يتصرّف اغنياؤنا في اموالهم ؟ وما هي وِقفتهم ازاء الفقراء ، وكلِّ مشروع خيريّ ؟

ذلك ما نترك الجواب عليه لكل غنيّ ذي ضمير ! وخاصة في هذه الايام التي هي من اشد الايام عُسراً على الفقراء !

يا ناس !

أخبرنا احدهم ، قال :

ضمَّني مجلسٌ جمعَ رهطاً من « شمَّامي الهواء وقطافي الورد » ، وبينهم رجلٌ مُقطَّب عابس قد استلم الكلامَ وأخذ يُفيض من ذخائره ونصائحه وانتقاداتهِ ، ما يحقُّ ان يكتب بماء التبر على جَبْهة الدهر .

ومما قال : أنَّ دوائر القضاء من أردإ ما يكون ، والمجلسَ النيابي من انحس ما وجد ، ورجالَ الادارة ليس منهم واحدٌ يستحقُّ الجلوسَ في منصبه ، وكلّ ما في المفوضية العليا ، ودائرة الحاكم العام ، والمجلس البلدي ، سائر سيراً كلُّهُ اعوجاج ! فمتى تُصلَحُ الاحوال يا ناس ؟ وتُسنَد المناصب الى ذوي الاهليَّة والجدارة ؟ فتستقيم الامور ويَطَّرِد النجاح ويَفيض الخير على البلاد ؟ و... ؟ و... ؟ »

قال المخبر : فهمس اليَّ احد الظرفاء ، وقال : « لا حياة للبلاد ، ولا انتظام للاحوال ، ولا رقي ولا ازدهار ... إلَّا اذا أسندوا الى هذا الخطيب أحدَ المناصب ؛ فعند ذلك ينقلب قَدْحهُ الى مدح ، وتشاؤمه الى تفاؤل ، ويصير حُكَّامُنا اعدلَ

الحكّام، ورجالُ القضاء أعفُّ رجال، والبلديةُ أرقى بلديات الدنيا و... و... »

فضحكت وقلت : « أنار الله الاذهان، وصرفَ عقولَ الكثيرين من أهل بلادنا عن داء المناصب، فانه لداءٌ قتّال يعمي العيون والبصائر! »

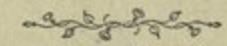

رجلٌ وامرأته

هو : « حبّذا لو تقدّم رجلٌ غيرُ أبله، وخطبك قبل زواجنا ! »

هي : « أصبت ! وهذا الذي قد حدث لي ! »

هو : « اذن كان عليك أن ترضيه زوجًا لك ! »

هي : « قد رضيتُ به، وهو أنت ! »

براعة الذمّ

قال بعضهم لمغنٍّ قبيح الصوت : « لولا الخوفُ من أن يُقال عني غيرُ أحمق، لقلتُ إنّ صوتك أطيبُ صوتٍ وُجد ! »

البلبل والشعراء

البلبل

يا لَلشُّعراء ولِلشِعرِ ،
منظوماً مِنْ دُرَرِ الشُّكْرِ ،
لِبتُولٍ ، ذِكراها نعشَتْ
قسي ، فأضاء دُجى فِكْري !

الشعراء

يا بُلبُلُ ، أَنْتَ تُنادينا
لنصوغَ عقودَ أمانينا ،
فقصائِدُنا وأغانينا
لا تنجحُ في مَدْحِ البكْرِ !

البلبل

غُوصوا في البحر على الدُّرَرِ ،
طيروا في الجوِّ الى القمرِ ،
وخُذوا مِنْ أَنْسامِ السَّحَرِ
شِعْرًا يَزْري بضِيا التبْرِ !

الشعراء

البحرُ لآلئهُ خَزَفُ ،
ونسيمُ الصُّبْحِ بهِ أَسَفُ ،
واللَّيلُ دراريهِ صَدَفُ ،
لا تنجحُ في مَدْحِ البكرِ !

البلبل

جُولُوا بليالي أيَّار ،
وخُذوا مِنْ نَفْحِ الأزهارِ ،
واصغوا لخريرِ الأنهارِ ؛
فهُنا الاشعارُ ، هنا تجري !

الشعراء

يا بلبلُ ، حَسْبُ تُغَنِّينا ؛
فمدائحُنا وقوافينا
عَجَزتْ ، لا ! لا ! لا ! ما فينا
مَنْ يَنجحُ في مَدْحِ البكرِ !

الشعراء

يا بلبلُ ، والدةُ الربِّ
يُرضيها إنشادُ القلبِ ،

تذكيهِ نيرانُ الحُبِّ ،
تُحييهِ أندا؛ الطُّهرِ !

البلبل

للهِ أبوكم ، يا شُعَرا ،
الحقُّ بما قُلتمْ ظهرا ؛
فأذيعوا في الارضِ الخبَرا ،
وهلمَّ إلى شُكرِ البكرِ !

البلبل والشعراء

يا بِكْرُ ، عيونُ مواليكِ [1]
لا تعشقُ غيرَ مَعاليكِ ؛
جودي من بحرِ أياديكِ ؛
ولكِ الشُكران مدى الدهرِ !

---

١) المولى : السيّد والعبد ؛ وهنا بالمعنى الثاني .

تذكّر أبدًا أنّ أجلك قريب ، وأن الماضي لن يعود .

*

فقيرٌ بلا صبر ، كمصباحٍ بلا زيت .

حياةُ اللغات ومو تُها

اللغة العاميَّة

بحثٌ فلسفي، لغوي، اجتماعي

هذا بحثٌ جديد، لا نذكر أنَّ أحدًا خاضهُ قبل الآن، مع ما هو عليهِ من خطورة الشأن في نُشوء اللُّغاتِ وفتوّتها وشبابها وشيخوختها واندثارها.

وقد طالما حدّثتنا النفسُ بخوض هذا الموضوع الجليل، ونشرِ ما يبدو لنا فيهِ من الآراء السديدة، فأحجمنا خشيةَ الصّدَماتِ القويّةِ التي تصدمُ، في بدء الأمر، كلَّ مُبتدع أو مُخترع؛ وخاصّة لأن البحث فيهِ يُؤدّي بنا حتماً إلى الكلام عن لغتنا العربيَّة العاميّة، وذكرِ البراهين الفلسفية واللغوية والاجتماعية التي تُؤيّد تمامَ التأييد ما نتوخّاهُ من هذا المقال: وهو أنَّ اللغة العربية العاميّة تترقى شيئاً فشيئاً، وتتحوّل، مع الايام، حتى تحلَّ محلَّ اللغة العربيَّة الفصحى!

نحن عارفون أنَّ هذا البحث الجديد سيُضحك بعض الناس، ويدفع البعضَ الآخر، من ذوي الحدّة والتشبُّث بالقديم، إلى صَبِّ الويلاتِ على رأسنا؛ لكنَّنا، إذا فعلوا، أجبناهم بتلك العبارة التاريخية الشهيرة، التي جاوب

بها « توميستُكل » « أُوريبياد» قائدَ قوّادِ اليونان حين رفع هذا عليهِ عصاهُ وهمّ أن يضربه لمخالفة « توميستكل » له في الرأي، فاجابه توميستكل: « إضرب، بشرط أن تُصغي إليَّ ! »

ونحن واثقون تمام الثقة من أنَّ العلماء وأصحابَ النظرِ الذين يعرفون حدودَ آدابِ الجدل، لا يأتون على هذهِ المقالة حتى يصيروا على رأينا، ويعتقدوا صحّة ما جاء فيها؛ بل قد تدفعهم الحميّةُ الى مناصرتنا في تعزيز اللغة العربية العامية، فيكون لهم ولنا، في التاريخ الآتي، صفحةٌ مجيدةٌ يقرأها الآتون بالشكر والإعجاب.

وعلى هذا الرجاء نشرع في البحث، قاسمين الموضوع الى قسمين:

في القسم الاول نبحث: ١ في أنَّ كلَّ لغةٍ سائرةٌ حتماً الى الفناء؛ ٢ في أنْ لا بدّ لكلّ لغةٍ عاميّة من أن تتحوّل الى لُغةٍ فصيحة، بشرط أن يبلغ الشعبُ الناطقُ بها، درجة من التمدُّن راقية؛ ٣ في انَّ اللغة الفصحى تترقّى أيضاً بترقي التمدُّن، لكنَّها لا تستطيع مجاراة اللغة العامية في ذلك الترقي.

وفي القسم الثاني نُفنّد جميعَ الحجج التي يعترض بها الخُصوم على استطاعةِ ترقي اللغة العاميّة إلى المستوى الأدبي.

﴿ القسم الأوّل ﴾

اولًا : في أنَّ كلَّ لُغةٍ سائرةٌ الى الفناء

نعم إنَّ كلَّ لغة على وجهِ الارض ماشيةٌ ضرورةً الى الفناء ، مهما بلغت من المجد والكمال . وذلك لانَّ كلَّ حيّ يُولدُ فينمو ، فيبلغ أشدّهُ فشبابه ، ثمَّ يضعف ، فيهرم ، فيموت . تلك هي سُنَّةُ الله في كلّ حيّ ، ولا يشذُّ عنها إلَّا ما كان غيرَ حيّ ، كالجمادِ مثلًا .

والحال أنَّ كلَّ لُغَةٍ يتكلَّم بها الشعبُ ، ولو كان من الهمج ، تكونُ حيَّةً بحياةِ ذلك الشعب العقليّة والادبية ، فتنمو بنُموّها ، وتتلاشى بتلاشيها . فإذا ترقّى هذا الشعبُ مراقيَ الحضارة ، ترقَّتْ لغتُهُ ؛ والعكس بالعكس .

وهذا المبدأ لا ينطبق على درجة حياة اللغة فقط ، بل على نوعها أيضًا ؛ أعني أنَّ حياة اللغة أشبهُ بمرآةٍ صادقةٍ فيها نرى حياة الشعب وجميعَ مميّزاتِها . فاذا كان ذلك الشعبُ راقياً في الصِناعة او التجارة او الفنون الجميلة او العلوم ، كثُرتْ في لغتهِ الالفاظُ والتعابيرُ المختصَّة بتلك الصِناعة أو التِجارة الخ .

أمَّا قولنا إنَّ كلَّ لغة سائرةٌ الى الفناء ، فمعناهُ أنَّ كلَّ لغةٍ تتحوَّلُ ، شيئاً فشيئاً ، من صورتها الاصليّة الى صورةٍ

بعيدةٍ عنها ، بحيث يَسَعُ اللغويين أن يعدُّوا هاتين الصورتين لغتين متخالفتين ، لا لُغةً واحدة ، رغم ثبوتِ علاقةِ الاشتقاق بينهما . وهذهِ اللغةُ اللاتينيَّة ، قد ماتت في جميع البلاد التي كانت ، في القرون الغابرة ، تنطق بها ، وتحوَّلتْ إلى عِدّة لغاتٍ جديدة دعَوْها باللغاتِ اللاتينيّة الاصل ، من مثل الافرنسية والايطالية والاسبانية والبرتغالية والرومانية (لغة رومانية) .

أمَّا الحتمُ بأنْ لا بُدَّ لكلّ لُغة من أن تموت ، ولو بلغت أسمى درجات الكمال ، فهذا لأنها حيَّة ، والموت متحتمٌ على كلّ حيّ ، كما سبق الكلام .

وها نحن نُثبت ذلك بأجلى البراهين . قلنا إنَّ حياة اللغة تتكيَّفُ بتكيُّف حياة الشعب الناطق بها ، فإنَّ هذهِ الحياة الشعبيَّة في تغيُّر دائم لا ثبات لهُ ، وإنَّ كلَّ شعبٍ يتقدَّمُ أو يتقهقر في الحضارة ، ويُكثر أو يُقلُّ من علاقاتهِ بسائر الشعوب ، ويتشدَّدُ بالسِّلم ، أو تنحلُّ قواهُ بالحروب ، من مثل الحرب الكونية الأخيرة . وهنالك ايضاً ألوف من العوامل التي تُحدثُ تغييراً مُستمرًّا في ضروب أحوالهِ ، فضلاً عن أن افرادَ الشعب تتغيَّرُ ايضاً على تتابع الاجيال ، وعلى هذا التغيُّر يترتَّبُ تغيُّرُ الاعضاء الصوتية ، فينتج عنه تغيُّر تدريجي

في التلفُّظ بلسانِ الشعب. نعم إنَّ كلَّ جزء من هذه التغيُّرات الطارئة على اللغة الاصليّة، هو وحده وبذاتهِ، لا يكاد يُحسب؛ لكنَّ تواصلَ هذه التغيُّرات الكثيرة، ولو جزئية، يُلبس اللغةَ الاصلية، بعد بضعة أعصُر، صورةً جديدةً ينتج عنها، بحسب تعبير اللغويين، لغةٌ جديدةٌ. ومن المعلوم أنَّ الثانية سُدسُ عُشر الدقيقة، وهي، من الزمان، لحظةٌ لا تكادُ تُحسبُ، على أنَّ الشاعر المصريَّ الكبير قد نظم فيها هذا البيت البديع فقال:

« دقّاتُ قلبِ المرء قائلةٌ لهُ إنَّ الحياةَ دقائقٌ وثواني! »

وإن قطرة الماء ليستْ هي في ذاتها شيئاً يُذكر، لكنَّ البحر، على اتّساعهِ يتألفُ من اجتماع القطرات!

ومن أوضح البراهين التي تؤيّدُ حكمنا هذا في ضرورة سير اللغات الى هاويةِ الفناء، ما نراهُ في مصير اللغة اليونانية، مع انها، على رأي الثقات، من أقدمِ اللغات وأجلها وأرقاها.

ثانياً: في أنه يتحتَّم على كلّ لغةٍ عاميّة أن تتحوَّل الى لغةٍ فصيحة، بشرط ان يبلغ الشعب الناطقُ بها درجةً من التمدن راقية

المرادُ باللغة العاميّة، اللغةُ التي يُنطَقُ بها ليس غير، والتي لا آداب لها، خلافاً للغة الفصحى.

فاذا نظرنا في شعبٍ قليل التمدُّن وذي لُغةٍ عاميّة، حكمنا بأنْ لا بدَّ لهُ من أن يكون على احدى حالتين: فإمّا أن يكون لهُ لغةٌ فصيحة (مخالفةٌ للعاميّة)، وإمّا أن لا يكون لهُ.

فاذا كان لهُ لغةٌ عاميَّة دون لغة فصيحة، وبلغ هذا الشعبُ درجة من التمدن سامية، فلا يعود لهُ حينئذٍ أن يكتفي بالتكلم، بل يصير في أشدّ الحاجةِ الى العلوم والآداب بجميع أنواعها، فيُضطرُّ الى الاستعانة بلغتهِ العامية قضاءً لحاجاته. نعم إنَّ هذه اللغة العامّية تكون في بدء الامر ضعيفةً، لا تصلح للقيام بالمطلوب قياماً كافياً، لكنها لا تلبثُ، مع تواصل الايام وقوّةِ الممارسة، أن تستحكم وتتكامل حتى تغدو وافيةً، صالحة للنهوض بحاجات الشعب العلميَّة والادبيَّة.

هيَّا الآن الى النظر في حالة الشعب الذي لهُ لغةٌ عامية ولغةٌ فصيحة، كما هي الان حالةُ البلاد الناطقة بلهَجات عربية عامّية، مشتقَّة من العربية الفُصحى، وحالةُ اليونان وزوج وتركيَّة ومُعظم إيطالية والصين الخ.

إن هذا الشعب في الطوْر الاوَّل من حياته يكون أُمّياً جاهلاً، فيقلُّ فيهِ عدد الذين يتوصَّلون، بواسطة المدارس، إلى تعلُّم اللغةِ الفصحى؛ بل قد يكون عدد المتعلّمين منه قدرَ واحدٍ من ألف. وعلى هذهِ الحالة كان أهلُ سورية ولبنان في

أوائل القرن الماضي . في هذا الطَوْرِ يُمكننا واقعُ الأمرِ من أن نقولَ إنَّ الشعب ذو لُغةٍ واحدة ، وهي اللغة العامية ، وذلك لنَدْرة المتأدبين فيهِ .

وفي الطَوْر الثاني ، طوْرِ ابتداء التمدُّن ، يأخذ الشعبُ في الترقي من حالة الجهلِ الى حالةِ الحضارة ، فتترقى معه اللغة العاميَّة ويزدادُ غناها زيادة مطّردةً بازدياد الالفاظ والتعابير ، ولاسيَّما في ما يختصُّ منها بفروع الحضارة .

مثالُ ذلك أنَّ اللهجة السوريّة في عصرنا ، أغنى منها في ما سبق من العصور . وهذا أمرٌ لا رَيْب فيهِ ، وخاصّةً لأنَّ ألوفاً من كلمات اللغة الفصحى تدخل على التدريج في مُعجَمِ «قاموس» اللغة العاميَّة ، بسبب انتشار العلوم والمعارف ، المُرافِقِ لانتشار المدارس الابتدائية والثانوية . وكلُّ ذلك نراهُ على أتمّ الوضوح في اللهجة السورية العاميَّة ، حيث يستعمل الشعبُ مئاتٍ من الالفاظ المأخوذة عن اللغة الفصحى ، من مثل : رياضة (روحيَّة) ، وتساعية ، وأخويَّة ، وغفران كامل ، ومُرشد (directeur de conscience) الخ ؛ وقد اجتزأنا بذكر بضعة الفاظ دينيَّة .

نعم إنَّ اللغة الفصحى تترقى ايضاً بترقي التمدُّن ، على أنها لا تستطيع مجاراة اللغة العاميَّة في هذا الترقي . ودليلُ ذلك

أنّ اللغة العامية يسهل عليها اقتباس الكلمات أيّاً كان مصدرها، ولو أجنبياً، من مثل كلمة موضة (la mode) في اللهجة السوريّة، وبنك، وفاتوره، وبروتستو، وسينما، وتياترو، وبوسطة، وتلغراف، وتلفون، وطاولة الخ.

أمّا اللغة الفصحى فلا وجْهَ لها الى الاغتناء إلّا في أن يتواطأ أرباب اللغة فيها على وضع الفاظ جديدة، أو نحتها من جذر اللغة نفسه، وإن في ذلك من الصعوبة ما فيه. وحسبنا دليلًا على هذهِ الصعوبةِ أنّه قد مضى على العربيّة الفصحى، منذ نهضتها الاخيرة الى الآن، قرن كامل، وهي لا تزال عاجزةً عن تأديةِ معانٍ ساذجةٍ يسهل التعبيرُ عنها باللغة العامية، مثلًا: كنبايه (fauteuil)، بيانو، ڤالس (Valse) الخ.

وفي الطوْر الثالث أو الطور النهائي، تزول اللغةُ الفصحى، وترتقي اللغة العاميّة الى درجةِ لغةٍ فصيحة، وذلك متى بلغ رقي الشعب درجةً عالية، فمَسَّتْهُ الحاجةُ الى كمالِ التعلّم والتأدّب، من أقرب طريق. فهذه الحاجة الماسّة، بل الضربة اللازبة تقعُ على مئات ألوف من الناس، بل قلْ على ملايين كثيرة!

فهل يُمكن، والحالة هذه، أن يُخيَّلَ إلينا إمكانُ إعراضِ اولئك الملايين عن طلب المعارف والآداب في لغتهم العامية

التي يعرفونها أتمّ معرفة ، والتي زادت في توالي العصور غنىً وجمالاً ؟

وهل يسعهم الإصرارُ على استعمال اللغة الفصحى ، وهي لغةٌ لا يستطيعون التضلُّعَ منها إلّا بعد شق النفس ، وفي اعوام يقضونها درساً وحفظاً (١ ، لغةٌ لا تؤثّرُ في آذانهم وقلوبهم ذلكَ التأثيرَ اللطيفَ الساحرَ ، الذي تُؤثّرهُ فيهم لُغةُ أمّهاتهم (٢ ، لغةٌ

---

١) إنَّ المتخرّجين في العربيّة الفصحى لا يستطيعون أن يكتبوا بها بتَبْنِكَ السهولة والسرعة اللّتين يكتب بها ، مثلاً ، أحدُ الافرنسيين بلغته . ومهما كان الكاتب العربيّ متضلّعاً منها ، فلا يبرح في خوفٍ من أنسياب بعض ألفاظ عاميّة في كتابته ، فيجعل معاجم اللغة أمامه للتحقّق والتثبّت . ومع ذلك ، لانكاد نرى كاتباً عصرياً لم يكْبُ قلمهُ في هذا المجال الصعب ، لأنَّ اللغة العاميّة قد تأصّلت فينا كلّ التأصُّل ، وصارت لنا لغةً طبيعيّة جُبِلْنا عليها . وقد قيل : « الطبعُ يغلب التطبُّع ! » وقيل أيضاً : « ليس الطبع كالتطبُّع ، ولا الكَحَل كالتكحُّل »

٢) في اواخر كانون الاوّل ، سنة ١٩٢٠ ، عاد غبطة السيّد الياس الحويك ، البطريرك اللبناني ، من سفره الى أوربّة ، فعرّج على بيروت ، ودخل كنيسة القديس جرجس المارونية ، حيث ألقى على تلك الالوف المؤلّفة ، خطاباً شائقاً ، ذكر لهم فيهِ خُلاصة أعمالهِ في سبيل الدفاع عن استقلال لبنان الكبير . ولمّا وصل الى الكلام عمّا لقيهُ في فرنسة من حبّ رجالها للبنان ، هبّت الحماسة الحطابية في صدر ذلك الشيخ الجليل ، فصاح : « ماذا أقول لكم عن هذهِ الدولة النبيلة ؟ » وكأنَّ ذلك الصديق العجيب للأمّة الافرنسيّة ، رأى أنَّ اللغة الفصحى لا تكفي للتعبير عن عواطفهِ الشديدة ، فانتقل ، ولم يشعر ، إلى اللغة العاميّة ، ونادى بملء صوته وقال : « لازم الشعب يِفهم . . فرَنسا ما في مِتلا بلدِنه كِلّا ! » فهتفت تلك الجماهير العديدة – في وسط الكنيسة ! – هتاف الحماسة والفرح ، وصفّقوا تصفيقاً

نطقوا بها ، وسمعوها سحابةَ عمرهم ، فأضحتْ من حيـاتهم ، وروحهم ، وشخصيَّتهم جزءًا لا ينفصل ؟ لذلك يسعنا القول إنَّ كلَّ من يعتقدُ خلافَ ذلك ، يكون على وهْمٍ وضلال .

وما كان الانسانُ غبياً الى حدٍّ يستعيضُ فيهِ من رجليهِ السليمتين ، بعُكَّازين !

﴿ القسم الثاني ﴾

في تفنيد الحجج التي يُعترض بها على ترقية اللغة العامِّية السورية الى المستوى الأدبي

كان الأولى أن نكتفي بما سردناهُ من البراهين الفلسفية واللغوية والاجتماعية ، إثباتاً لما نحن في صددِ الكلام عنه ، لأنَّ الاضداد يمتنع وجودها امتناعَ وجودِ الحرارةِ والبُرودةِ في جسمٍ واحدٍ ، وبوقتٍ واحد ؛ ومتى ثبت الشيءُ انتفى ضدُّه . لكنَّنا ، إرساخاً للإقناع في قلوب القرّاء ، نعمدُ في هذا القسم إلى تفنيد ما قد يعترض بهِ علينا المعترضون :

ارتجّتْ له أرجاء تلك الكنيسة ارتجاجاً !

هذا تأثير عبارة واحدةٍ عاميّة ! ولو عبّر السيد البطريرك عن عاطفته تلك ، بعبارة فصيحة ، لما أثّرتْ في الحاضرين ذلك التأثير نفسه !

الاعتراض الأول :

إنَّ بين العربية الفصحى واللهجات العامّية، فرقاً لا يُعتَدُّ به؛ وعليهِ فلا داعيَ للبحث في ترقّي تلك اللهجات إلى درجةِ لغاتٍ أدبيَّة .

الجواب :

نُنكر كلَّ الإنكار أنَّ الفرق مِمَّا لا يُلتَفتُ اليه؛ والبرهان واضح كالصبح الصابح .

اوّلا : انَّ الفلَّاح اللبناني الأمّي لا يستطيع أن يقرأ ويفهم كتاباً عربياً، من مثل كتاب « مجاني الادب » ؛ بلى، هو يفهم منه الالفاظ المشتركة بين العربية الفصحى واللهجة السورية، ليس غير . وهو، إن كتب سطرًا عربياً واحدًا، حشاهُ بالأغاليط .

ثانياً : نرى تلاميذ المدارس يقضون في تعلُّم اللغة الفصحى بضع سنين، ويصِلون الى الصفّ الخامس، او الرابع، ولا يستطيعون أن يكتبوا قصَّةً ساذجةً، دون غلط لُغويّ، ونحْوي، وصرفيّ؛ بل انَّ تلاميذ البيان والخطابة أيضاً، لا يقوون، ولو بعد دراسة عشرة اعوام، على التكلُّم باللغة الفصحى، والكتابة

بها، بسرعة معتدلة، وبلا خطإ. أمّا اللهجة السورية، فيتكلّمون بها بمنتهى السهولة؛ ولو كُتِبَتْ، لكتبوها بتلك السهولة عينها.

ثالثاً: خاطِبْ فلّاحاً أُمِيّاً باللغة الفصحى، فترى أنه لا يفهمها فهماً كافياً؛ واقرأ عليهِ مقالة عربية، وسلْهُ، بعد ذلك، ما أدرك منها ...

رابعاً: إنّ اللُغَويين في بلاد الغرب، من فرنسيين وانكليز وألمان وايطاليين وروس الخ، كتبوا في قواعد اللهجات العربية، من سوريّة ومصريّة وجزائرية وتونسية ومراكشية، وألّفوا فيها معاجم (قواميس) وأجادوا؛ فما يكون معنى هذه القواعد وهذهِ (القواميس)، اذا كان بين العربية الفصحى، وتلك اللهجات، فرقٌ لا يذكر؟ ومَنْ هو في هذهِ المسائل اللُغوية أسدُّ رأياً من اللغويين؟ (١

الاعتراض الثاني:

ان العربية الفصحى لغةٌ خالدة، وهيهات أن تموت!

الجواب:

اولًا: ما مِنْ حيّ على وجهِ الأرض خالد!

١) عمّا قريب، إن شاء الله، ننشر بلغتنا العاميّة، مجموعة علميّات وحكايات، وروايات، وفكاهات؛ فيكون ذلك أفضل جوابٍ لمن قد لا تُقنعهم حججنا وبراهيننا التي أوردناها في هذهِ المقالة العلميّة الطويلة.

ثانياً : يستحيلُ على كلّ لُغةٍ أن تبقى في معزلٍ عن تغيرٍ دائمٍ، يُفضي بها الى لغةٍ جديدة فصيحة، ولو بعد أجيال . هكذا قد تحوّلت اليونانية القديمة الى حديثة، وهكذا انتقلت اللاتينيّةُ ايضاً الى اللغات اللاتينية الحديثة .

ثالثاً : ان العربية نفسها قد تغيَّرت تغيُّراً عظيماً، من حين نشأتها الى اليوم . وحسبك، إثباتاً لذلك، أن تُعمد الى مقالةٍ علميَّة، أو أدبية، منشورة في احدى مجلّات العصر، وتُقابلَها بإحدى المعلّقات أو بما شئت من شعر العصر الجاهليّ ونثره .

الاعتراض الثالث :

أكبر مُصابٍ أن تفنى العربية الفصحى، بعد أن عاشت قروناً عديدة !

الجواب :

أجل، ان ذلك لمصابٌ، وايُّ مصاب ! ولكن ليس مدارُ الكلام هنا على العواطف والشواعر، بل على العقل والبرهان . وإنّنا لنودُّ، من أقصى الفؤاد، لو يحيا آباؤنا وأمّهاتنا على الارض قروناً ! لكنّنا نحن أعجزُ من أن نجعل هذا الامر في حيّز الإمكان !

ثمّ اذا ارتقت اللهجاتُ العاميّةُ الى المستوى الأدبي،

وقامتْ مقام العربية الفصحى ، فذلك لا يمنعُ بقاء هذه العربية الفصحى مكرَّمةً في المدارس ، محترمة ، لأنها أمٌّ لتلك اللهجات ، وهي غنيَّةٌ في ضروب الآداب ؛ كما حصل للغة اللاتينية حيث زالت عن عالَم الكتابة الادبية في فرنسا ، مثلًا ، وهي مع ذلك لا تبرح ، ولن تبرح في المدارس على مجدهـا السابق وعزها السالف .

الاعتراض الرابع :

إن تمّ هذا الأمر ، يصبح اهلُ البلاد الناطقة بلهجات عربية مختلفة ، في حاجةٍ الى لغةٍ مشتركة ما بينهم ، تبادلًا للافكار .

الجواب :

كلَّا ! فأيُّ مانع يمنع مِنْ بقاء العربية الفصحى ، لُغَةً ثانويَّة ، تُساعد على سهولة العلاقات بين العلماء والأُدباء القاطنين في تلك البلاد ؟ ومهما يكن ، فعدد هؤلاء يسير ، مقابلةً بعامّة الشعب الناطق باحدى اللهجات العربيّة الاصل . وهذه العامّة تجني من توحيد لسانها ، اي من الكتابة باللغة العامية ، أكبر الفوائد .

الاعتراض الخامس :

هذا المشروع حُلمٌ نائم ، لا يصحُّ ، ولا يتحقَّق ، ما دام على

سطح الغبراء مسلمون !

الجواب :

كلّا ! كلّا ! فليس في يد إخواننا المسلمين أن يُغيّروا سُنَن حياة اللغات والشعوب، ويقلبوها ظهراً لبطن. وهذه السنن، كما رأينا، مؤيدة لقضيّتنا ؛ وهل يمكن أمّاً ان تُعيد ابنها الكهل الى ربيع الحياة ؟ نعم إنّ العربية يُحتمَل، بل يُرجَّحُ بقاؤها في القُرآن الى منتهى الأزمان، ولكن لا ينتجُ عن ذلك ضرورةُ بقائها في البلاد العربية اللهجة، كما هي الان، أي اللغة العربيّة الادبيّة الوحيدة . وكفى شاهداً على ذلك أن المسلمين من الترك والفرس والصينيين لا ينطقون بالعربيّة ولا يتكلمون بها، مع ان كثيراً منهم محافظون على القُرآن العربي (١.

الاعتراض السادس :

اللغة العامية عاجزة عن التعبير الادبي .

الجواب :

سبب هذا العجز قائمٌ إمّا في عدد ألفاظها، أو في نوعيّة

---

١) لعلّ بعض القرّاء يجدون في الأفكار المسرودة في هذه المقالة، جرأة وجسارة ؛ فنحن نُعلن أنها أفكارٌ شخصيّةٌ لنا، ونعتقد أنها راسخةٌ على تأريخ اللغات البشرية ؛ لذلك رأينا أن نعرضها على الرأي العام، لينتقدها ويُظهر صحيحها من فاسدها، ولكن بعد أن يختبر، في المستقبل القريب، ما ننشره نحن، أو غيرنا، بهذه اللغة العاميّة .

هذه الالفاظ . أمّا أن يكون في نوعية الفاظها ، اي في نوع الحروف والحركات ، فمنكر : لان الالفاظ في جميع اللغات اصطلاحيةٌ هي ، لا معنى لها في حدّ ذاتها . ونحن نرى مع كلّ ذي نظر أن كلمة « رَجُل » ليست أفصح من « رِجَّال » و « رِجْل » من « إجْر » و « نهق الحمار » من « شهنق الحمار » ، و « قُنبُعة » من « قبّوعه » ، و « حان لنا » من « حَلْنا » ، و « تَخَرْبَق » من « تْخَرْبَط » ، و « تَحرَّشَ » من « تْحشَّر » ، و « تَجَشَّأ » من « تْدَشَّا » ، و « المباهرة » من « البهْوَره » ، و « غاص » من « غَطَس » ، الخ .

وأمّا ان يكون العجز في قلّة الالفاظ ، فمنكر ايضاً ، لان « قاموس » اللهجة العامية السورية ، فيهِ لا أقلّ من خمسة عشر ألف كلمة ؛ و « قاموس » اللهجة المصريّة ، المطبوع من عدّة سنين ، فيهِ ما يُقارب هذا العدد . فكيف يُقال اذن ، في لغةٍ ذلك هو عدد مفرداتها ، انها عاجزة عن التعبير الأدبي ، ولو كانت لا تستطيع الآن مجاراة العربية الفصحى في غناها العجيب بالالفاظ والتعابير الشتّى ؟ إنّ بين العجز والمقدرة لفرقاً عظيماً . فتلميذ صفّ الخطابة مثلاً ، قادرٌ على التعبير العربيّ الادبي ، وإن لم يستطع أن ينافس فيهِ الشيخ عبدالله البستاني ، أو خليل بك مطران .

ثم إن اللغة العامية السورية ، اذا استعملها مئاتٌ من الأدباء للتعبير عن أفكارهم وعواطفهم ، لا تلبثُ أن تغتني بألوفِ المفردات والتعابير ؛ ولا يمرُّ بها حين ، حتى تستطيع مباهاة اللغة الفصحى ! فإن اللغة الفرنسية لم يمضِ على نشأتها بضعة قرون ، حتى جارتْ أمَّها اللاتينية في غناها ، بل فاقتْها بمراحل !

الاعتراض السابع :

ان اللغة العاميَّة غليظةٌ ، سافلة .

الجواب :

هذا الاعتراضُ ، اختلاقٌ محْض ! فإنَّ اللهجة السورية لألطفُ من لفظ العربية ، وأظرف ، بسبب تحوُّل الحروف الثقيلةِ الى حروفٍ ألطف وأسهل ، كتحوُّل الذال الى زين أو دال ، والثاء الى سين أو تاء ، والقاف الى همزة ، الخ . وإنّ كلمة « سافلة » لا محلّ لها هنا أصلًا ! فأيُّ سفالةٍ في معنى كلمة « رِجّال » بدلًا من « رَجُل » ، و « مْدينه » بدلًا من « مَدينة » ؟ إن السفالة ليست هي في مفردات اللغة ، لأنها اصطلاحية ، بل ان السفالة في الافكار والعواطف . وهذه إنَّما تختلف باختلاف الكَتَبة . فالفاظ اللغة أشبهُ بآلات الطرب ،

فيمكنك أن تستعين بهذه الآلات على الترنُّم بمزامير داود ، أو على التغنية بأقبح الاغاني . (١

نعم ، إنّ في جميع لغات الأرض مئاتٍ من الالفاظ السافلة ، وذلك إمّا لمعناها القبيح ، أو لأنها حُصرت في دائرة أناسٍ سُقّاطٍ أراذل ، ولكن يستحيل علينا أن ندّعي وجود هذين السببين في مجموع الفاظ لغة عاميّة ، أيّةً كانت .

الاعتراض الثامن :

اللغة العاميّة مَحشُوّةٌ بالاغلاط ؛ فكيف يمكن أن تصير لغةً فصيحة ؟

---

١) للشاعر المشهور ، رشيد بك نخله ، قصائد عديدة باللُّغة العاميّة ، يبلغ عددُ أبياتها ، فيما قيل لنا ، نحوًا من ستة عشر ألف بيت . وقد ذكر لنا صديقنا ، الطبيب الفاضل ، حبيب ثابت ، بيتين من مناظرة جرت بين شاعرين من قوّالي « المعنّى » ، فيهما من لطيف الابتكار ما يجعلهما جديرين بالذكر ؛ ودُونكهما :

قال الأوّل :

« أنا بَبّي الديك ، وإمّي الزِنبرك ، ورَضّعوني من دواخين السّلاح ! »

فاجابه الثاني :

« إنْ كان بيّك الديك ، وإمّك الزِنبرك ، بيّك وإمّك تحتْ كبْسةْ إصبعي ! »

وإن نسينا الفاضل ، المرحوم الشيخ سعيد الشرتوني ، قد بحث عن شيء من هذا الموضوع ، في كتاب بيانه ، الذي سمّاه « مطالع الاضواء ، في مناهج الكتّاب والشعراء » حيث أفرد في صحيفة ١٧٠ ، بابًا خاصًا ، عنوانهُ « العامّة وعلم البيان » ، فيحسن بك أن تطّلع عليه .

الجواب :

مـا هذهِ اغلاطاً ، بل هي أصولٌ لتلـك اللغة . فغلَطُ اللغة الفرنسية في قولك « la belle soleil » ، هو في العربية صواب ، حيث إنك تقول « الشمس الجميلة » . ذلك لأن لكلّ لغةٍ قواعدَ خاصّة . وقد برهنّا ، فيما سبق ، ان اللغات العربية العامية لا يمكن أن يُقال عنها إنها اللغة الفصحى بعينها ، أو إنّها لغاتٌ لا تختلف عنها اختلافاً يُذكر .

وإنّ وجود الشاربين على شفة الانسان ، وهو ابن عشر سنين ، يُعدُّ من جهة الطبيعـة خطأً ، لكنّ وجودهما فيهِ ، وهو ابن عشرين ، هو الصواب عينه ، مـع أنّ شخصيّتهُ لم تتغيّر .

ولولا خوف الإطـالة في هذا الموضوع ، لأوردنا للقرّاء تاريخ تحوُّل ثلاث وعشرين لغةً عاميّة الى لغات فصيحة (١ ، فيرون بعد هذا البرهان الاستقرائي ، إمكانَ وسهولةَ تحوّلِ

---

١) قد طبعنا مقالتنا هذه في كرّاس مستقلّ ، وأثبتنا فيها مباحث مهمّة عن تحوُّل هذهِ الثلاث والعشرين لغة عاميةً إلى لغات فصيحة ، وأضفنا الى ذلك بحثاً آخر يتضمّن قواعد كتابة اللغة العاميّة السوريّة ، وعزّزنا تلك القواعد بإيراد أمثلة عليها . ويُخيّل إلينا أنّ في هذا الكرّاس ، للقُرّاء الكرام ، منفعةً أدبيّة ، ولذّة عقلية .
أمّا ثمنهُ ، فخمسة عشر غرشاً سورياً .

العربية العاميّة الى لغة فصيحة ، بل يتأكد لهم حينئذٍ أنّ هذا التحوّل واقع ، وسيتمّ بإذن الله (١ !

وأكرم بالشاعر الكبير ، حافظ بك ابرهيم ، حيث يقول في رثائهِ لقاسم أمين :

الحكم للأيام مرجعهُ
في ما رأيتَ ، فنمْ ، ولا تسَلِ ؛
وكذا طُهاةُ الرأي تتركهُ
للدهرِ ، يُنضجهُ على مهَلِ .

---

١) وربّما اعترض البعض وقالوا :

«من المحال أن تترقّى اللغة العاميّة بترقي الشعب الى المستوى الادبي ، وتصير لغة تختلف عن العربيّة الفصحى اختلافاً يتزايد على توالي الاجيال . فالصواب أن اللغة العاميّة تقترب إلى الفصحى بترقّي الشعب في الحضارة . »

فنُجيب : انّ تاريخ الشعوب واللغات يُفنّد هذهِ النظريّة ، تفنيداً . فهي ، والحقيقة التاريخيّة ، على طرفَيْ نقيض . ولضيق المقام ، نرجو القارئ الكريم أن يطالع كرّاسنا الذي طبعناهُ على حدة ، وهو يشتمل على هذا المبحث بنوع أوفى .

ثمّ نتوسّل إليهِ أن يذكر لنا ، إن استطاع ، ولو بعد مراجعة أعظم العلماء اللغويين ، مثلاً واحداً يُؤيّد نظريّته تلك ، وهذا في كلام عامّة الشعب والسواد الاعظم فيهِ ، لا في كلام الافراد من الخاصّة ، المتضلّعين من اللغة الفصحى .

الخاتمة

لقد أثبتنا قضيتنا هذه، بأقوى البراهين، وعززناها بأوضح الأمثال، ونقضنا جميع ما قد يبدرُ إلى ذهن القارئ من الاعتراضات والحجج.

وها نحن، في هذهِ الخاتمة، نجمع أخصّ أدلّتنا، ونحملُ بها على اولئك المعترضين، حملةً لا يكونُ وراءها إلّا أكلةُ النصر والظفر. وغايتُنا من كلّ ذلك، لا أن نُلغي اللغةَ العربيّة الفصحى، من عالم الكتابة — ونحن من الذين خدموا رايتها سنين — بل قصدُنا أن يعترف الأُدباء لِلُّغة العاميّةِ بحقّ الظهور في عالَمِ الآداب، سواء كان ذلك في المدارس أو الجرائد أو الكتب أو المواعظ أو الخطب. فها قد مضى على هذهِ اللغةِ العاميّةِ سنون وهي تُقاسي من ازدراء الأُدباء لها أشدّ مرارة! كيف لا، وهي، في وطنها، ترى على أبواب جميع المدارس والمعابد، لائحةً جائرةً، كُتبَ عليها: «محظورٌ على اللُّغة العاميّةِ أن تدخل هنا!» فما معنى هذا الإعلان، وما الداعي لهذا المنع؟ فلو كانت اللغة العاميّة لابسةً ثياباً قذرة، ممزّقة، لكان لمن كتبوا تلك اللائحة بعضُ العذر؛ لكنّنا نراها نظيفةَ الثياب، خفيفة الظلّ، حبيبةً إلى قلب

الشعب ، قريبةً إلى كلّ أحد ؛ فمنعها من الدخول الى تلك الاماكن ظلمٌ ، وأيُّ ظلم !

فلو كان رجالُ الدين وأربابُ المدارس لا يأذنون في الدخول الى المعابد أو المعاهد إلّا لمن كان لابساً أفخر الثياب ، ويمنعون كلَّ مَنْ عليهِ ثيابٌ من كتّانٍ أو قطن ، لأتوا عملاً إدًّا يُنكرهُ الحقّ والعدل ! تلك هي حالةُ اللغةِ العاميّة مع من يُريدون صدَّها عن الولوج الى الأماكن التي ذكرنا . وإذا قال المعترضون إنّ اللغةَ العاميّة لغةٌ سافلة ، ساقطة ، أجبناهم مع كلّ عاقل ، وقلنا إنّ لُغةً ينطق بها جميعُ أهل الوطن ، من بطاركةٍ ، ومُفتين ، ومطارنةٍ ، وقُضاةٍ ، ومشايخَ ، وكهنة ، وأكابرَ ، وسادةٍ ، وعلماء ، لأبعدُ من أن تكون لغةً ساقطة !

وإيضاحاً لحقوق هذهِ اللغة العاميّة ، نذكر ثلاثة أمور :

الأوّل ، إنّ خمسةً وتسعين في المائة من الشعب اللبناني ، يتعذّرُ عليهم أن يتعلّموا اللغةَ الفصحى تعلُّماً كافياً ، يُوصلهم الى درجةٍ يستطيعون فيها فهمَ ما تنشرهُ الكتبُ والجرائدُ والمجلّاتُ ، من الأخبار العلميّة والفنيّة ، الخ . ولقد ضلّ كلّ ضلالٍ من اعتقد أنّ في يد الفلّاحِ الأميّ أن يقضي في المدارس الراقية ، سبع سنين وأزيد ، حتى يتضلّع من تلك اللغة العربيّة الفصحى ، التي هي من أصعب لُغاتِ الأرض .

الثاني ، إنَّ الشعب يتضوّر جوعاً الى الاطّلاع على ما يجري في هذا الكون ، وهو يطلب خبز الدّين والمعارف ، وما من يقدّمه له ! وكم من فلّاحٍ أُمّيٍّ يودُّ ، ويشتهي قراءة الكتُبِ الدينيَّة وسِيَرِ الأولياء والقدّيسين ، ولا يستطيع ، لعجزهِ عن الوصول الى التفقُّهِ في اللغةِ الفصحى ، لشدّةِ صعوبتها ، كما سبق الكلام . فحرامٌ ، وألف حرام أن تحرموهُ فوائد الدنيا والآخرة !...

فلو أنَّ الحكومة قامت ، في هذا العصر ، عصرِ الحريّة ، واتّخذتْ لها أهراء واسعة ، وجمعتْ فيها جميع غلّاتِ الوطن ، واحتفظتْ بها لبعض الخاصّة ، ومنعتِ الشعب من الوصول الى القوت ، لهجم الشعبُ على تلك المذاخر ، ولو دونها ألوفُ المدافع ، وحطّمها تحطيماً ! وإنَّ جوع العقل البشري ليفوق جوعَ الجسد الى الطعام !

الثالث ، إنَّ الشعب مُتعلّقٌ كلَّ التعلُّقِ بلغةِ آبائهِ وأمّهاته ، وما هذهِ اللغةُ إلّا اللغة العاميّة !

لِنَفرضْ أنْ شاهدنا ، صباح غدٍ ، نُعاةً في الشوارع ينعون اللُّغةَ العربيّةَ الفصحى ، ويُخبرون بموتها ، فما يكون عددُ الذين يبكون عليها في لبنان ؟ إنَّ هذا العدد ، ولا ريب ، لا يبلغُ واحدًا من ألف !

طبق على الباقي

أمّا ، لو أخبر الناعون بموت اللغةِ العاميّة ، أو أصدرت الحكومة أمرًا منعتْ فيهِ اللبنانيين من التكلّم بهذهِ اللغة ، وتهدّدت المخالفين بأشدّ عقاب ، فما يحلُّ بالبلاد ؟ لعمري ! انّ الشعب بأسرهِ ، ينهض إذ ذاك ، ويثور على الحكومة ثورةً لم يذكر التاريخُ لها شبيهاً ! ذلك لأنّ هذهِ اللغةَ العاميّة هي حياتُنا ! أمّا اللغةُ الفصحى ، فهي مقصورةٌ على بعض المتأدّبين ، وما عددُ هؤلاء بالقياس إلى عامّة الشعب ؟ !

وقد وافق على مشروعِنا هذا غبطةُ السيّد الياس الحويّك البطريرك اللبناني الكبير ، وجميع الذين مكّنتْنا الفرصة من إطلاعهم عليه ، من مثل أصحاب السيادة ، المطارنة : عبدالله خوري ، واغناطيوس مبارك ، وميخائيل أخرس ، وبولس عقل ، وبطرس الفغالي ، وبشاره الشمالي ، والاب يوسف مبارك ، رئيس المرسلين اللبنانيين العامّ ، والاب انطون حبيب رئيس المرسلين البولسيين العامّ ، والمونسنيور بطرس مبارك ، والمونسنيور الياس ريشا ، والاب بولس طعمه ، كاتب أسرار البطريركية المارونية ، فضلاً عن عددٍ كبير من الكهنة الاجلاء ، وكبار المفكّرين ، من مثل اللغوي المشهور ، الشيخ عبدالله البستاني ، والشيخ أمين الجميّل ، والاب اغناطيوس جعجع ، الخ . ولم تكن موافقةُ جميعِ هؤلاء

المفكّرين ، على هذهِ القضيَّة الخطيرة الصائبة ، إلّا لِما رأوا ما ينتج عن تحقيقها من الخيرات الروحيَّة والزمنيَّة ، لعامَّةِ الشعب اللبناني ، بل لعامّة الشعوب السوريَّة كلّها .

ولقد أدرك علماء أوربّة أنّ للّغات العاميَّة حقًّا في الحياة ، فلم يُهملوها ، رغم خُلوّها من الآداب ، بل قضوا قسمًا كبيرًا من حياتهم في تعزيزها ودِراستها .

وأنّى لأولئك العلماء الأعلام أن يزدروا شأن هذهِ اللغات العاميَّة ، وهي لغاتُ مُعظم أهل الأرض ! ومِمّا لا ريب فيه ، أنْ ليس بين الألفي لُغةً التي درسها العلماء اللغويّون ، إلّا نحوٌ من مائتي لغةٍ لها آداب . ومن جملة هذهِ اللغات العاميَّة ، اللّهجاتُ العربيَّة ، من مالطيَّة ومرّاكشيَّة وتونسيَّة وطرابلسيَّة ومصريَّة وسوريَّة وعراقيَّة ، فضلًا عن لهجات شبهِ جزيرة العرب .

وإنّ في مجموعة « The Gospel in many tongues » (أي ، الانجيل بلُغاتٍ عديدة) ، مثلًا لخمسٍ من هذهِ اللّهجات . وبين لغات هذا الكتاب ، وعددُها ٥٤٣ وأزيد ، لا أقلّ من ٣٥٠ لُغةً يُنطَقُ بها ولا تُكتَب (أي لغات عاميَّة) . فعمدتْ « شركةُ التوارة الانكليزيَّة والأجنبيَّة » إلى ترجمة وطبع اهمّ اجزاء الكتاب المقدس ، باللّهجاتِ العاميَّة ؛

ومركز هذه الجمعيّة في مدينة لوندرة . وفضلاً عن تلك اللغات البالغ عددها ٥٤٣ ، يوجد ايضاً نحوٌ من ١٥٠ لغة أُخرى عاميّة ، تُرجم إليها قسمٌ وافر من الكتاب المقدّس ، فتأمّلْ (١) ..

وإليك دليلاً آخر على عناية اولئك العلماء ، تجدهُ في مجموعة هَرْتليبن (Hartleben) ، وفيها ١٢٩ كتاباً ، وهي معاجم وكتب نحو وقراءة في نحوٍ من ٧٠ لغةً مشهورة . وقد جعلوا في هذهِ المجموعة محلّاً لمجلّدَيْنِ ، أحدهما في اللغة المصريّة العاميّة ، والآخر في شقيقتها السوريّة ، فضلاً عن مجلّد ثالث ، في العربيّة الفصحى .

خلاصةُ القول

أوّلاً ، اذا كان القارئ لا يعترف ، بعد جميع هذهِ الادلّة ، بحقوق لُغتنا العاميّة ، ولا يأذن لها بأن تظهر في عالَم الآداب ، فلا يبقى لنا إلّا أن نطلب منهُ أحدَ أمرين :

فإمّا أن يُبرهن لنا ، نظريًّا ، على إمكان ترقي اللغةِ العاميّةِ ، وعَوْدتها الى اللغة الفصحى التي اشتقّت منها هذهِ العاميّة ، ويأتينا ، ولو بمثل واحدٍ على ذلك ! وإمّا أن يذكر لنا

---

١) دونك مثلاً من اللغة العاميّة في الجزائر ، مطبوعاً بالحروف الجزائريّة ، في « المجموعة » السابقة الذكر :

« على خاطر هكذا حبّ الله العباد حتى سلّم في ابنُه الوحيد الفريد باش (حتى) ما يتّهلك شي كلّ من يأمن به لكن لهُ الحياة الدايمة »

شعباً واحداً ، بلغ درجةً من التمدُّن راقية ، وبقي محافظاً على لُغتين ، إحداهما للتكلُّم ، والأُخرى للاداب .

ثانياً ، انْ هزَّ المعترض عِطفَيه ، ومرَّ ولم يُجبْ على هذا الاقتراح ، فنقول لهُ إنَّ هزَّ العِطفين لأبعدُ من أن يكون برهاناً ، ونزيد على ذلك أنّنا لفي غنًى عن جوابه !

ولو فرضنا — وهذا محال — أنْ هبَّ جميع أدباء العصر لمقاومة قضيَّتنا ، فنقول — ولا نبالغ — إنَّ هذهِ القضيَّة ، في حدّ ذاتها ، لصائبة ، وإنَّ دخولها في حيّز الوجود سيلاقي أمام الشعب اللبناني ، أي ٩٥ من المائة فيه ، أعظم رواجٍ وأشدّ فلاح !

ونضيف على ذلك ، ونقول إنّنا في غير حاجةٍ إلى من يُؤيّد رأينا هذا ، فإنَّ في هذهِ البلاد ، كما قلنا ، آلافاً من أبناء لبنان ، يتضوَّرون جوعاً إلى آداب راقيةٍ ، قريبةِ المنال ، عذبة اللفظ ، مكتوبة بلُغتهم . وجميع هذهِ الشروط لا تجتمع إلّا في اللُّغة العاميَّة ، التي نحنُ أوَّلُ أنصارها ، لا بالكلام الفارغ ، بل بأمتن البراهين التاريخيَّة ، واللغوية ، والفلسفيَّة .

ومن زُهاء اسبوعين ، قرأنا في جريدة « الوطن » الغرّاء ، مقالة دبَّجها يراع الاستاذ راجي الراعي ، ومِمَّا جاء فيها أنَّ الوطن لا يصير وطناً حقيقياً ، ما لم يصرِ الفلّاح اللبناني يُسرع الى قراءة الكتب والجرائد والمجلّات ، ويفهم ما فيها .

ونحن نجيب الاستاذ الراعي ، وكلَّ مُحبٍّ لهذا الوطن ، ونقول : « لا وسيلة إلى تحقيق هذه الأُمنيَّة ، إلَّا في أن نسعى لإزالة الحوائل التي تحول دون الوصول الى ما نريد ، وذلك بأن نبذل المال ، ونُجرّد الأقلام ، ونبدأ ، من الآن ، بتعزيز لغتنا العامّية ، التي هي وحدها لُغة الشعب . وما من وسيلة الى ذلك الّا بأن ننشر جرائد ومجلّات وكتُباً (١) تبحث عن المعارف ، والعلوم ، والفنون ، والصناعات ، وفي كل ما فوق الشمس وتحتها ! ولتكن جميع هذه المباحث مكتوبةً باللغة العامّية ! والله وحدَه أعلَمُ بما ينتج عن ذلك من الفوائد الوطنيَّة ، والعلميّة ، والاجتماعيَّة ، والدينيـة ، لهذا الوطن الذي آلينا أن نُخلص لهُ الخدمة ما بقيتْ فينا حياة !

يظهر ان رصفائك لا يوافقون ان يكتبوا باللغة العامية ولهذا أرى ان تسهل عليهم وتكتب ذلك باللغة الفصحى والحمد لله قد فعلت

---

١) قد وضعنا لكتابة اللغة العربية العامّية ، قواعد غاية في السهولة ، يتمكّن الأميُّ من تعلُّمها في أقلّ من اسبوع . وهذه « القواعد » نطبعها الآن في كتاب لنا مكتوب باللغة العامّية ، سمّيناهُ « في متاو هلكتاب ؟ » ، وسنجعل ثمن النسخة منهُ ١٠ غروش سوريّة ، ليس غير . وسيتبع هذا الكتاب عِدّة اجزاء ، إنْ شاء الله .

تاريخ

زفاف السيّدة جلّنار (١ رحال ، إلى الوجيه الفاضل ، أسعد نخله غصن

زَفَّ « الخليلُ (٢) » الى الهلال المُسْعِدِ
« شمساً » بدتْ « ليلًا » بأبدعِ مشهدِ !
لمّا أضاء جمالُها من حولهِ ،
كلتْ بطلعتِها محاسنُ « أسعدِ ! »
نَثروا خواليها الزهورَ ، وإنّها ،
غيرَ الزهور ، بعمرِها لم ترتدِ !
للهِ منْ مَلَكٍ نقيٍّ ، طاهرٍ ،
في جِيدِهِ لمعتْ عقودُ زَبَرْجدِ !
أو ، قُلْ : « غزالٌ صادهُ الصيّادُ في
يوم النعيمِ ، وزانهُ بالعسْجدِ ،
لا ، بل « كَناريٌّ » ، رخيمٌ صوتُهُ ،
متعلّقٌ شَغَفاً « بِغُصن » أملدِ ! »
يا خيرَ « غصنٍ » ، بالفضائل مُثمرٍ ،
وسليلَ « نخلةِ (٣) » كلّ غصنٍ أمجدِ ،

---

١) جُلّنار : مُعرّب كلّنار بالفارسيّة ، ومعناهُ وَرْدُ الرمّان ، واحدتهُ جُلّنارة .
٢) هو الفاضل ، خليل رحّال ، أبو العروس .
٣) هو المرحوم الفاضل ، نخله غصن .

قد كلّلوا بالزهرِ رأسكَ ، فازدهرْ ،
وانعمْ بعيشٍ طيّبٍ ، متجدّدِ ،
واسلمْ ، فإنّ اليُمْنَ حلّ عليك إذْ
مسّتْكَ ، هذا اليومَ ، يُمنى «السيّدِ» !
لتكنْ عروسُكَ مِثْلَ رفقا ، طاعةً ،
ونظيرَ سارةَ ، ذات عمرٍ أزيدِ ،
وعفيفةً ، ابدًا ، كراحيلٍ ، فلا
تبغي سوى الحبِّ النقيِّ الموْرِدِ ،
وترى حواليها البنين كأنهم
أغراسُ زيتونٍ كريمِ الموعدِ !
هذي رغائبُ كلِّ قلبٍ صادقٍ ،
يشتاق أنْ تحيا بعيشٍ أرغدِ ،
وتظلّ دارُك للسعادةِ موطناً ،
فتروح في العيشِ الهنيِّ ، وتغتدي ،
ما صاحبُ التاريخ «جاءك قائلًا :
إكليلُ غصنِكَ جُلّنارٌ ، فاسْعدِ !»

سنة ١٩١٦

يوم لبنان الكبير

هي القصيدة التي أُنشدتْ وقت الاحتفال العظيم باستقلال
لبنان الكبير ، وذلك في اوّل ايلول ، سنة ١٩٢٠

يا يومَ لبنـانَ الكبيرِ ، يومَ الخلاصِ من الشُّرورِ !
يومٌ بهِ الافراحُ طابتْ للصغيرِ ، وللكبـيرِ !
فرحٌ بساحاتِ السّماءِ ، وفي البيوتِ ، وفي القصورِ ؛
وصِياحُ تهليـلِ النساءِ ، يفـوقُ تغريدَ الطُّيورِ ؛
وهُتافُ جُمهورِ الرجالِ ، وضَجّـةُ الجمِّ الغفيرِ ؛
ودويُّ أجراسِ الكنائسِ ، مالِئٌ رحْبَ الأثيرِ ؛
ومآذنٌ أصـواتُهـا ، عنـدَ العشيّـةِ والسُّحورِ :
اللهُ اكبرُ ! يا مـلا ، وبحُكمِهِ مجرى الامورِ !
ونشيـدُ لبنـانٍ لهُ نغمٌ طروبٌ في الصدورِ ،
ورنينُ موسيقى المسرّةِ بالطبـولِ وبالزمورِ ،
ملاءَ الهواءِ ، فخِلْتني ، يا قومُ ، في يومِ النُّشورِ !

*

فَتَياتُنا خَطرتْ بثوبِ العيدِ ، في أبهى الحريرِ ،
وعجائزٌ تركتْ مغازلَهـا وجاءتْ للحبـورِ ،

والشيخُ دبَّ على العصا ، وأتى يُشاركُ في السرور ،
ووفودُ (١ باريسٍ تَجُدُّ بسيرها فوق البحورِ ،
حتى ترى بعيونها أفراحَ لبنانَ الكبير !

*

ونهورُ لبنانٍ تُصفِّقُ بالتدفُّقِ والخريرِ ،
ونسيمُ شُمِّ جبالنا وافى بأنواع العبيرِ :
كلُّ الورى في بَهْجةٍ ، ولطِفْلِنا القمرِ الصغيرِ ،
ناغتْ عصافيرُ الهنا ، فاهتزَّ يقفزُ في السَّريرِ !
والأرزُ هزَّ غصونَهُ ، وأتى يُطيِّبُ بالعُطورِ
ذِكرى فَرَنْسا ، أُمِّةِ الخيراتِ والفضل الغزيرِ ؛
ثُمَّ انحنى بتلهُّفٍ ، مِنْ فوقِ هاتيكَ القبورِ ،
حيثُ الشبابُ ذَوى ، فحطَّ عليهِ إكليلَ الزُّهورِ !
عادتْ بتَذْكارٍ لها ، أشبالُ لُبنانَ الهَصُورِ ،
قامت تُشاطرنا السرورَ بعيدِنا البَهِجِ النضيرِ !

*

---

١) نعني بها الوفد الذي ترأسهُ سيادةُ المطران عبدالله خوري ، النائب البطريركي الماروني ، وألّف من الامير توفيق ارسلان ، واميل افندي ادّه ، والشيخ يوسف الجميّل . وانضمَّ إليه ، بعد مدّة من سفرهم ، سيادة المطران كيرلّس مغبغب ، اسقف زحلة ، للروم الكاثوليك . وقد قضوا في اوربة سبعة أشهر مجاهدين في سبيل الوطن حقّ جهاد .

والبطريركُ (١ أتى ، فزادَ بهاءَ مَجْمَعِنا الخطيرِ :
فَهْوَ الذي قد جدَّ في تحريرِ لبنانَ الكبيرِ ،
وهو الذي قد جدَّ في تكبيرِ لبنانَ الصغيرِ .
وَلَدُنْ رأى تحقيقَ مُنْيَةِ قلبهِ الطَّهرِ ، الغيورِ ،
سقطتْ مدامعُهُ ، وما فيها سوى صافي السُّرورِ !
لا ! لا تَقُلْ : « أَطلِقْ أيا ربَّاهُ عبدكَ في حبورِ ،
قد أبصرتْ عيناي ....» لا! بل عِشْ طويلاً كالنسورِ !
لبنانُ أنتَ أميرُهُ ، ما مجدهُ دون الاميرِ !
لبنانُ انتَ كبيرُهُ ؛ ضلَّ الذين بلا كبيرِ !
أبناءُ لبنانٍ أَتَوكَ من الجبالِ ، من الثُغورِ ،
مُتَوَكِّلينَ ، وإنَّهم وقعوا على الرجل الخبيرِ !
فَرَكِبْتَ مَتْنَ البحرِ متَّكلاً على الربِّ القديرِ ،
خُضتَ الصِّعابَ ، ولمْ تَعُدْ إلَّا «بلبنانَ الكبيرِ» !

*

أمَّا الحديدُ العزمِ «غورو» ، قائدُ الجيشِ الكثيرِ ،

---

١) هو غبطة السيّد الياس بطرس الحويّك ، البطريرك الماروني ، الذي اتّفق جميعُ اللبنانيين ، على اختلاف طوائفهم وأديانهم ، واختاروهُ لينوب عنهم ، امام الحلفاء ، في الدفاع عن حقوق لبنان الكبير . فسافر إلى اوربا ، وقام بهذه المهمّة الوطنية أفضل قيام ، فاستحق بكلّ جدارةٍ ، أن يُطلق عليهِ لقب « البطريرك اللبناني الكبير ! » .

«غورو»، ابو الحملات في الحربِ الموجّجةِ السّعيرِ،
«غورو»، أبو الحسناتِ، إنْ سالَمتْهُ، واخو الضميرِ،
فهو الذي نشرَ الأمانَ، وصارَ مَلْجا المستجيرِ!
لولاه، ما سادَ السلامُ، وما أمِنّا مِنْ عُثورِ؛
فلهُ على لبنانَ فضلٌ ثابتٌ، طُولَ العصورِ،
فَضْلٌ كَتَبْناهُ بِتِبْرِ الشُّكرِ، في لوحِ الصدورِ،
فضلٌ حَفَرْناهُ بسيفِ الحقِّ، في صُمِّ الصخورِ،
فضلٌ نَسيمُ الأرْزِ يَحمِلهُ على مَرِّ الدُّهورِ!

*

بيروتُ، يا وطنَ العلومِ، ومَعْدِنَ اللطفِ النَّميرِ،
وعروسَ لبنانَ المحاطةَ بالكواكبِ والبدورِ،
حُيِّيتِ! زيَّنتِ البلادَ؛ فما لثَغْرِكِ من نظيرِ!
قد كلَّلوكِ، بيومِ عُرسكِ، بالنُّضارِ، وبالزهورِ،
هيأ أبرُزي بجلالةٍ، من خلْفِ خِدْرِكِ والسُّتورِ،
فيصيحُ لبنانٌ: «عروسي، فَخْرُ ربّاتِ الخدورِ!»

*

يا آلَ لبنانَ الأكارمَ، من غنيٍّ أو فقيرِ،
يا آلَ لبنانَ الكبيرِ، من الطوائفِ والعشيرِ،
قد حُقِّقتْ لكمُ المنى، وغدوتُمُ في عَصْرِ نُورِ!

باللهِ ! فانضمُّوا ، وإلّا كنتمُ رهنَ الغرورِ !
سيروا برأيٍ واحدٍ أبدًا ، وأكرِمْ بالمسيرِ !
وطنٌ لنا ، لا فَرْقَ فيهِ ، أمامَ حُرٍّ أو أجيرِ !
لِنَعِشْ بحُبٍّ واتّفاقٍ ، في حِمى الربِّ الغفيرِ !
صَوْتُ البشيرِ مبشّرٌ ؛ أحبِبْ بتبشيرِ البشيرِ !
نادُوا بهِ في كلِّ أنديةٍ ، وبالصوتِ الجهيرِ :
« لا زلتَ عُربونَ الهنا ، يا يومَ لبنانَ الكبيرِ ! »

كلام الحكماء

لُغةُ الشعبِ حياتُه ، ولغتهُ المكتوبة خلوده !

مِن شقاء الانسان أنَّ فعل الشرّ سهل عليه ؛ اما فعل الخير فصعب ، وأيّ صعب !

*

صلاحُ الخطيب ، شهادةٌ للسامعين على صحّة ما يقول .

*

لا تفتخر بالغد ؛ فإنّك لا تدري ما هو حاملٌ اليك .

النشيد الوطني اللبناني (١

أُنشد في مُفتتح وختام الاحتفال العظيم بإعلان استقلال لبنان الكبير،
في اليوم الأوّل من ايلول، سنة ١٩٢٠

لبنانُ، لا تخشَ العِدى : كلُّنا تَقلّدا،
ليومِ الوغى، المُهنَّدا!
إخوانُنا ماتتْ فدى، كيْ تنالَ سُؤْدُدَا؛
فَعِشْ للمَدى مُؤبَّدا!
يا أرزةً، على البنودْ أشرقتْ، فحقّقتْ مُنى الجدودْ،
أبطالنا بحسرةٍ قدقضَوْا، وهُمْ على رجا الوُعودْ!

*

ألا! فارفعُوا للعُلى رايةً لاحَ فيها أرزُنا؛
فَيا «ما حلا! ما حلا!» أرزُنا رمزُنا، وعِزُّنا!

٢

بُشراكَ، يا لُبنانَنا، فُزْتَ، فُزْتَ بالمنى!
فللهِ نَرْفعُ الثّنا!

---

١) قد وضع الاستاذ بشاره فرزان لحناً لهذا النشيد الوطني؛ وفي هذا الاسبوع، وضع له حضرة الموسيقي الماهر، الاب بولس الاشقر، لحناً آخر، وبدأ بوضع ألحان شائقة، لسائر الاناشيد التي نظمناها ونشرنا بعضها في هذا الكتاب. فمن شاء الحصول عليها فليطلبها من صاحب الكتاب.

فَرَنْسا لا ننسى لها نُبْلَها وفضْلَها ؛
أجلْ ، حُبُّها بقلبِنا !
يا لَلدِّما ، وقد جرى سَيْلُها مُدفّقاً على الثرى !
لُبنانُنا ، جبالُهُ تفطَّرتْ ، تصدَّعتْ تحسُّرا !

*

ألا ! فارفعُوا للعُلى رايةً لاحَ فيها أرزُنا ؛
فَيا « ما حلا ! ما حلا ! » أرزُنا رمزُنا ، وعِزُّنا !

٣

لبنانُ ، إنَّا ، في السَّلامْ ، نُكرمُ الضيف الهُمامْ ،
ونرعى حُقوقَ الانام ؛
وإنْ دجا ليلُ الخِصامْ ، نُوردُ الخصمَ الحِمامْ ،
بماضي غِرارِ الحُسامْ !
قلبُنا قُدَّ من صُخورْ ! بطشُنا يُرعِبُ الليثَ الهصور !
إنْ طغى الضدُّ او بغى ، صارَ مطعمَ الوحوشِ والنسورْ !

*

ألا ! فارفعُوا للعُلى رايةً لاحَ فيها أرزُنا !
فَيا « ما حلا ! ما حلا ! » أرزُنا رمزُنا ، وعِزُّنا !

تحسين اللغة العربية

علامات الوقف

بحث لغوي أدبي

علامات الوقف أدِلّةٌ يُستعانُ بها في مساعدة القارئ على القراءة ؛ فهي الكاشفة عن العلاقات المعنوية التي تضمّ الجمل ، واجزاء الجمل ، بعضها الى بعض .

أمّا اختراعها فيُعزى الى « أريستوفان » البيزنطي ، في القرن الثاني قبل المسيح ؛ لكنّ استعمالها لم يتجاوز جُدران المدارس في ذلك الحين .

وفي أواسط القرن السابع للمسيح ، بدأوا يفصلون الجُمل بعضها عن بعض . وفي القرن التاسع بدأ استعمال علامات الوقف ينتشر ، ولكن دون قياس ولا انتظام . وقد عثروا على مخطوطات يرتقي تاريخ كتابتها الى القرن الثالث عشر ، وهي بدون علامات وقف . فلمّا وصل القرن السادس عشر ، زاد انتشارها وأصبح استعمالها عامًّا . لكنّ قواعد هذا الاستعمال استمرّت تتقلّبُ وتتغيّر الى أواسط القرن التاسع عشر ، واذ

ذاك رسخت على أُصولٍ ثابتةٍ ، كما هي في أيّامنا .

وقد أطلقْنا على مجموع هذه الأدلّة ، لقب « علامات الوقف » ، إشارةً الى استحسان وقوف القارئ في القراءة ، عند الفواصل المعنوية التي تدلّ عليها انواع علامات الوقف . وقد أدرك العرب وجود تلك الفواصل المعنوية ، من غير أن يستعملوا تلك العلامات . وكفى شاهداً على صحّة ذلك ، تسكينهم لأواخر الكلمات عند وجود الفواصل المعنوية .

أمّا الذي دعانا لخوض هذا البحث الجديد ، الذي لم يسبقنا أحدٌ الى خوضه ، فهو حبُّنا لهذهِ اللغة العربيّة الكريمة ، التي قضينا نحواً من ٢٥ سنة في خدمتها ، بين تدريس وتأليف و« تحرير » . لكنّ استيعاب البحث عن موضوعٍ جليلٍ ، جديد كهذا ، يتطلّبُ عدّةَ مقالات ، لكنّنا نكتفي الآن بذكر مُعظم ما يرغب القُرّاء في الاطّلاع عليه ، قاسمين الكلام إلى قسمين :

في القسم الأوّل ، نبحث ١ عن فائدة هذهِ العلامات ، على وجه العموم ، ٢ عن فائدتها للّغة العربيّة على وجه الخصوص ، ٣ عن فوائد وضع القواعد لاستعمالها في اللغة العربيّة .

وفي القسم الثاني ، نشير الى ماهيّة هذهِ العلامات ،

وانواعها ، ثم نضع قواعد لاستعمالها ، ونعزّز ذلك بأوضح الامثال .

﴿ القسم الأوّل ﴾

أولًا : فائدة علامات الوقف ، على وجهِ العموم .

إنّ في استعمال علاماتِ الوقف فوائدَ جليلة ، ولولا ذلك ، لما اتّخذتها جميع اللغات الراقية في الآداب ، ولما دخلت ، حتى في بعض اللغات المتأخرة أيضاً ، من مثل التركيّة والفارسية والمالطيّة عينها . وقد اطّلعنا على مجلّة فارسيّة أُنشئت بمدينة « برلين » ، في شهر أيّار الماضي ، واسمها « نامه فرنگستان (١) » ؛ فرأينا فيها علامات الوقف الافرنجيّة . ووقعنا أيضاً على كُتُب ومجلّةٍ مالطيّة قد اتّخذتْ تلك العلامات أيضاً .

فهلْ يجملُ باللُّغةِ العربيّة ، وهي من أفصح لُغاتِ الأرض وأغناها ، أن تبقى متأخّرةً عن الجري في مضمار التقدُّم ؟

نعم ، إنّ بعض المجلات العربيّة ، من مثل مجلة المشرق ومجلّة المقتطف ، والهلال ، قد استعملت علامات الوقف (في بعض مقالاتها) ؛ لكنّ هذا الاستعمال ليس هو مطرّدًا ، ولا

---

١) هذا الحرف الفارسي « گ » يُلفَظ كحرف « الجيم » المصريّة ؛ وحبّذا لو أصطُلح عليهِ في لُغتنا ، تعبيرًا عن حرف « G » الافرنجيّة ، عند تعريب اسماء الاعلام .

جارياً على قواعد ثابتة ، فاننا لم نجدْ في مُعظم ما اطّلعنا عليهِ منها ، علامةَ « القاطعة » (؛ point virgule) ، ورأينا أنّهم كثيراً ما يخطئون في وضع سائر العلامات .

وأمامنا ايضاً بضعة مؤلفات ، من مثل مؤلفات « ميّ » والمنفلوطي ، وكتاب « مُوجَز الاقتصاد » الذي عرّبه عن الافرنسية الشاعران الكبيران ، حافظ بك ابرهيم ، وخليل بك مطران ؛ فهذه الكتب قد أدخل فيها مؤلفوها علاماتِ الوقف ، لكنّها لم تُجعل ، كما سبق القول ، على طريقة علميّة مطّردة ، ولم تُستعمل فيها النقطة (.) عند انتهاء الجملة والانتقال الى السطر التالي .

ولا نعرف بين المطبوعات العربيّة مطبوعاً قد اتّخذ جميع علامات الوقف هذه ، إلّا مجلّةَ « قاب يسوع » التي تُطبَع في المطبعة الكاثوليكية ، ببيروت ، ويديرها الآن الفاضلُ العالِم ، الأب رفائيل نخله اليسوعي (١) .

فهذه العلامات اذن ، لا يزالُ استعمالها في اللغة العربيّة نادرًا ، وليس لها ، كما سبق القول ، قواعدُ ثابتةٌ يُتمشّى عليها ،

---

١) عددُ المشتركين في هذه المجلّة نحوٌ من أربعة آلاف . أمّا الذي أنشأها ، فهو الفاضل النيور ، الاب بشير آجيًا اليسوعي ، وقد قام بإدارتها ، ست سنين ، وكان له في انتشارها فضلٌ عظيم .

بل إنّ بعضها يكاد يكون مجهولًا ، من مثل « القاطعة » ، و « المزدوجين » (« » guillemets) ، والنقطة (.) قبل الانتقال الى السطر التالي .

أمّا الكتابُ العربيُّ الوحيد ، الذي استعمل جميعَ هذهِ العلامات ، فهو كتابُ « درس ومطالعة » ، الذي هو الآن بين يديك ؛ ولا نعرف كتاباً عربياً غيرهُ أدخل جميع علامات الوقف ، حتى في الشعر ايضاً .

ذلك هو السبب الذي حمَلنا على كتابة هذهِ المقالة ؛ فإنّ تأخُّرَ لُغتنا العربيّة عن التكمُّل بهذا الكمال ، يضعُ من قدْرها في عيونِ سائر اللغات الراقية ؛ فضلًا عمّا في اتخاذ هذهِ العلامات من الفوائد الكبيرة العديدة .

*

إنّ فوائد هذهِ العلامات لا تخفى على كلّ ذي بصيرةٍ وبصر . وها نحن نؤيّد ذلك بالبراهين التاريخيّة ، والمنطقيّة ، والاختباريّة ، فنقول :

جاء في التاريخ — كما سبقنا فقلنا — أنّ اللُّغات الراقية قد اتّخذت في الاعصر المتأخّرة ، علاماتِ الوقف ، وذلك رغم ما في اتخاذها لها من ضرورة إعمال الفكر ، ونفقات الطبع . فهذا وحدهُ برهانٌ ساطع على عظيم فائدتها ، وخاصّةً

لأنّ جميع اللُّغات الراقية قد اتّفقتْ على استعمالها لهـا . ونحن نرى أنّ كلّ لُغةٍ بلغتْ درجةً من الرقي كافيـة ، تتوقُ إلى إدخال تلك العلامات في مطبوعاتها ، مِنْ مثـل التركيّة ، والفـارسيّة ، والمـالطيّة ، وبعض الكتب العربيّة ؛ بعكس اللغات المتأخرة أدبياً ، فهذه تجهل تلك العلامات جهلاً تاماً .

وأمامنا ، عدا هذين البرهانين التاريخيين ، برهانٌ منطقي ، وبرهان اختباريّ ايضاً :

فإذا شئنا قراءةَ فصلٍ ما ، بنوع جـليّ واضح ، وجب علينا أن لا نصِل كلّ جملة منه بالأخرى ، بل ينبغي فصـلُ الجُمل ، واجزاء الجملة ، بعضها عن بعض ، بحسب اقتضاء المعنى . نعم ، إنّ الكلام كلّهُ جُملٌ متتابعة ، لكنّ هذهِ الجمل تتضمّن معاني مجتمعة ، أو مفترقة ؛ فعلى القارئ الماهر أن يعرف ذلك ويعلم أنْ ليس كلُّ فصـلٍ ، أي وقفةٍ ، موازياً لغيرهِ ، فإنّ هناك من التفاوت في مُدّة الوقف وأهميّة الفصل ، ما يختلف باختلاف القرائن . فعلاماتُ الوقف هذه ، تدلُّ ، بتنوّعها ، على تنوّع الفصل المنطقي ، بين الجُمـل وبين أجزائهـا ، وتُنبئُ باختلاف الوقف في القراءة .

ذلك هو برهانٌ منطقي لا يُردّ .

امّا البرهان الاختبـاري ، فنكِلُ إليـك أمر تحقّقه :

خُذ ما شئت من الكتب العربيّة الخالية من الحركات وعلامات الوقف ، واقرأ منها صحيفةً ما ، فتجد أنّهُ يستحيل عليك ، مهما كنت متضلّعًا من العربيّة ، أن تقف عند أجزاء الجُمل وُقوفاً يُناسب المعنى ، وأن تصل تلك الاجزاء بحسب الأُصول ، أو أن تفصل ما يجب فصلهُ . وإذا قرأت تلك الصحيفة على أيّ شخص كان ، صعُب عليهِ ، أوّلَ وهلةٍ ، فهمُ جميع ما فيها .

ودونك ، على هذا ، مثلًا قصيرًا يؤيّد رأينا ، وقد أخذناه عن كتابٍ لنا في « فنّ الخطابة » ، لم يُطبع بعد :

« أمّا الوجهُ فلا أدلّ منهُ على ما بالقلب فانه يكشف كلّ شيء وللعينين من دلالةِ الوجهِ تلك الحظّ الأوفى »

فاطلب من عشرة أشخاص أن يقرأوا هذهِ الجملة ، فتجد أنّ أكثرهم يقفون بعد الكلمة « الوجه » فيضيع المعنى ، بل ينتج عن تلك القراءةِ الفاسدةِ ، خطأٌ فاحش ، إذ يضمّون اسم الإشارة « تلك » الى موصوف مُذكّر ، أي « الحظّ » .

وإنّ في كثيرٍ من الجُمل معاني مُبهمة ، لا يُوضحها إلّا استعمالُ علامات الوقف . وإليك مثلًا آخر :

« كتب المطرانُ ديوانهُ خالدًا لإدهاش الأذهان »

فهذهِ العبارة يُمكن تأويلها الى أربعة معانٍ ، بحسب إثبات ، أو إسقاط « الفاصلة » (virgule) ، ثمّ بحسب إثباتها في

موضع دون غيره .

أولاً ، اذا أسقطنا الفاصلة ، كان المعنى : كتب المطران ديوانه ، وهو (اي الديوان) خالدٌ كي يُدهش الاذهان .

ثانياً ، اذا أثبتنا الفاصلة بعد الكلمة « ديوانه » ، يكون المعنى : « كتب المطران ديوانه ، وهو (أي الكاتب) خالدٌ كي يُدهش الأذهان . »

ثالثاً ، إذا أثبتنا الفاصلة بعد الكلمة « خالداً » ، كان المعنى : « كتب المطران ديوانه — وهذا الديوان خالد — بقصد أن يُدهش الأذهان . »

رابعاً ، إذا أثبتنا الفاصلة بعد الكلمة « ديوانه » ، وبعد الكلمة « خالداً » صار المعنى : كتب المطران ، وهو خالدٌ ، ديوانه كي يُدهش الأذهان . »

إيضاح :

١ً في التأويل الأول ، الديوان خالدٌ كي يُدهش الاذهان .

٢ً في التأويل الثاني ، المطران خالدٌ كي يُدهش الاذهان .

٣ً في التأويل الثالث ، الديوان خالدٌ ، والكاتب كتبهُ ليُدهش الأذهان .

٤ً في التأويل الرابع ، المطران خالدٌ ، وقد كتب ليُدهش الأذهان (١ .

بعد هذا المثل ، يُخيَّلُ إلينا أنّ الأدباء لا يبخلون علينا بالإذن في أن نتجرّأ فنُغيّر ذلك التحديد المشهور ، الذي حدّد بهِ البيانيّون « علم البلاغة » بأنّها « هي معرفة الفصل من الفصل » ونقول إنّ البلاغةَ ، كلَّ البلاغة ، في معرفة استعمال علامات الوقف ، وفي إدراك الوقوف المناسب عند كلٍّ منها. فمَنْ علِم هذا العلِم ، تمكّن من ناصيةِ البلاغة واكتشف كثيرًا من أسرارها .

وقد دلّنا تواتر الاختبار ، على الفرق العظيم القائم بين خطيبٍ يسرد جُمل خطابهِ سردًا متتابعًا ، بلا وقف ، أو بوقفات متساوية ، وبين خطيب حاذق يُطيل ، أو يُقصّر

---

١) يُستحسَنُ هنا ذكر تلك الكتابة التي يراها البيروتيّون ، في هذه الأيّام ، على لوحة كبيرة جميلة ، معلّقة في الشوارع ، على أعمدة البرق « التلغراف » ، وهي : « إشتري فورد تربح ذهب الوكلاء الوحيدون شارل قرم وشركاؤه . » فكم من قارىء توقّف عند قراءتهِ « . . . ذهب الوكلاء الوحيدون الخ » فلو أنّ صديقنا التاجر المشهور « شارل قرم » وضع علامة الوقف بعد الكلمة « ذهب » ، لجاء إعلانُهُ أوضح وأجلى ، وخفّفَ عن القرّاء بعض العناء . وقد كان الواجب على المَحَطّاط أن يكتب « إشترِ » بدلًا من « إشتري و « الوُحَداء » بدلًا من « الوحيدين » . . . ولكن ، هي اللُّغةُ العاميّة قد تسلّطتْ على كثيرٍ من الألسنةِ والأقلام ! . . — (راجع الصحيفة ١٥٨ من مقالتنا « حياة اللُّغات وموتها » .

وقفاتهِ بين الجُمل ، وبين أجزائها ، بحسب الفواصل المعنوية . فإنَّ هذهِ الوقفاتِ المبنيَّةَ على معرفة الفواصل المعنويَّة ، والتي تدلّنا عليها علاماتُ الوقف ، هي ، والحقّ يُقال ، روحٌ لكلِّ خطاب ، وأكبرُ معينٍ على الوضوح والجلاء .

ثانياً : فائدة علامات الوقف في اللغة العربيَّة على وجه الخصوص

ممَّا لا يختلف فيهِ اثنان ، أنَّ اللغة العربيّة من أصعب لُغات الأرض قراءةً ، وذلك :

١ لأن حروف هذهِ اللغة ، في الكتب القديمة ، وفي مُعظم الكتُب الحديثة ، وجميعِ الجرائد والمجلَّات ، تكاد تكون خاليةً من الحركات والضوابط التي بها يتقوّم الحرفُ على النُطق به .

وإنَّ الإعراب ، وإن يكن من خصائص اللغات القديمة المتمدّنة ، من مثل العربيّة ، والبابليَّة (الاشوريَّة) واليونانية والسَّنسكريتيَّة ، فهو ، مع ذلك ، يجعل القراءة صعبةً ، إذا كانت الكلماتُ غير مضبوطةٍ بالشكل اللازم .

٢ كَثْرةُ الصِّيَغ التي لا تختلف إلَّا بالحركات ، من مثل : مُرسِل ومُرسَل ، وبسَط وبسْط ، وفضَل وفضْل ، وكَتَب وكُتِب وكَتَب وكُتُب وكُتِب ، الخ .

٣ حركة عين المضارع ، وهذه مما تتعذر معرفتها ، في كثير من الأفعال ، على المتأدبين ، بل على من قضوا حياتهم بين معاجم اللغة !

٤ كثرة الألفاظ في العربية ؛ فإن معجم الاب بلو (Belot) — على إيجازه — يشتمل على نحو من تسعين ألف كلمة ، بينا أنا لا نجد في أحد المعاجم المدرسية الافرنسية ، أيا كان ، أكثر من خمسين ألف لفظة ، ما عدا الأعلام .

نتيجة الكلام أنه لا يجمل بنا أن نزيد في صعوبة القراءة العربية ، بل أن نسعى لتسهيلها ؛ وأفضل وسيلة الى ذلك ، إدخال علامات الوقف على كتابتها .

ودونك أمثلة تبين لك كيف أن تلك العلامات توضح معاني الكلام ، وتسهل القراءة على القارئ .

١ طالع اذا شئت هذه المقالة (١)

٢ حق المعنى الشريف اللفظ الشريف

---

١) خلو هذه الجملة من علامات الوقف ، يلقي عليها ستار الإشكال والغموض ، فلا يدري القارئ وجه إعراب الكلمة (هذه) ، أهي مفعول « لطالع » ، أو مفعول « لشئت » . فاذا أدخلنا « الفاصلة » ، كما ترى فيما بعد ، زال الإشكال ، وعرفت المعنى المقصود ، وعلمت أن الكلمة « هذه » مفعول لطالع ، فيسهل عليك اذ ذاك أن تقف في الموضعين اللذين يجب الوقوف عندهما .

٣ لا تنهَ عن خلقٍ وتأتي مثلهُ
عـارٌ عليك اذا فعلت عظيمُ

٤ ووضع الندى في موضِع السيف بالعُلى
مُضِرٌ كوضع السيف في موضع الندى

٥ غيث وليث فغيث حين تسألهُ
عُرفاً وليثٌ لدى الهيجاء ضرغامُ

فإذا استطعت ، أيُّها القارئُ الكريم ، أن تقرأ هذهِ الأمثلة قِراءةً واضحة ، يكون معنـاها ، الى الذهن ، أسرعَ من لفظها ، الى الآذان ، كان ذلك دليلًا على ذكائك ؛ ولكن ، لا تحسبْ أنَّ قراءة أشباهِ هذهِ الامثلة المذكورة ، هيّنةٌ عـلى كلّ أحد . فلو أدخلنا بينها علامات الوقف ، زال ما فيها من الإشكال ، وسهُلت قراءتها ووضح معناها . فها كها الآن :

١ طالع ، اذا شئت ، هذه المقالة .

٢ حقّ المعنى الشريف ، اللفظ الشريف .

٣ لا تنهَ عن خُلقٍ ، وتأتي مثلهُ ؛
عارٌ عليـك ، إذا فعلت ، عظيمُ .

٤ ووضع الندى في موضع السيف ، بالعلى
مُضِرٌ ، كوضع السيف في موضِع الندى .

ولا بأس أيضاً في إيرادِ مثَلٍ رابع يَزيدك اطّلاعاً على فوائد علامات الوقف ، وضرورةِ إدخالها في كتابتنا العربيّة ؛ وإليك المثل :

« حسْبُ شعراء الجاهليّة فخرًا إجماع أقطاب العربية على تفضيلهم فقد قال ابو عُبيدة أشعر الناس اهل الوَبَر وقال الفرزدق امرؤ القيس أشعر الناس وقال جرير النابغة أشعر الناس وقال الكُميت عمرو بن كلثوم اشعر الناس وأنتم ترون أن جميع هؤلاء من شعراء الجاهلية »

فهل يسهلُ على ايّ كان ، أن يقرأ هذا الكلام ، مجرّدًا من علامة الوقف ، قِراءةً جليّة ، واضحة ، تكشف عن المعاني المقصودة منه ؟ فلو قرأت هذا الكلام نفسهُ ، في « المفاضلة بين الشعراء » ، (الصحيفة ١٤٨ من هذا الكتاب) ، لرأيت علامات الوقف ماثلةً لك بين اجزاء الجُمَل كمصابيحَ تكشف لك عن المعنى أستار الظلام .

وقد رأينا ، في الامثلة التي ضربناها ، أن الشعر نفسه ، لا يستغني عن علامات الوقف ، مع أنّهُ مقسومٌ الى شطرين ، وله وزنٌ يساعدُ على قراءته ؛ ذلك ، لأنْ ليس كلُّ بيتٍ من بيوت القصيدة يكون دائمًا منفصلًا في المعنى ، انفصالًا متساوياً ، عن البيت أو الابيات التي تليه . فانظر في أيّ قصيدة شئت ،

يتضح لك الأمر .

اعتراض مُهِمّ

رُبَّ معترض يقول إنّ في اللغة العربيّة من أدوات العطف ، كالواو وغيرها ، ما يُغنينا عن الالتجاء إلى علامات الوقف الافرنجيَّة ، وإنَّ في اتخاذ هذهِ العلامات في لُغتنا ، ما لا يتَّفق مع أدوات العطف هذه .

فنُجيب إنَّ استعمال العرب لحرف « الواو » عند الابتداء بكلّ جملةٍ ، تقريباً ، سببهُ خلوُّ العربيَّة من علامات الوقف ، وهذا السبب عينهُ نجدهُ في اللغات العبرانية والسريانية واليونانية القديمة واللاتينيَّة ، لأنَّ هذهِ اللُّغات لم يكن فيها علامات وقف . والتاريخ يدلُّنا على أنَّ استعمال هذهِ العلامات قد أبطل استعمال أدوات العطف ، في جميع المواضع التي لا يُحوج المعنى إليها فيها ؛ فاذا اقتدينا باللُّغات الراقية ، وأدخلنا هذهِ العلامات في الكتابة العربيَّة ، أصبحنا في غنًى عن هذه « الواو » في كلّ موضع أمكن الاستغناء عنها فيهِ ، وتركناها « للواويّ أو للواويّين » الذين يُعميهم حبُّ بقاء القديم عن النظر الى كلّ جديد ، ولو بهِ التقدُّم والفلاح !

فنحن هنا أمام أحد أمرين : فإمَّا أن نرفض إدخال علامات الوقف في لغتنا — وهذا نقصٌ عظيم في تكامل الكتابة

العربيَّة – وإمَّا أن نسير سير اللغات الراقية ، فنحذف تلك الأدوات ، حين يُمكن الاستغناء عنها .

ولنا ايضاً على ضرورة حذف أدوات العطف ، براهين قاطعة يضيق بنا المجال عن ذكر جميعها ، فنكتفي منها بذكر ثلاثة :

الأوَّل : إنَّ استعمال أدوات العطف في أوَّل كُلِّ جملةٍ ، كما هي العادة في العربيَّة ، لأمرٌ مشوبٌ بعدَّةِ نقائص : فإنَّ ادوات العطف تجعل أوائل الجمل متساويةً في الرنَّة ، فيثقلُ سمْعها على الآذان . فاذا خلتْ من تلك الأدوات ، تنوَّعتْ رنَّتُها بتنوُّع أصوات مفردات اللغة ...

الثاني : إنَّ ادوات العطف تُثقِّل الجملة أيضاً ؛ لأنَّ اداة العطف أشبهُ بقيدٍ يمنع العبارة عن أن تجري حُرَّةً ، مُطلَقة ، ويجعلها مربوطة أبدًا بالعبارات السابقة ؛ فهي ، في هذهِ الحالة ، أشبهُ بأسيرٍ يرسف في قُيوده . ولا ندري ما جُرم هذهِ اللغةِ الكريمةِ ، الفتَّانة ، حتى نرى رجالها – وهُم أبناء القرن العشرين ، قرنِ الحرِّيَّة – يُصرُّون على إبقائها مُقيَّدةَ العنق واليدين والرجلين ، بينا أنَّ سائر أخواتها ، من اللغات الراقية قد أُطلق وَثاقُها ، فراحت تجري في أرحب ميادين الفلاح .

قلنا إنَّ أدوات العطف تربط الجمل بالجمل السابقة ، ونزيد على هذا ، أنَّ هذا الربط يُزيلُ شطرًا كبيرًا من رشاقتها ونشاطها . ولو قابلنا اللغة العربيَّة بجميع اللغات الأوربيَّة ، حتى المتأخرة منها ، كالرومانيَّة (لغة رومانية) والبلغاريَّة واليونانية الحديثة ، لاتَّضح لنا الفرق أتمَّ الاتضاح . بل لو عارضنا العربيَّة الفصحى بلهجاتها العاميَّة المتعدّدة ، ما وجدنا بين هذه مَنْ تستعمل أدوات العطف في غير مواضع الوصل المنطقي بين الجمل أو بين أجزائها . وإليك مثلًا عن اللهجة العاميّة الشائعة في بلادنا ، أخذناهُ من حكايةٍ نُشِرتْ في نسخة كانون الثاني ، من « رسالة قلب يسوع » السابقة الذكر :

« لمَّا طِلعْ الضوّ ، راحْ يوسف لعند أنطون حتّا يُواعيه . دقّ عَلْباب ؛ ما جاوبو حَدَن . تعجَّب ؛ دقّ تاني مرّه بِكِلّ قوتو ؛ ما حدا ردّ عليه . »

ولو كانت العربيّة القصحى جاريةً على الألسن في الاحاديث ، لطُرحت عنها تلك الأدوات الثقيلة ، لضرورة سرعة الحديث ورشاقته . ولا يخفى أنّ هاتين السرعة والسهولة لازمتان في الكتابة كلزومهما في الحديث . ومن طالع كتاب « الاغاني » وجد أنّ مؤلّفهُ ، أبا الفرج الأصبهاني ، — وهو من أبرع أهل العربيَّة في فنون البلاغة — يُكثر من إسقاط

أدوات العطف ، في جميع المواضع التي يُمكن الاستغناء فيها عنها .

الثالث : إنّ زيادة أداة العطف في كلّ الجُمل ، لا معنى منطقيًّا لها . وقد أثبتنا أنّ أداة العطف كانت تنوب ، في اللغات القديمة ، مناب علامة وقف ، وفي الغالب ، مناب النقطة او الفاصلة (virgule) ؛ فكيف نرضى — مع استعمال علامات الوقف — بخسارة الوقت في كتابتها ، فضلًا عن الخسارة الماديّة ، من ورقٍ وحبرٍ وطبعٍ وتصحيح ؟ ذلك ، وأيم الحقّ ، لا معنى له ، ولا طائلَ فيه ، بلْ كلُّهُ ، كما سبق القول ، ضررٌ وتضييق . وإنّ اللغات الراقية ، بل جميع لُغات الأُمم المتمدّنة ، ما استعملتْ علامات الوقف ، حتى نبذت ، حالًا ، أداة العطف نبذ النواة (١) .

وقد أجلْنا النظر في صحيفة عربيّة ذات عشرين سطرًا ، فرأينا ، في أوّل جُملها ، خمس عشرة أداة عطف ، من واو أو فاء ، وهذهِ الخمس عشرة أداة لا داعي لها ولا معنى في استعمالها . وحسَبْنا فوجدنا ، بحسب ذلك القياس ، أنّ كتاباً

١) يرى القارئ الكريم أنّنا لم نتّبع هذا المبدإ في كتابنا هذا ، لأنّ بين النظريّات وبين تطبيقها ، فرقًا عظيمًا . ولولا حرمة الكتّاب ، والخوفُ من أن يتوهّم البعض أن عبارتنا صارت افرنجيّة الأسلوب ، بسبب حذف هذهِ الواوات أو الفاءات لمشينا من الآن على هذا المبدإ السديد .

يشتملُ على ثلاثمائة صحيفةٍ يحوي من هذا النوع لا أقلَّ من أربعة آلاف وخمسمائة أداة ، وأنَّ هذا المجموع يُساوي خمسةً وسبعين سطرًا ، بحساب ستين حرفًا في السطر ، أي نحوًا من أربع صفحات ؛ وذلك في كتابٍ واحدٍ لا يتجاوز عددُ صفحاتهِ الثلاثمائة . فما رأيك في ألوفِ الكتُب وسائرِ المطبوعات ، من جرائدَ ومجلّات !... فهل في استعمال تلك الأدوات الفضوليَّة فائدةٌ تُعادل تلك الخسارةَ الكبيرة ؟ إذًا ما أشبهَ هذهِ « الواو » بتلك « الزائدة » التي هبَّ أطبّاءُ العصر لمداواتها بالقطع ! ونحن على يقينٍ من أنَّ هذهِ « الواو » الزائدة المثقِّلة على العربيَّة ، يجب أن تُداوى بذلك الدواء نفسه .

ثمَّ هل تنبَّه الأدباءُ ، ورأوا أنَّ الشعر العربيَّ — والشعرُ أرقى أنواع الكتابة في العربيَّة وغيرها — يُكثر من طرح تلك الأدوات ؟ وهذا الطرحُ ، نجدهُ في جميع انواع الشعر ، من العصر الجاهلي الى الآن . ذلك لأن الشعرَ أحوجُ من النثر الى الرشاقة في التعبير ، ولُطف صياغة الجُمل ؛ وما من سبيلٍ الى الجمع بين هذهِ الرشاقة وذاك اللُّطف ، وبين تلك الأدوات الزائدة .

ولا يتوهَّمنَّ البعضُ أنَّ الشاعر يُضطرُّ في النظم إلى

حذف أداة العطف ، فإنّ قصيدة المتنبّي ، مثلاً ، التي بدؤها « على قدْر أهل العزم ، الخ » ، لا يقتضي الوزنُ فيها ، حذفَ الواو أو الفاء في أوائل الشُطور ، فإنّ كُلّ شطرٍ من أشطر الشعر يبتدئ بحرفٍ متحرّكٍ مثلهما (أي الواو والفاء) ، ويؤيّد ذلك كونُ بعض الأبيات في هذهِ القصيدة ، مبتدئة بإحداهما .

وإيضاحاً لذلك ، نُوردُ بضعةَ أبيات منها ، فيرى القارئ صحّةَ ما نقول :

« وقفتَ وما في الموت شكٌّ لواقفٍ
كأنّك في جَفن الرَّدى وهو نائمُ
تمرُّ بك الأبطال كلمى هزيمةً
ووَجهُك وَضّاحٌ وثغرك باسمُ
تجاوزت مقدار الشجاعة والنهى
الى قَول قومٍ انت بالغيبِ عالمُ
ضممت جناحيهم الى القلب ضَمّةً
تموت الخوافي تحتها والقوادمُ
حقرْتَ الرُدينيّاتِ حتى طرحتَها
وحتّى كأنّ السيفَ للرمحِ شاتمُ »

إنّ ابا الطيّب — والحق يُقال — لأكبرُ من أن يُوهِن

مباني شعره ، بإسقاط اداة العطف عن اوائل الابيات التي ذكرنا ، ولاسيّما الثلاثة الاخيرة منها ، إذ ليس فيها ما يمنع الوصل ، كما جاء في علم المعاني ؛ لكنّ شاعر كِندةَ أدرك ما في إسقاط تلك « الواو » من التخفيف عن رؤوس أبياتهِ ، ففعل .

ثالثاً : الفوائد الناتجة من وضع قواعد استعمال
علامات الوقف في اللغة العربيَّة

قلنا ، فيما سبق ، إنّ بعض أدباء العربيَّة في عصرنا ، قد أدخلوا مُعظم علامات الوقف في مؤلَّفاتهم ، لكنَّهم لم يجرُوا ، في استعمالها ، على أُصولٍ ثابتة ، إذ لم يُوضع لها ، الى الآن ، قواعد نظريَّة ولا عمليَّة . لذلك رأينا أن نسدَّ هذا الخلل ، ونضع أهمَّ تلك القواعد . وإننا لأبعدُ من أن ندَّعي العِصمة في عملنا هذا ، ولاسيما لأنّ استعمال هذهِ العلامات في الكتابة العربيَّة ، لا يتَّفق تمام الاتفاق مع استعمال اللغات الافرنجيَّة لها ؛ فإنّ لكلّ لغةٍ مناقب خاصة لا توجد في غيرها ؛ فضلاً عن أنّ تعدُّد أدوات العطف في العربيَّة ، واستعمالَ الكتَّاب لبعضها ، في مواضع هي فيها بغنًى عنها ، يحولان ، ولو في الوقت الحاضر ، دون الوصول إلى إحكام هذا الوضع .

فحسبنا الآن أن نفتح هذا الباب الجديد ، ليدخلهُ من أئمة اللسان ، وفرسان هذا الميدان ، مَن ليس لمثلي في مباراة أصغرهم يدان .

إن الفوائد الناتجة من وضع القواعد لعلامات الوقف في الكتابة العربيَّة ، قسمان : الفوائد الاولى ، باعتبار هذهِ القواعد في حدّ ذاتها ؛ والثانية ، باعتبار الاشخاص الذين يستفيدون منها .

أمَّا الفوائد الأولى ، فلأنَّ تلك القواعد ليست هي ، في جميع الالسنة ، على صورة واحدة . فاللُّغة الاسبانيَّة ، مثلًا ، تضع علامة الاستفهام مقلوبةً ، في أول الجملة الاستفهاميَّة ، وتُعيدها ، بصورتها المعروفة ، في أخر الجملة : مثلًا : ¿Qué est tu nombre ? (ما اسمك ؟) . واليونانيَّة الحديثة تستعمل القاطعة (point virgule) بمعنى علامة الاستفهام ، الخ .

لذلك وجب علينا أن نحدّد قواعد ، لئلَّا يجري كلُّ كاتب عربي على قواعدهِ الخاصَّة ، فيحصل عن ذلك تشوُّش ، تصعب إزالته فيما بعد .

وإنَّ استعمال علامات الوقف غيرُ سهل ، بسبب تعدُّد هذهِ العلامات ، وتنوُّع استعمال كلٍّ منها . وكفى شاهدًا على ذلك ، وَفْرة اغلاط التلاميذ فيهِ ، حتى في الصفوف

العالية ، بكلّ البلاد . ولا يخفى ان كلّ فنٍ دقيق ، صعب ، يستوجب بذل العناية في تعلُّم قواعده .

وأمّا الفوائد الثانية ، فهي مدرسيَّة ، وتجاريَّة ، واجتماعية .

فالفوائد المدرسية تحصل للتلميذ ، إذ تُوجب عليهِ أن يُحلّل جُملهُ تحليلاً منطقياً ، فيصير كأنّهُ يُعرب تلك الجمل إعراباً نحوياً وبيانياً ، ومن ثمّ ، تُعوّده أن يُعبّر عن أفكارهِ بنوع أوضح وأجلى . وهذهِ الفوائد تحصل للمعلّم ايضاً ، إذ تُسهّل عليهِ قِراءة الفروض ، ولاسيّما اذا كان الخطُّ فيها عَكِشاً . وحسبُ الأساتذة أن يختبروا ذلك ، فيروا حقيقة الأمر .

أمّا الفوائد التجاريَّة والاجتماعيَّة ، فتحصل في مطالعة الجرائد والرسائل . ولولا ضيقُ المجال ، لأوردنا للقارئ الكريم بضعة شواهد ، وذكّرناهُ بالمشاكل التي كثيراً ما تعترض القرّاء ، لخلوّ تلك الجرائد والرسائل من علامات الوقف .

قواعد استعمال علامات الوقف

تمهيد

قلنا انّ علامات الوقف لم تكن معروفةً عند العرب ،

فلم يضعوا لها أسماء ؛ ولا بدع في ذلك ، إذ هل يُحتمل أنّ واضع اللغة يضع أسماء لمسمّيات غير موجودة ، ولم تخطر لهُ ببال ؟

ومن المعلوم أنّ اللغويين لا يلجأون الى استعمال «الدخيل» دلالةً على ما يُستحدَثُ من الفنون والصناعات ، إلّا إذا لم يُوجد لهُ في أصل اللغة ما يُرادفهُ ، أو لم يُمكن وضع كلمةٍ لمعناهُ بوجهٍ من وجوهِ المناسبة. فأمّا مع وجود هذا الإمكان ، فالإغضاء عنهُ بخسٌ لحقّ اللغة وضيمٌ لها . وهذهِ لُغتنا بغناها ، وأبوابِ النحت والمجاز فيها ، وطرُق الاصطلاح والاتفاق ، تجعلنا في مَندوحةٍ عن استعمال الألفاظ الأعجميّة للدلالة على ما نحن في صدد الكلام عنه (١) . وهذه الاسماء الجديدة ، متى صقلها الاستعمال تُصبحُ ، ولا يتبادرُ الى الذهن ، عند

---

١) ما أصدق كلام الشاعر المشهور ، حافظ بك ابرهيم ، في قصيدة لهُ على لسان اللغة العربيّة ، حيث يقول :

أنا البحرُ ، في أحشائهِ الدرُّ كامنٌ ؛
فهل ساءلوا الغوّاصَ عن صَدفاتي ؟
فيا ويحكم ! أبلى وتبلى محاسني !
ومنكم ، وإنّ عزّ الدواء ، أساتي ! »

ذكرها ، إلّا الوضعُ الجديد . فلو ذكرتَ الاستعارة ، أو المجاز ، أو النحو ، أو الصرف ، أو البيان ، لانصرف الذهنُ إلى معانيها الجديدة الاصطلاحية ، دون معانيها التي وضعها لها واضعُ اللغة . ولو أنّ العربَ الأوّلين شاهدوا « التلغراف » و « السينما تغراف » و« التلفون » ، ونحو ذلك مما اخترعهُ الافرنج ، لوضعوا له أسماء خاصّةً ناصّة . فإذا ساغ لهم ذلك ، ساغ لنا أيضاً أن نضع أو نصطلح على اسماء تمسُّ الحاجةُ اليها ؛ فهم رجال ، ونحن رجال (١) .

لذلك رأينا أن نتواطأ مع بعض إخواننا الاساتذة ، في كليّة القديس يوسف ، على اتّخاذ هذهِ الكلمات ، وجعلِها أسماء « لعلامات الوقف » التي لم يجر استعمالها في الكتابة العربيّة . وإنّنا لأبعدُ من أن نتفرّد بهذا الاصطلاح ، إذ إنّ لكلّ أديبٍ حقّاً فيه . وها نحن متأهّبون لاستبدال ما اصطلحنا عليهِ ، إذا أتانا أدباء العصر بأفضل منه (٢) .

*

---

١) راجع الجزء الأوّل من « منتخبات الجوائب » ، لفارس الشدياق اللبناني ، وكتاب « مطالع الأضواء » للشيخ سعيد الشرتوني ، ففيهما كلامٌ جذا المعنى .

٢) اليك جدولَ هذه الاسماء التي اصطلحنا عليها : « الفاصلة » ، « الفاطمة » ، « المزدوجان » ، « علامة الهتاف » ، « علامة الاكتفاء » ، « العارضة » .

انواع واسماء علامات الوقف

أوّلًا النقطة (.) ، ثانياً القاطعة (؛) ، ثالثاً الفاصلة (،) ، رابعاً المزدوجان (« ») ، خامساً علامة الاستفهام (؟) ، سادساً علامة الهتاف (!) ، سابعاً علامة الاكتفاء ، وهي ثلاث نقط (...) ، ثامناً النقطتان (:) ، تاسعاً القوسان (( )) ، عاشراً العارضة (—) .

قواعد استعمالها (١)

أوّلًا ، النقطة تُستعمل في آخر جملةٍ (٢) كاملةٍ ومفصولةٍ

١) إنَّ في اللغات الاوربيَّة الراقية ، حتى في اللغة الفرنساوية ، تفاوُتاً عظيماً بين كاتب وكاتب ، في كيفيّة استعمال « علامات الوقف » ، والإكثار أو الإقلال منها . فربّ كاتب يُدخل الفاصلة ، أو القاطعة ، في عبارة ما ، وغيرُهُ يسقطها ، حتى يمكننا الاستدلال من طريقة كلّ كاتب ، في هذا الشأن ، على نفسِهِ الإنشائي .

٢) إنَّ الأوربيين يسمّون مجموع المسند والمسند اليه باسم «proposition» أو بما يماثل هذا الاسم . وبما أن ليس في العربيَّة اسمٌ لهذا المسمّى ، نقترح تسميتهُ باسم « قضيّة » . وهم يُميزون بين القضيّة وبين الجملة الكاملة ؛ وهذه الجملة الكاملة قد تشتمل على عدّة قضايا ؛ ونحن نقترحُ أن نُسمّي ، في هذا المعنى الخاصّ ، باسم « جملة » ، ليس غير . وينحتّم على هذه « الجملة » أن تكون مسبوقةً ومتبوعةً بنقطة ، إلّا اذا وقعت في أوّل الكلام فيُكتفى حينئذٍ بوضع نقطة في ختامها ؛ ويلزم ، عند ذلك ، أن يكون لها معنى كامل سواءٌ عليها تضمّنت قضيّةً واحدةً ، مثلًا : « الشمس طالعةٌ » ، أو قضيّتين فأكثر ، مثلًا :

« تُريدين إدراك المعالي رخيصةً ، ولا بدّ دون الشهد من إبر النّحل » .

وهذه الجملة « الله كاملٌ ، لكنَّ الخلائق ناقصة » تشتمل على قضيّتين : الاولى « الله كامل » ، والثانية « لكنّ الخلائق ناقصة » . ومجموع هاتين القضيّتين يُدعى « جملة » .

فصلاً معنوياً عن الجمل المجاورة ، ولو انتُقل بعدها الى السطر التالي ، مثلاً : في البدء خلق الله السماء والأرض .

ثانياً ، القاطعة تُستعمل بين قضيَّتين ، أو « جملتين » يكاد يكون معنى كلٍّ منها تاماً . وقد يكون موضوع الكلام بين الأولى والثانية متغيِّرًا تغيُّرًا تاماً ، مثلاً : نجحتُ في الامتحان ؛ وإليكَ الطريقةَ التي اتَّبعتُها — العِلمُ مفيدٌ لكلِّ إنسان ؛ هو الذي يدلُّنا على وجود الخالق ، وعلى ما يجبُ علينا له ؛ هو الذي يُضيءُ عقولنا بمصابيح المعارف ؛ هو الذي يُجمِّل حياتنا الخ .

ودونك أيضاً مثلين آخرين :

زعم الفرزدقُ أن سيقتلُ مِربعاً ؛
أبشِرْ بطولِ سلامةٍ يا مِربعُ !
زعم العواذلُ أنني في غَمْرةٍ ؛
صدقوا ، ولكن غمْرتي لا تنجلي !

تنبيه : يجوز للكاتب ، في أمثال هذه العبارات ، أن يُجزِّئَ « الجملة » الى عدَّة « جمل » ، فيفصل الواحدة منها عن الاخرى بنقطة . لكنَّ ضمَّ بعض هذه القضايا إلى بعض ، في جملة واحدة طويلة ، تفصلها القاطعة ، له رنَّة خطابيَّة لا تخفى على ذي السَّمْع السليم .

ثالثاً ، الفاصلة تُستعمل غالباً في جميع المواضع التي يكون فيها فاصل معنوي لا يصحُّ أن تُوضع عنده النقطة أو الفاصلة أو غيرهما من سائر علامات الوقف التي مرَّ ذكرُ استعمالها .

وتُستعمل خاصّةً في المواضع الآتية :

١ للفصل بين أفعال ، أو موصوفات ، أو صفات ، أو بعبارة أخرى ، بين الاجزاء المتجانسة في الجملة ، على شرط ان تكون هذه الاجزاء غير موصولة بأداة عطف . مثلًا : « قام ، قعد ، صاح — بيت كبير ، فسيح ، جميل — شهدَ المحفلَ قوّاد ، ضبّاط ، جنود — تنزّهت في البريّة ، قبل أمسِ ، بصُحبةِ أخي ، على فرسين مُطهّمين .

تنبيه : تُستعمل الفاصلة أيضًا ، اذا كانت الافعال أو الموصوفات ، الخ موصولةً بأداة عطف ، وقُصد لَفْت النظر الى كلٍّ منها ، بنوع أشدّ . مثلًا : « أيّد الخطيبُ موضوعهُ ببراهينَ فلسفيّةٍ ، وتاريخيّةٍ ، واجتماعيةٍ ، واختباريّة . »

٢ قبلَ وبعد مجموع أداة النداء والمنادى ، مثلًا : أنت ، يا صاح ، على غيرِ هدًى .

٣ قبل الجملة الحاليّة : لا تجلس على الطعام ، وأنت شبعان . سافر الرسول ، وقد طلع الفجر .

٤ قبل وبعد بدل ، أو عطف بيان ، يليه صفةٌ أو مضاف اليه ، أو ما هو أطول من ذلك : في أيام الأمير بشير ، حاكم لبنان ، ساد الأمن والعدلُ في أنحاء الجبل — زارني فلان ، جابرُ العثرات .

أمّا في أشباه هذين المثلين : « جاء صاحبك يوسف — سافر خالدٌ أخوك » فلا تُستعمل الفاصلة ، لأنّ البدل وعطف

البيان لا يليهما صفةٌ ، ولا مضاف اليه ، ولا ما هو أطول من ذلك ، كما سبقت الإشارة .

٥ قبل الجملة الموصولية (التي أولها اسم موصول) ، اذا كانت إيضاحيَّة لصاحب الموصول ، (أي اذا كان معنى الكلام يتمُّ عند الوقوف قبلها) . أمَّا اذا كانت هذهِ الجملة معيِّنةً لصاحب الموصول ، فيُستغنى اذ ذاك عن الفاصلة ، مثلًا : جاء الشابُّ الذي تعرفه (مُعيِّنة) . واذا تقدَّم الكلام عن باريس ، مثلًا ، وقلت : « أودُّ أن أزور تلك المدينة الشهيرة ، التي طالما وصف جمالها الواصفون » ، وجب وضع الفاصلة قبل اسم الموصول ، كما ترى .

٦ وتُستعمل الفاصلة في الغالب ، بين القضايا التي تتألَّفُ منها جملةٌ واحدة ، إلَّا اذا كانت القضيَّةُ جملةً موصوليَّة معيِّنة ، كما سبقت الإشارة . ولا يُستثنى من هذهِ القاعدة إلَّا بعض مواضع يلزم فيها استعمالُ القاطعة أو النقطتين أو غيرهما ؛ (راجع سائر القواعد) .

ومن تطبيقات هذهِ القاعدة السادسة ، وجوبُ استعمال الفاصلة في جواب أدوات الشرط ، أو ما هو بمعناها ، مثلًا : مَنْ قرَعَ البابَ وَلَجَ ، ولِج — كيفما تتوجَّهْ ، أتوجَّهْ — أنَّى يذهبْ صاحبُ المال ، يُكرمْ — لولا المشقَّةُ ، ساد الناسُ

كلّهم .

ولو أنّ برغوثاً ، على ظَهرِ نملةٍ ،
يكرُّ على صَفَّيْ تميمٍ ، لَولّتِ !
ولولا كثرةُ الباكين حولي
على إخوانهم ، لَقتلتُ نفسي !

٧ بعد المعمول الظرفي (١) (compl. circonstantiel) ، اذا كان طويلًا وسبق الفعل . فقولنا ، مثلًا : منذ عامين شهدت

---

١) نقترح الاصطلاح على هذه الكلمة « المعمول الظرفي » ، دلالةً على ما يسمّيه الاوربيون compl. circonstantiel ، أو ما يماثل هذا الاسم في لغاتهم العديدة . وهذا المعمول الظرفي ، هو جزء من الجملة ، لا فعل فيه ، يُتمّم معنى الفعل السابق ، أو اللاحق ، بدلالته على ظرف مرافق لذلك الفعل ، من مثل الزمان ، أو المكان ، أو الواسطة ، أو الغاية ، او الشبه ، الخ . مثلًا : فعلتُ ذلك من اجلك . وبتعبير آخر ، هو جزء من الجملة ، متمّم لمعنى الفعل ، وليس هو مفعولًا به ، ولا مفعولًا مطلقاً ، ولا مفعولًا بالواسطة (complément indirect) . أمّا هذا « المفعول بالواسطة » فهو ما لا يَتمُّ معنى الفعل إلّا به ، وكان مسبوقاً بحرف جرّ ، مثلًا : خصّ بواجبه - رغب في العلم - مال الى التجارة .

وفي « النحو » العربي ما يدلُّ على اختلاف انواع « المعمول الظرفي » ، وهو :

١ المفعول لاجله ، مثلًا : وقفت إجلالًا للأمير .

٢ المفعول معه ، مثلًا : سافرت وزيدًا .

٣ الحال المفردة ، مثلًا : عاد الجيش ظافرًا .

على أنّ المُعجم العربي في حاجة ماسّة الى كلمة تشمل بمعناها جميع هذه الانواع التي مثّلنا عليها هنا ، بل على جميع المفاعيل الدالّة على أيّ ظرف كان ، لا بالمعنى النحوي ، بل بمعنى قرائن الفعل أيّةً كانت ؛ وإنّ الآلة والحال ، الخ داخلتان في هذا الاشتمال .

هذا المشهد » لا يحتاج الى فاصلة ، لقصر المعمول الظرفي .
أمّا هذان المثلان : « منذ تلك الحوادث الأليمة ، لم أعُدْ أفكّرُ في أمثال هذهِ الأمور — من أجل غاية سامية ، أنشئ هذا العمل » ، فيحتاجان الى فاصلة ، كما رأيت .

٨ بعد المعمول الظرفي الطويل ، اذا هو توسّط بين الفعل والفاعل ، أو بين الفعل والمفعول بهِ ، مثلًا : حدث في تلك الساعة الهائلة ، أن وصلت أمُّ القتيل — رأيت في تلك الحديقة المجاورة لدارنا ، رجلًا يترصّد .

٩ لِلَفْت نظر القارئ الى كلمة تكون مبتدأ ، مثلًا : الحكيم ، يُؤثر المفيد على المستحَبّ .

تنبيه : الاوربيون عمومًا ، لا يستعملون الفاصلة في هذا الموضع لاستغنائهم عنها بحرف خاصّ تُطبَعُ بهِ أمثال هذهِ الكلمة التي يُقصد لَفْتُ النظر اليها ؛ من مثل الحروف التي يسمّيها الفرنسيّون « italiques » . أمّا نحن ، فقد وضعنا القاعدة السابقة الذكر ، لصعوبة الجري على عادة الافرنج . وفي هذهِ الملاحظة شاهدٌ كافٍ على أنّنا لم نَسِرْ على قواعد علامات الوقف عند الافرنج ، سيرًا أعمى ، بل قد تصرّفنا فيها تصرّفًا مصحوبًا بالفطنة والتروّي ، سالكين سُبُل المنطق ، مطابقين إيّاها على لغتنا العزيزة ، أتمّ مُطابَقة .

رابعًا ، المزدوجان . راجع القاعدة الاولى لاستعمال النقطتين ، وزِدْ عليها هذهِ القاعدة الثانية ، وهي : يُستعمل المزدوجان قبل وبعد كلمةٍ أعجميّة يستغربها القارئ ، أو قبل وبعد كلمةٍ أيّةً كانت ، يُرادُ لَفْتُ النظر إليها ، مثلًا :

سافر التاجر المشهور ، نعوم أبو راشد ، إلى « درسدن » ورجع ببضائع غاية في الجودة — لا تخاطبني بلقب « أمير » ، بل بلقب « صديق » !

تنبيه : إنَّ الاوربيين ، إذا قصدوا لفت النظر الى كلمة ما ، يستغنون عن المزدوجين ، ويكتبون هذه الكلمة بأحرف خاصة تُسمَّى عند الفرنسيين « italiques » ، كما سبق الكلام .

خامساً ، علامة الاستفهام تُستعمل في ختام « الجملة » الاستفهامية ، ولو كان الاستفهام بمعنى التهكُّم أو التعجُّب أو التقرير أو الاستبعاد ، الخ . مثلاً : أمُسلِمٌ أنت بالحجَّة ، أم منكر ؟ — أوَصايا اللهِ تأمرك أن تأكل حقوقنا ؟ — ما لأبناء هذا الوطن لا يتَّحدون ؟ — أفي اللهِ شكٌّ ؟ (أي لا شكَّ فيه ، وهو للتقرير) — كيف يكون هذا ، وأنا لا أعرفُ رجلاً ؟ (للاستبعاد) .

تنبيه : في بعض المواضع يُستحبُّ وضع علامة الهُتاف بعد علامة الاستفهام ، ويُقصد بذلك تشديد معنى التعجُّب أو التهكُّم ، مثلاً : أمجنون أنت ، فتُنكر وجودَ الله ؟ ! — أأنت تدّعي استيعابَ علمِ الموسيقى ؟ !

سادساً ، علامة الهُتاف تُستعمل ١ في ختام كلّ جملة تُعبّر ، أو تَصدرُ عن عاطفةٍ شديدة ، أيَّةً كانت ، مثلاً : ما أجملَ السماء ! (تُعبّر عن عاطفة شديدة) . — نابليون رجلٌ عظيم ! (صادرة عن عاطفة شديدة مُضمَرة) .

٢ بعد حرف الهتاف ، من مثل : آه ، أوّاه ، وما جرى مجرى ذلك ، من مثل : « لله » ، ويلك ، الخ . مثلاً : لله ! ما أفصحه ! — ويلكَ ! ماذا فعلت !

تنبيه : قد رأيت في المثلين الأخيرين ضرورة إثبات علامة الهتاف في آخر الجملة أيضاً ، بحسب القاعدة السابقة .

سابعاً ، علامات الاكتفاء تُستعمل ١ في آخر جملةٍ ناقصة نحوياً (أي غير كاملة المعنى والتركيب) . والغايةُ من هذا النقصان ، الإلماحُ إلى أشياء يطولُ ذكرُها ، ويحول دون التعبير عنها حائل ، الخ . مثلاً :

لقد حضرنا جميعاً ؛ فإن حضرتَ ، وإلّا ...

٢ في آخر جملةٍ كاملةٍ نحوياً ، وذلك إشارةً إلى تتمّة لها ، يسهلُ على اللبيب تقديرُها ، مثلاً :

أمسرور أنا بحالي ؟ ... أعلى تقدُّم أنا ، أم على تأخُّر ؟ ... يا عام ، مضيتَ وتركتَ في القلب حسرة ! ... (راجع في هذا الكتاب مقالة « نشيد المساء » الصحيفة ٩ ، فقد كثُر فيها وُرودُ علامة الاكتفاء) .

تنبيه : يجوز استعمال علامة الاكتفاء بعد علامة الاستفهام ، أو الهتاف ، كما رأيت .

ثامناً ، النقطتان تُستعملان ١ قبل سرْد قول شخصٍ ما ؛

وحينئذٍ يُجعل هذا القول بين مزدوجين ، وتوضع علامة الوقف المناسبة ، قبل المزدوج الثاني ، مثلًا : قال نابوليون لبعضهم : « يا صاح ، أنا أعرف الناس ، وأُحقِّقُ لك أن يسوع المسيح ليس هو رجلًا كسائر الرجال . » — صاحتِ الجيوش قائلة : « دَمُنا في سبيل الوطن ! »

تنبيه : إذا كان القول الذي تسردهُ ، موصولًا بفعل سابق بواسطة « إنَّ » أو « أنَّ » ، استُغني ، إذ ذاك ، عن النقطتين ، مثلًا : قال الكافر إنَّ اللهَ غيرُ موجود — أخبَرني أنه مؤيِّدٌ لذاك المبدإ السامي .

٢ قبل تعديدٍ لم يُوصل أوَّلهُ بما سبق من الجملة ، مثلًا : اشتريت دواوين شعر مشهورة : ديوان شوقي ، وحافظ ، والمطران ، والرصافي ، الخ .

أمَّا في المثل الآتي ، فيستغنى عن « النقطتين » ، لأنَّ أوَّل التعديد موصولٌ بما سبق من الكلام ، كقولنا : مِنْ بلادِ أوربة ، فرنسة والمانية وانكلترة ، الخ.

٣ قبل قضيَّةٍ ، أو جزء جملةٍ ، يقوم مقام بدلٍ ، أو شرحٍ لما سبق ، مثلًا : عرَّب سليمانُ البستاني إلياذة هوميروس : عملٌ يقتضي علما وجهدًا ! (ومعنى ذلك أن تعريب البستاني عملٌ ، الخ .)

تاسعاً ، القوسان ، يُستعملان للإحاطة بكلمةٍ أو اكثر ، تكون غيرَ داخلةٍ في جوهر الكلام ، بل بمثابةِ شرحٍ لبعض

أجزائهِ ، مثلاً : جلستُ الى المِرفع (الطاولة) — للفيروزابادي قاموس (مُعجمٌ) أشهرُ من نارٍ على علَم .

عاشراً ، العارضة تستعملُ ١ قبل وبعد جملة معترضة بين كلمتين متلازمتين ، كالموصوف والصفة ، والفعل ومرفوعه ، والفعل ومنصوبه ، والمبتدا والخبر ، أو بين اسم ناسخٍ وخبره ، الخ . مثلاً : إنَّهُ لَقسمٌ — لو تعلمون — عظيم .

وقد أدركتني — والحوادثُ جَمَّةٌ —

أسنَّةُ قومٍ لا خِفافٍ ، ولا عُزْل .

مولانا — رحمه الله — كان عادلاً .

إنَّ الثمانين — وبُلِّغتَها —

قد أحوجتْ سمعي الى ترجُمان .

٢ تستعملُ للدلالة على تغيُّرِ المتكلّم في المحادثة ، مثلاً :

— كيف حالك ؟

— بخير ، وانت ؟

انتهى الجزء الأوّل ، وسيليهِ الجزء الثاني .

والحمدُ لمن لا ينتهي ، وهو الوليُّ الدائم !

فهرس أوّل

بحسب موادّ الكتاب

	الصحيفة
المقدمة	٣
الزمان	٥
نشيد المساء	٩
بين العامين	١٥
لولو والعم بوشي	١٧
سلّة العيد	٣١
الى الأغنياء	٣٣
مشاجرة مدرسية	٣٧
المعبد والملهى	٤٠
هدايا الميلاد	٤٣
البلبل والرئيس	٥٦
أقطري ايتها السماوات	٥٧
مائة سنة في يوم واحد	٥٩
رثاء الرامي	٦٧
آفة الازياء	٦٩
يوم الاستقبال	٧٥
أيضاً يوم الاستقبال	٧٧

	الصحيفة
في جوف الليل	٧٩
عرفان الجميل	٨٢
ايها الفتى	٨٤
اسرار المحبة	٨٧
يا بني الوطن	٩٤
في بكركي	٩٩
الحقة السرية	١٠٤
الفتى والمطالعة	١١٢
داء القمار	١١٦
تحت العصابة	١٢٢
أين انا ؟	١٢٥
اخبار المقامرين	١٢٨
قبلَ رفع الستار	١٣١
المفاضلة بين الشعراء	١٣٣
وانت هل تصوم ؟...	١٦١
لتحيَ الوطنية !	١٦٥
تاريخ زواج	١٦٧
إقرئي يا فتاة	١٦٨
الى اين نحن صائرون ؟	١٧١
نشيد المدارس الدينية	١٧٣
الآداب اللبنانية	١٧٤
انين الجياع	١٧٧

الصحيفة

يا ناس ! ١٨٠
البلبل والشعراء ١٨٢
حياة اللغات وموتها (اللغة العامية) ١٨٥
تاريخ زفاف ٢١٣
يوم لبنان الكبير ٢١٥
النشيد الوطني ٢٢٠
تحسين اللغة العربية (علامات الوقف) ٢٢٢

فهرس ثان

بحسب مواضيع الكتاب

المقدمة ٣

﴿ الروايات الادبية ﴾

لولو والعم بوشي ١٧
مائة سنة في يوم واحد ! ٥٩
في جوف الليل ٧٩
اسرار المحبة ٨٧
الحُقَّة السرّية ١٠٤
تحت العِصابة ١٢٢
لتحيَ الوطنيَّة ! ١٦٥

الصحيفة

الى أين نحن صائرون ؟ ١٦٩
يا ناس ! ١٨٠

﴿ المقالات الاجتماعية ﴾

الزمان ٥
نشيد المساء ٩
سلّة العيد ٣١
الى الاغنياء ٣٣
المعبد والملهى ٤٠
آفة الازياء ٦٩
يوم الاستقبال ٧٥
ايضاً يوم الاستقبال ٧٧
ايها الفتى ٨٤
يا بني الوطن ٩٤
الفتى والمطالعة ١١٢
داء القمار ١١٦
أين انا ؟ ١٢٥
اخبار المقامرين ١٢٨
الآداب اللبنانية ١٧٤
حياة اللغات وموتها (اللغة العاميّة) ١٨٥
تحسين اللغة العربيّة (علامات الوقف) ٢٢٢

الصحيفة

﴿ الحفلات المدرسيَّة ﴾

مشاجرة مدرسيَّة ٣٧
هدايا الميلاد ٤٣
المفاضلة بين الشعراء ١٣٣

﴿ الصفحات الشعرية ﴾

بين العامين ١٥
البلبل والرئيس ٥٦
اقطري ايتها السماوات ٥٧
رثاء الوامي ٦٧
عرفان الجميل ٨٢
في بكركي ٩٩
قبل رفع الستار ١٣١
وانت هل تصوم؟ ١٦١
تاريخ زواج ١٦٧
إقرئي يا فتاة ١٦٨
نشيد المدارس الدينيّة ١٧٣
أنين الجياع ١٧٧
البلبل والشعراء ١٨٢
تاريخ زفاف ٢١٣
يوم لبنان الكبير ٢١٥
النشيد الوطني ٢٢٠

﴿ الشذرات الفكاهيَّة ﴾

لُطف وذكاء ٨ * هل تُريد أن تضحك ؟ ٦٥، ٦٦ * في القِطار ٧٨ * خَرقٌ حاذق ٧٨ * في الطريق ١٠٣ * لُعبةٌ لطيفة ١١٥ * هل عندكِ خادمة ؟ ١١٥ * ذكاء طفل ١٢١ * في المطبخ ١٢٤ * صاحبة فُندق ١٢٧ * أعمى مداهن ١٣٠ * جواب طفل ١٦٤ * رجلٌ وامرأته ، براعة الذمّ ١٨١

﴿ الحِكَم والعِبَر ﴾

جوابٌ محكم ١٤ * ما نَفعُ الكهنة ؟ ٣٦ * والد يعظ ولده ٣٩ * رَسالةٌ مسيحة ٤٢ * أيُّهما اسرع ؟ ٧٤ * جوابٌ لطيف ٧٨ * الغضب ١٢١ * نصيحة ١٣٢ * اللغة ١٦٧ * علم الحياة ١٧٢ * خواطر ١٧٠، ١٧٦ * الاغنياء ويوم الحساب ١٧٩ * بدون عنوان ١٨٤ * كلام الحكماء ٢١٩

جدول

أسماء الاعلام والكتب والبلدان ، التي ورد ذكرُها في هذا الكتاب

* ا * ابو تمّام ١٣٣
ابو راشد (نعوم) ٢٥٢
ابو العتاهية ١٣٣
ابو العلاء المعرّي ١٣٣
أبو فراس ١٣٣
آجيًا (الاب بشير اليسوعي) ٢٢٥
أخرس (المطران نخائيل) ٢٠٨
أخويّة الامّ الحزينة ٤٠
ادّه (اميل) ٢١٦
الارز ٢١٦
أرسطو ١١٦
ارسلان (الامير توفيق) ٢١٦
اريستوفان ٢٢٢
الأشقر (الاب بولس) ٢٢٠
أصفر (جورج) ١٣٣
أعشى قيس ١٣٣
امرؤ القيس ١٣٣
« اوريبياد » ١٨٦
إيليًا (فرنسيس) ٣٧
ايّوب (شكري) ١٣٣
ايطالية ١٩٠
* ب * باريس ٤٢، ٨٨
باز (انطون) ١٣٣
البحتري ١٣٣
البستاني (سليمان) ٢٥٤
البستاني (الشيخ عبدالله) ٢٠٨
بصبوص (المطران بولس) ١٠٠
بكركي ٩٩
بلو (الاب بلو اليسوعي) ٢٣٢
بيروت ٢١٨
بيوس العاشر ٨١
* ت * تامستُكل ١٨٦
تباريس ٤١
الترك ١٩٩
تركيّة ١٩٠
تونس ١٩٦
* ج * جريدة البشير ٧٧، ٩٥
الجزائر ١٩٦
الجزائري (الامير سعيد) ٨٢
جعجع (الخوري اغناطيوس) ٢٠٨
الجميّل (الشيخ امين) ٢٠٨
الجميّل (الشيخ يوسف) ٢١٦
جورج الأوّل (ملك انكلترة) ١٢٧
جيانيني (السيّد فريديانو ، القاصد الرسولي) ١٠١
* ح * حافظ بك ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٤٤

حبيب (الاب انطون) ٢٠٨
الحوّيك (البطريرك الياس) ١٩٣، ٢٠٨، ٢١٧
* خ * خوري (المطران عبدالله) ٢٠٨، ٢١٦
* د * دريان (المطران يوسف) ٩٩
دمشق ١٦١
* ر * الراعي (راجي) ٢١١
الرّامي (يوسف بك) ٦٧
راهبات السجود ٤٠
راهبات المحبة ٨٧
راهبات دور المُجَنَّز ١٢٢
رزق (انطون) ١٣٣
رومانية ١٨٨
رياق ١٦١
ريشا (المونسنيور الياس) ٢٠٨
* ز * زهير بن أبي سُلمى ١٣٣
* س * سورية ١٩٠، ١٩٦
* ش * شبلي (المطران بطرس) ٩٩
الشدياق (فارس) ٢٤٥
الشرتوني (الشيخ سعيد) ٢٠٢، ٢٤٥
الشمالي (المطران بشاره) ٢٠٨
شهاب (الامير لويس) ١٣٣
شوقي بك (شاعر مصر) ١٨٩
* ص * الصالومه ٦٧
صائغ (شكري) ١٣٣
صحناوي (يوسف) ١٣٣
الصلح (عادل) ١٣٣
الصلح (كاظم) ١٣٣
صقر (المطران يوسف) ١٠٠
الصين ١٩٠
الصينيين ١٩٩
* ط * طبّاره (شفيق) ١٣٣
طعمه (الخوري بولس) ٢٠٨
* ع * عبد الحميد (السلطان) ١١٦
عقل (المطران بولس) ٢٠٨
عقل (ألبر) ٣٧
عمرو بن كلثوم ١٣٣
عنترة بن شدّاد ١٣٣
* غ * غصن (اسعد نخله) ٢١٣
غصن (يوسف نخله) ١٦٧
غورو (الجنرال) ٢١٧
* ف * فرزان (الاستاذ بشاره) ٢٢٠
الفُرْس ١٩٩
فرنسة ٢٢٠
الغنالي (المطران بطرس) ٢٠٨
« في مثلو هلكتاب ؟ » ٢١٢
* ق * قاسم أمين ٢٠٤
قرم (شارل) ٢٣٠
قلب يسوع (مجلة) ٢٢٥، ٢٣٧
كسبار (الشيخ ألبر) ١٣٣
* ل * لبنان الكبير ١٢٦، ١٧٤، ١٩٠، ٢١٥
* م * مبارك (المطران اغناطيوس) ١٠٢، ٢٠٨
مبارك (المونسنيور بطرس) ٢٠٨
مبارك (الاب يوسف) ٢٠٨
المتنبّي ١٣٣
المجلس النيابي اللبناني ١٢٥، ١٨٠
مجموعة « Hartleben » ٢١٠

« The Gospel many tongues » مجموعة ٢٠٨
مراكش ١٩٦
مصر ١٩٦
مطالع الاضواء (كتاب) ٢٠٢
مطران (خليل بك) ٢٢٥، ٢٢٩
مظفّر باشا (متصرّف جبل لبنان) ١١٧
مغيب (المطران كيرللس ٢١٦
مُوجَز الاقتصاد (كتاب) ٢٢٥
« مونتيه كارلو » ١١٨
«مي» (ماري زياده) ٢٢٥
* ن * النابغة الذبياني ١٣٣
نابوليون (بونابرت) ١١٦
نامه فرنكستان (مجلة) ٢٢٤
نخله (الاب رفائيل اليسوعي) ٢٢٥
نخله (رشيد بك) ٢٠٢
نروج ١٩٠
* ه * هنديه (بولس) ١٣٣
* ي * يازجي (الشيخ ناصيف) ٣٤
يوسف (كلّية القديس) ٣
اليونان ١٩٠

إصلاح خطإ وقع في بعض النُّسخ

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
٢٠	١٧	كعينكِ	كعينيكِ
٣٨	٥	أَلا	إلّا
٤٧	٤	مزمير	مزامير
٨٨	١٦	والتحفتْ لا برداء	والتحفت برداء لها
٩٦	٢	أيَّ	أيِّ
١٣١	١٦	ستبغي	ستبغني
١٤٧	٧	تأنق	تأنّق
١٤٧	٨	الذلَّ	الذلِّ
١٤٨	٤	بيتُ	بيتٌ
١٥٩	١١	حكمُ	حكمَ

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
١٦٧	٧	منبيء	مُنبيء
١٧٥	١٧	يربأاو	يربأوا
١٨٨	١٢	فإنّ هذه	والحالُ أنّ هذه
١٨٨	١٣	وإنّ	وأنّ
١٨٩	١٧	بالغة	باللُّغة
١٩١	١١	المَرافق	المُرافق
١٩٢	٢و٤	موضة . بوسطة . طاولة	موضه . بوسطه . طاولهِ
٢١١	١٦	الوطن	البرق
٢٢٥	١٨	ست	خمس

اصلاح خطأ وقع في طبع علامات الوقف

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
٦	١٠	وإنسان ...	وإنسان !...
١٤	٦	صادف احد الكهنة،	بدون فاصلة
٢٠	٩	ماتوا ، عيد	بدون فاصلة
٢٤	٥	لم تكن ، تظنّ	بدون فاصلة
٧٤	٥	الافاضل	الافاضل ،
٨٦	١٠	النشيط	النشيط ،
٩٤	٢	قرأت ، في	بدون فاصلة
١١٧	٢	، بعد ذلك	، بعد ذلك ،
١١٧	١٨	في المساء	، في المساء ،

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
١١٨	٤	يعتاض ،	بدون فاصلة
١٤٦	٦	العباسيّ	العباسيّ :
١٤٧	٦	لهم	لهم ،
١٨٦	١	« أوريبياد »	« أوريبياد » ،
»	»	اليونان	اليونان ،
»	٢	يضربهُ	يضربهُ ،
١٨٩	٨	البديع	البديع ،
»	١١	اتساعه ،	، اتساعه ،
١٩١	١١	« قاموس »	(قاموس)
١٩٦	٥	الاغتناء	الاغتناء ،
١٩٢	١١	(valse)	(valse) ،
٢٢٥	٤	« مي	« مي »

ذكرنا ، خطأً ، في حاشية الصحيفة ٢١٢ أننا نشر قواعد كتاب اللغة العامّية في مؤلفنا « في مثلو هَلْكتاب ؟ » ، والصواب أننا نشرناها في كتابنا « حياة اللُّغات وموتها » .

جدول

مؤلفات الخوري مارون غصن

درسٌ ومُطالعة

٢٧٢ صحيفة ، ثمن النسخة ٤٠ غرشاً ، لكنها تباعُ في شهريْ كـ٢ وشباط ، من هذا العام ، بثلاثين غرشاً ، فقط .

بستان السلوى

١٤٣ صحيفة ، ثمن النسخة ١٢ غرشاً سورياً

هذا كتابٌ يشتمل على ٨ روايات لذيذة ، نشرناها تباعاً في جريدة البشير ، وكان الاقبال على مطالعتها عظيماً . والكتاب مصدَّرٌ بمقدَّمةٍ شرحنا فيها الاضرار الناتجة من مطالعة الكتب السيئة .

إنَّ هذا لسرٌّ عظيم !

١٢ صحيفة ، ثمن النسخة ٨ غروش

هذا خطاب في قداسة سرّ الزواج ، وهو مكتوبٌ باسلوب شائق ، يدفع المسيحيين الى احترام هذا السرّ السامي ، ويُرشد المتزوجين إلى هَناء العيشة الزوجية ، وإحكام تربية البنين . ولم يبقَ من هذا الكراس الّا عددٌ قليل .

عجائب العناية الالهية

١٦ صحيفة ، ثمن النسخة ١٠ غروش سورية

هذا الكرّاس يشتمل على حياة الطوباوي « كوتلنكو » ، وهي ملأى من الشواهد العجيبة ، الدالة على عجائب العناية الالهية . والكرّاس مزدان برسم هذا الطوباوي وبرسم غبطة السيد الياس الحويك ، المطريرك اللبناني الكبير .

الزواج

السباقات العشرة

١٧٥ صحيفة ، ثمن النسخة ٣٠ غرشاً سورياً

بتاريخ ٣٠ ك ٢ سنة ١٩٢٤ اقترحنا على الكتاب الافاضل سباقاً ، موضوعه :

اولاً : ما هي الموانع التي تعوق شبان العصر عن الزواج ،

ثانياً : ما هي الوسائل الى ازالة تلك العوائق .

فنال هذا الاقتراحُ استحسان الرؤساء وقادة الرأي العام ، وتبارى فيهِ افاضل الكتاب ، فوردت علينا ٨٨ مقالةً عامرة .

ثم ألّفنا لجنةً فاحصة ، من خيرة ابناء الوطن : نجيب بك قباني ، نائب رئيس محكمة التمييز ، المشهور بعلمهِ وفضلهِ ، والعالم الفاضل ، الخوري بطرس غالب ، والقانوني الشهير انطون بك شحيبر ، محامي حكومة لبنان الكبير ، والطبيب النطاسي الفاضل ، الشيخ امين الجميّل .

وبعد الفحص والتدقيق اخترنا من مجموع هذه السباقات عشر مقالات ونشرناها في كتابٍ مستقلّ ، وصدّرناها بمحاضرة لنا ، في هذا الموضوع الخطير ، فجاء مؤلّفاً نفيساً ، لا يستغني شبّان وشابات العصر عن مطالعتهِ .

الزواج

محاضرة تقع في ٢٣ صحيفة ، ثمن النسخة ١٠ غروش

هذه المحاضرة نشرناها في كتاب « الزواج – السباقات العشرة » وطبعناها على حدة ؛ وفيها من البراهين الفلسفية والاجتماعية ، ما يدفع شبان العصر الى الزواج في السنّ الموافق . وقد أفضنا في ذكر المغبّات السيئة ، التي تنتج من الزواج السيّئ المقدّمات ، ومن الزواج الذي ليس فيه بين العروسين تناسب ؛ ثم شرحنا النتائج المقدّسة التي تنتج من الزواج المعقود بروح الرصانة والدين . وقد امتدح هذه المحاضرة غبطةُ البطريرك ، السيد الياس الحويّك ، ونيافة القاصد الرسولي ، فريديانو جيانيني ، فنحضُّ شبان العصر وشاباته ، على مطالعتها والاستفادة منها .

في مثلو هلْكتاب ؟

الجزء الاول (باشرنا طبعهُ)

٦٤ صحيفة ، ثمن النسخة ١٠ غروش ، فقط !

هذا المؤلَّف مكتوبٌ باللغة العامّية ، وهو يشتمل ١ على مناظرة بين اللغة العربية الفصيحة ، والعربية العامّية ، بأسلوب علميّ ، اجتماعي ، فكاهي . ٢ على رواية شائقة ، موضوعها عظةٌ يُلقيها احد كهنة الرعايا ، قبل عيد الفصح ، ٣ على فكاهات هزلية ، وقصص حكمية ، ٤ على بعض الاختراعات الحديثة ، ٥ على وصفات وأدوية لا يستغني عنها أرباب البيوت ، ٦ على أُحجيّات (حزازير) حسابيّة وفكاهية ، ٧ على أناشيد وطنية ، بينها نشيدٌ للُّغة العامّية .

اما غايتنا من هذا الكتاب ، فهي أن نبرهن للخاصة والعامة على

جمال وبهاء اللغة العامّية ، و إمكان التعبير بها عن مختلف العلوم والاداب ، بصورةٍ تلذُّ للخاصة ، فضلًا عن العامّة .

حياة اللُّغات وموتها

اللغة العامّيَّة

بحث فلسفي ، لُغوي ، اجتماعي

٦٤ صحيفة ، ثمن النسخة ١٥ غرشًا

هذا بحث جديد ، لا نذكر أنّ أحدًا خاضهُ قبل الآن ، وقد نشرنا هذه المقالة في كتاب « درس ومطالعة » ، ثم طبعناها في هذا الكرّاس ، وشفعناها بمباحث مهمّة عن تحوُّل ٢٣ لغةً عامّيَّة الى لغـاتٍ فصيحة ، وأضفنا الى ذلك بحثًا آخر يتضمن قواعد كتابة اللغـة العامّية السورية ، وعزّزنا هذه القواعد بإيراد أمثلة عليها . ويُخيَّل الينا أنّ في هذا الكرّاس ، للقُرّاء الكرام ، منفعةً أدبيَّة ، ولذَّةً عقليّة .

تنبيهات

١ جميع هذه الكتُب تُطلب من مؤلفها ، الخوري مارون غصن ، في كليَّة القديس يوسف ، بيروت ، ومن أهم مكاتب الثغر .

٢ كتاب « بستان السلوى » ، يُطلب من المطبعة الكاثوليكيَّة .

٣ تُضاف أجرةُ البريد إلى اثمان الكتُب ، ويُرسل جا ضمن رسالة ، بواسطة البريد .

ولهُ

المؤلفات الآتية ، وهي ، الى الآن ، لم تُطبع

رواية التكفير عن الذنب ، ذات ثلاثة فصول : ٩٥ صحيفة .
رواية القديس مارون ، ابو الطائفة المارونية ، ذات فصلين : ٤٠ صحيفة .
رواية القائد والجندي ، ذات ثلاثة فصول . وهذه الرواية قد حازت الجائزة في سباق روايات ، اقترحته مجلة « رسالة السلام » ، سنة ١٩١٩ : ١١٥ صحيفة .
خُطبٌ ومواعظ : ٤٠٠ صحيفة .
اداب السلوك والكلام والخطابة : ٣٠٠ صحيفة .
الجزء الثاني ، والثالث ، لكتاب « درس ومطالعة » .
الجزء الثاني ، والثالث ، لكتاب « في مِثلو هلْكتاب ؟ » .

رسالة قلب يسوع

مجلّة كاثوليكيّة شهريّة

مديرها المسؤول

الاب رفائيل نخله

كليّة القديس يوسف ، بيروت

ها قد مرَّ علينا خمس سنين وأزيد ، في تحرير هذه المجلّة العزيزة ، وكتابةِ كثير من فصولها الشائقة ، فيلذُّ لنا ، خدمةً للقلب الاقدس ،

نشرُ ما امتازتْ بهِ هذه « الرسالة » عمّا سواها من المجلات العربية:

مزايا « رسالة قلب يسوع »

غايتها — هي المجلّة التقوية الوحيدة ، المطبوعة باللغة العربيّة، والتي يُقصد بها نشر العبادة للقلب الالهي .

انتشارها — هي أعظم المجلّات العربية رواجاً وانتشاراً : ففي اوائل سنة ١٩٢٤ ، كان عدد المشتركين فيها ١٥٠٠ ، وما وصل آخر السنة المذكورة ، حتى بلغ عدد المشتركين ٣٣٠٠ ، اما في اوائل هذه السنة فقد أربى على ثلاثة آلاف ، ولذلك فالامل عظيم في أنّ هذا العدد سيصل، في ختام هذه السنة ، الى ستة آلاف مشترك .

مواضيعها — في كلّ عددٍ من أعدادها ، تجدُ الابواب الاتية :

أولاً : باب « النيّة الشهريّة » لرسالة الصلاة ، وهي أعظم جمعيّة كاثوليكية تقوية ، فان عدد اعضائها يبلغ نحواً من ثلاثين مليوناً !

ثانياً : باب « أحبّاء القلب الاقدس » ، يُنشر فيهِ مُوجز سيرة أحد القديسين ، أو عظماء الكاثوليك ، ولا سيما الشرقيين .

ثالثاً : رواية ادبيّة ، كاملة في بضع صحائف .

رابعاً : بابٌ عنوانه « مختارات من رسائل القديس بولس » .

خامساً : باب « حوادث العالم الكاثوليكيّة » ، وهو خلاصة أخبار تؤخذ عن نحوٍ من ٦٠ مجلّة ، واردة من ٤٠ بلداً ، ومطبوعةً في ٢٠ لغة .

سادساً : « باب الاسئلة » يُجابُ فيهِ على اسئلة القُرّاء الدينية .

طبعها وصورها — طبعها متقن جداً ، وهي مزدانة بصور شائقة .

بدل الاشتراك — زهيدٌ جداً ، وهو ٣٠ غرشاً سورياً في لبنان وسورية ، و١٥ غرشاً مصريا في الخارج .

DATE DUE

غصن ،مارون
درس ومطالعة
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
81038255